


السيرة النبوية

برواية الإمام البخاري

تأليف

الدكتور رياض هاشم هادي







برواية الإمام البخاري

تأليف

الدكتور رياض هاشم هادي



الكتاب : السيرة النبوية برواية الإمام البخاري

Title : AS-SĪRA AN-NABAWIYYA BIRIWĀYAT AL-IMĀM AL-BUḪĀRĪ

التصنيف : سيرة نبوية

Classification: Prophetic Biography

المؤلف : الدكتور رياض هاشم هادي

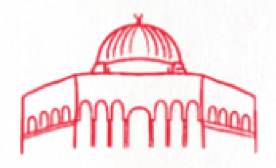
Author : Dr. Riyad Hashem Hadi

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages	224	عدد الصفحات
Size	17x24 cm	قياس الصفحات
Year	2017 A.D. - 1438H.	سنة الطباعة
Printed in	Lebanon	بلد الطباعة لبنان
Edition	1st	الطبعة الأولى

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah baydoun@al-ilmiyah.com



اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في كل مكان ، اللهم الطف بِـ أمة نبيّك محمد ﷺ وارحمها وفرّج كربتها

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun

1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah, Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



ISBN-13: 978-2-7-451-8054-4
ISBN-10: 2-7-451-8054-1

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم/ 4].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء/ 107].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب/ 71].

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب/ 21].

الحمد لله وكفى.

والصلاة والسلام على نبينا المصطفى.

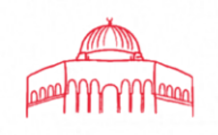
وعلى آله الطيبين وصحبه المجاهدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.....

مما سبق نرى أن الله عز وجل قد قدم العديد من الآيات الكريمة وبين فيها بان طاعته مقرونة في طاعة نبيه محمد ﷺ. وجعل اتباع النبي ﷺ والاقتداء به وبهديه باباً إلى رضوانه تعالى والدخول في جنته. كما جعل عصيان الرسول محمد ﷺ وترك سنته باباً إلى سخطه وعقابه.

ومن خلال ذلك نرى أن علماء المسلمين الأفاضل قضوا جل أوقاتهم في الكتابة والبحث عن سيرة الرسول محمد ﷺ بل لقد أفرد قسمٌ منهم باباً في ذلك وقسمٌ كتب العديد من الروايات ذات العلاقة بحياته ﷺ وأخضعوا هذه الروايات لعلم الجرح والتعديل فكانت معظم هذه الروايات سليمة ودقيقة وتصل إلى مرحلة القبول والدقة والحجة.

إلا أن المشكلة في كتابات أهل السنة هي تناثر هذه الروايات على أبواب عدة وإيرادها حسب الحاجة الفقهية إليها. مما يجعل القارئ لسيرة الرسول ﷺ يقرأ كل صحيح مسلم من أجل الاطلاع على الروايات ذات العلاقة بحياة الرسول محمد ﷺ وكذا يفعل مع البخاري وأحمد والنسائي وغيرهم رحمهم الله أجمعين، فهم بذلك يخالفون أهل التاريخ من الذين كتبوا في السيرة والمغازي حيث أفردوا كتباً خاصة بذلك فكان لديهم وحدة الموضوع وهذا سهّل الأمر على القراء الذين يريدون الاطلاع على سيرة نبيهم محمد ﷺ مثل ابن إسحاق والواقدي وابن سعد والبلاذري وغيرهم. إلا أن المشكلة تكمن في أن أصحاب المنهج التاريخي لا يعوّلون أحياناً كثيرة على نقل أخبارهم على الدقة الموضوعية وصحة الخبر مما أوقعهم في كثير من المشاكل مع أصحاب السنن الذين اعتمدوا فهماً مغايراً في تقديم سيرة الرسول ﷺ.

ومن أفضل من كتب في سيرة الرسول ﷺ من علماء السنة الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث أفرد أبواباً في ذلك واعتمد في عرض رواياته على الخبر السليم وأخضع هذه الروايات إلى علم الجرح والتعديل حالها حال الروايات الأخرى التي جمعها في صحيحه. إلا إنها كانت متداخلة مع مواضيع أخرى يصعب على القارئ العام الاطلاع عليها والبحث فيها، فكان لا بد من العمل على جمع هذه الروايات وأفرد كتاباً خاصاً بها يطلق عليه السيرة النبوية برواية الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لقد كان هذا الموضوع يراودني لفترة طويلة من حياتي العلمية. إلا أن كثرة البحوث الفرعية والتدريسات في الكلية حالت دون التفرغ لهذا الموضوع. إلى أن أعانني الله عليه فقمت بجمع المادة العلمية في صحيح البخاري وشرحه الذي قام عليه إمام المسلمين وحجتهم العلامة ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وقد استغرق ذلك فترة طويلة من الزمن وها نحن نحاول الآن جمع هذه الروايات وعرضها في خطة علمية منهجية أكاديمية تتوافق مع العصر الزمني لحياة الرسول ﷺ. وهذه الروايات بلا شك هي أصدق الروايات ونسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون موفقين في ذلك وأن يكون خالصاً لوجهه تعالى. وأن تعم به الفائدة عموم المسلمين من الذين يحبون الرسول ﷺ.



الهدف من العمل

إن من الأسباب التي دعت إلى جمع روايات السيرة النبوية من كتاب صحيح البخاري هو الحاجة إلى كتاب سليم في السيرة النبوية حيث إن جميع مؤلفات أصحاب المنهج التاريخي لا تخلو البتة من روايات غير سليمة. كما كان منهج أصحاب السنن يقوم على عرض رواياتهم على علم الجرح والتعديل فأصبح من الواجب اعتماد السيرة النبوية عندهم. حتى يستطيع القارئ المقارنة بين ما قدمه أصحاب المنهج التاريخي وأصحاب السنن والذي في حقيقته قد يكون مطابقاً في الكثير من الفقرات إلا أن القراء قد لا يثقون فيما يقدمه أصحاب المنهج التاريخي بل قد يذهب البعض من باب التطرف إلى القدح بهم وذمهم. وهذا لا يجوز فهم جزاهم الله خيراً قدموا لنا أعظم سيرة تاريخية عرفتها البشرية لحد الآن لنبي من أنبياء الله عز وجل وهو خاتم النبيين وإمامهم محمد ﷺ.

وعليه وجدنا أن من الضروري تقديم ما قدمه شيخ المحدثين وإمامهم الإمام البخاري رحمه الله من خلال كتابه الصحيح على وفق الطريقة الآتية:

1 ـ جمع الروايات التي قدمها الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه.

2 ـ توثيقها أو أخذ الشروع عنها مما قدمه الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله إذ أفادنا كتابهُ فتح الباري إفادة كبيرة ونافعة.

3 ـ عرض هذه الروايات بموجب تسلسلها الزمني وليس حسب تسلسلها الفقهي.

4 ـ قد يصار إلى مقارنة مع بعض ما قدمه المؤرخ ابن إسحاق في كتابه السيرة والمغازي مثلاً أو من كتاب السيرة النبوية الذي وصلنا عن طريق ابن هشام كاملاً. حتى يتبين للقارئ الكريم مدى الملاءمة والتطابق والاختلاف إن كان هناك اختلاف.

فإذن هدف الدراسة هو الوصول إلى رواية سليمة للسيرة النبوية من خلال ما قدمه أصحاب السنن وهم بلا شك أوثق من كتب في السيرة. ومن أهداف هذه الدراسة كذلك هو أننا وجدنا القرآن الكريم دائم الحديث عن تقديم الطاعة الملزمة لنا للرسول ﷺ بل إنه قرن طاعته وجنته بطاعة الرسول ﷺ وجعل عصيان الرسول ﷺ وترك التمسك بسنته باباً إلى غضب الله والحصول على سخط الله وعقابه ودخول النار بعد ذلك وسنحاول هنا التركيز على سيرة الرسول ﷺ وما يتعلق بها من أحداث رافقت حياته منذ الولادة وحتى الوفاة.

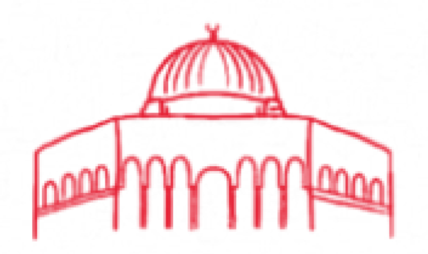
إذن لا بد لنا من التساؤل لماذا هذا الإصرار الرباني الإلهي على اتباع النبي الخاتم محمد ﷺ في كل ما يفعله. ولم تميز هذه الآيات القرآنية بين الأعمال الصغيرة أو الكبيرة. فما الفرق بين أن آكل باليد اليمنى أو اليسرى؟ وما هو الفرق ما بين ذكر البسملة في كل شيء نعمله خصوصاً تناول الطعام أو عدم ذكرها؟ وما هو الفرق بين من يدخل المسجد فيقدم رجله اليمنى ويؤخر اليسرى ويفعل العكس عند الخروج؟ أليس هذا من الأمور الشكلية عند بعض الناس؟ أم أن له صلة وثيقة بسعادة البشر وبخير المجتمع وصلاحه؟ أليس من الواجب أن نتعرف على حياة الرسول ﷺ مع أصحابه ومع زوجاته ومع أعدائه ونتعرف كذلك كيف تعامل الرسول ﷺ مع المشركين من أهل مكة وغيرها وكيف كان يقاتل وكيف كان يسالم وكيف كان يعقد الصلح وكيف كان يغزو وكيف كان يتعامل مع المسيء ومع الصديق. وهكذا نجد أن سيرة الرسول ﷺ تعطي لنا منهاج عمل عظيم وسجل حافل في كيفية تعامل رجال الدولة مع المسالمين ثم والمعادين لهم وكيف تتحقق مصالح الأمة وتقديم ما هو نافع لها وترك ما هو ضار لها.

ففي عرض وقائع السيرة النبوية والعمل بها في حياتنا اليومية نكون دائماً مجبرين على أن نفكر بأعمال الرسول ﷺ وعلى هذا الأساس تصبح شخصية الرسول ﷺ منهاج عمل في حياتنا اليومية ويكون نفوذه الروحي قد أصبح مهيمناً على مشاعرنا وأحاسيسنا وضمائرنا وسلوكنا اليومي لنا ولأبنائنا وزوجاتنا وأحفادنا. وهذا لا يتحقق إلا أن نقدم سيرة الرسول ﷺ في كل أمر من أمور حياته الخاصة والعامة وعند ذاك نتعلم أن ننظر إليه لا على أنه

صاحب وحي فقط بل على أنه الهادي إلى الحياة الكاملة السليمة المبنية على منهج رباني سليم. لأن تلك الرسالة هي رسالة عالمية تصلح لكل زمان ومكان وهي غير مقتصرة على أمة دون أمة أو زمان دون زمان فهي صالحة لكل زمان ومكان.

كما أن أصحاب السنن ذهبوا في عرض رواياتهم عن حياة الرسول ﷺ إلى التقديم والتأخير في عرض الرواية الواحدة أو الحدث الواحد وهذا يخلق عند القارئ العام مشكلة في كيفية الوصول إلى التسلسل الزمني للحديث وهو يريد عرض الرواية حسب تسلسلها الزمني وليس الفقهي. فكان لا بد والحالة هذه من العمل على إخراج كافة الروايات المتعلقة بسيرة الرسول ﷺ من كتاب صحيح البخاري ثم العمل على جمعها ثم تبويبها حسب تسلسلها الزمني وهذا في حد ذاته جهد كبير لا يمكن أن يتم بأيام أو بأشهر بل قد يتطلب ذلك أكثر من سنة ومع ذلك العمل على تطبيق المنهج العلمي الأكاديمي في جمع الروايات ثم تبويبها ثم عرضها بشكل علمي سليم.





اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان ، اللهم الطف بِـ أمة نبيِّك
محمد ﷺ وارحمها وفرِّج كربتها

منهج العمل

مما لا شك فيه أن الكتابة في سيرة الرسول محمد ﷺ لهي من أسمى الأعمال بعد الانشغال بالقرآن الكريم ودراسته وتفسيره. وعليه فمن الصعوبة أن تقدم شيئاً جديداً للقارئ المسلم في كتابة سيرة النبي ﷺ إذا اعتمدت المناهج السابقة في جمع الروايات وتقديمها كما هي من دون تعليق أو شرح أو نقد لاسيما كتب السيرة والمغازي.

فعندما يحاول أي باحث أن يستخرج روايات السيرة النبوية ذات العلاقة بحياة الرسول ﷺ من كتب الصحاح والسنن. سوف تظهر أمامه مشكلة كبيرة وهي عدم التبويب في عرض الأحداث المتعلقة بحياة الرسول ﷺ.

ومن هنا كان لا بد من استخدام منهج يقوم على عرض الروايات المتعلقة بسيرة النبي ﷺ على أساس التسلسل الزمني للحدث وهذا سيدفع بالباحث إلى التقديم والتأخير في عرض روايات أصحاب السنن بحيث جعلها تنسجم مع مسار حياة الرسول ﷺ وليس في ذلك أي إشكال أو خرق لما قدمه أصحاب السنن وأن هذا المنهج سوف لا يخل أبداً بما قدمه أصحاب الصحاح أو السنن.

فلما كان موضوع الكتاب هو جمع روايات السيرة النبوية عند الإمام البخاري رحمه الله وعرضها كسيرة نبوية صحيحة سليمة. فكان لا بد من استخدام التبويب في عرض هذه الروايات فحصل نوع من التقديم والتأخير. إلا أن هذا لم يدفع بالباحث إلى تعديل الروايات أو الإضافة إليها. لأن ذلك يخالف منهج البحث العلمي الذي يعتمد الأمانة في عرض الروايات هذا أولاً ثم إن ما قدمه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عدته الأمة الإسلامية بأنه أصح كتاب في السنة النبوية ثانياً.

فالمنهج الذي اعتمد في هذا العمل يقوم أولاً على جمع الروايات كما أوردها الإمام البخاري رحمه الله ثم اعتماد شرح الإمام ابن حجر العسقلاني شيخ أئمة الحديث رحمه الله على تلك الروايات. وقد حاول الإمام ابن حجر رحمه الله توضيح كثير من تلك الأحداث ذات العلاقة بسيرة الرسول ﷺ على وجه الخصوص ففي كتابه فتح الباري لم يحاول الشرح أو التعليق على ما قدمه الإمام البخاري رحمه الله فقط على أحداث السيرة النبوية بل قام بشرح كتاب الصحيح جميعهُ.

فكان منهج الباحث في هذا العمل يقوم على جمع الروايات ذات العلاقة بسيرة الرسول ﷺ عند الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه ونفس الروايات عند الإمام ابن حجر رحمه الله في فتح الباري.

حاول الباحث أن يعلق على بعض الأحداث المتعلقة بالسيرة إلا أنها كانت متواضعة جداً.

وبعد هذا التقديم السريع لا بد من اطلاع القارئ المسلم الكريم على كيفية العمل في تقديم تلك الروايات فكان لا بد من تقديم ترجمة سريعة عن الإمام البخاري رحمه الله حياته ونشأته وآدابه ومآثره العلمية وطلبه للعلم وسيرته وشمائله وفقهه ومكانته عند علماء عصره، موقفه من أصحاب السلطة والجاه. وأخيراً وفاته.

كانت طريقة عرض المادة العلمية تقوم على عرض المادة ضمن الأبواب التي قدمها الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه معتمدين أيضاً على تقديم رقم الحديث وطرق عرضه ثم تعليق الإمام ابن حجر رحمه الله على نفس الموضوع مع ذكر الجزء والصفحة في نهاية كل فقرة حتى يسهل على الباحث أو الدارس العودة إلى الحديث من خلال رقمه الموحد أو العودة إلى التعليق في فتح الباري إضافة إلى تعليق الباحث إن وجد إلى ذلك ضرورة.

ترجمة لحياة الإمام البخاري رحمه الله

الإمام البخاري 194هـ:

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، يكنى أبو عبد الله[1]. وولد الإمام أبو عبد الله البخاري في مدينة بخارى لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة 194 هجرية[2].

نشأته:

قيل إن والده قد توفي وهو صغير السن فنشأ يتيماً في حجر أمه. وقد ذهبت عيناه في صغر سنه ثم أكرمه الله عز وجل بعودة بصره إليه[3]، وكان حاد الذكاء شديد البصيرة سريع البديهية.

طلبه للعلم:

ذكرت كتب السيرة والتراجم أن الإمام أبا عبد الله حبب إليه منذ صغر سنه طلب العلم والسعي إليه وأعانه عليه وعلى الرحلة في سبيله فرط ذكائه وعلو همته ومال كثير ورثه عن أبيه. وكان لشدة تعلقه بالعلم والسعي إليه حفظ تصانيف ابن المبارك وهو صبي[4] وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة حتى قيل: «إنه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سرداً» أو مما أعانه على الحفظ والتثبت أنه كان يحفظ بعد أن يقرأ تراجم الرواة ويستوفي أخبارهم ويتتبع أحوالهم ويعلم أوطانهم وأزمانهم ويعرف شيوخهم وتلاميذهم

---

(1) ينظر تهذيب التهذيب، 9/ 47، ابن خلكان، طبعة بولاق، 1/ 649-650.

(2) ينظر عبد الغني عبد الخالق، صحيح البخاري، ط/(جدة: 1985)117.

(3) ينظر الخطيب البغدادي، تاريخ، 2/ 10.

(4) الذهبي، تذكرة الحفاظ، 2/ 172.

وطرق أسانيدهم حتى أدرك حقيقة ارتباطاتهم واتصالاتهم وأصبح لا يشتبه عليه شيء من مروياتهم[1].

وكان أول سماعه للحديث سنة خمسة ومائتين هجرية كما صرح به الإمام الحافظ الذهبي رحمه الله وقد سمع مرويات بلده وهو صبي من محمد بن سلام البيكندي وأضرابهم ثم رحل مع أمه وأخيه أحمد الذي كان أسن منه في سنة مائتين وعشرة هجرية قاصداً مكة راغباً في العلم والمعرفة[2].

وأقام في الحجاز ستة أعوام ثم رحل في طلب العلم وتنقل في بلدان كثيرة فدخل الشام ومصر والجزيرة مرتين والبصرة أربع مرات والكوفة وبغداد مرات لا تحصى كما أخبر هو بذلك[3].

وقد تلقى الإمام البخاري رحمه الله الحديث في كل بلد رحل إليه، وكتب عن مشايخ كثر وطبقات مختلفة فقد ذكر الإمام البخاري رحمه الله (أنه كتب عن ألف وثمانين نفساً ليس فيها إلا صاحب حديث)[4] وقال كذلك: «كتبت عن ألف شيخ أو أكثر ما عندي حديث إلا أذكر إسناده»[5].

مما سبق عرضه نرى أن الإمام البخاري رحمه الله قضى جل حياته يرحل في طلب العلم والسعي إليه وعليه نرى أنه من الصعوبة حصر شيوخه وأساتذته فقد رحل مبكراً في طلب العلم إلى سائر محدثي الأمصار وكتب بخرسان والجبال ومدن العراق كلها وبالحجاز والشام ومصر وغيرها من الأمصار الإسلامية[6].

وعندما بلغ السنة السادسة من عمره قرأ الكتب المشهورة آنذاك وعلى وجه الخصوص الكتب ذات العلاقة بالحديث حتى قيل عنه إنه وهو صبي كان يحفظ سبعين ألف حديث بعد أن يتولى قراءة التراجم المتعلقة بالرواة ويستوفي أخبارهم ويتتبع أحوالهم من قبيل الاطلاع على شيوخهم وتلاميذهم ومنهجهم

---

(1) الذهبي، المكان نفسه.

(2) ينظر عبد الخالق، البخاري، 119.

(3) ينظر عبد الخالق، المكان نفسه.

(4) ينظر ابن حجر، هدي الساري، 2/ 194.

(5) ينظر الخطيب، تاريخ بغداد، 2/ 10.

(6) ينظر عبد الخالق، الإمام البخاري، 119 - 120.

في جمع الأحاديث النبوية حتى دفعه ذلك إلى الإلمام بهم جميعاً وأصبح من الصعب بالنسبة إليه التعاطي مع أخبارهم بسهولة[1].

ويبدو أن الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ منذ صغر سنه عكف على دراسة الحديث وتعلق به. فلقد ذكرت المصادر أن أول سماع البخاري للحديث سنة 205 هـ يعني وهو ابن أحد عشر عاماً. وهذا ما ذهب إليه الذهبي (إن ملكته للحفظ والقراءة والمراجعة جعلت منه طالباً متفوقاً للعلم فهو يحدث بذلك بنفسه)[2]. فقد ذكر الخطيب البغدادي من طريق محمد بن يوسف الغريري قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق النحوي قال: «قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قال: أُلهمتُ حفظ الحديث وأنا في الكتّاب قلتُ: كم أتى عليك آنذاك؟ قال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتّاب بعد العشر فجعلتُ اختلف إلى الداخلي وغيره فقال يوماً: فيما كان يقرأ الناس- سفيان عن أبي الزبير المكي عن إبراهيم النجفي؟ فقلت له: يا أبا فلان، إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني. فقلتُ له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك. فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال: كيف هو يا غلام؟ فقلتُ هو أصحابه، فقلت: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ فقال ابن إحدى عشرة: فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء (يعني أصحاب الرأي) ثم خرجتُ مع أبي وأخي أحمد إلى مكة فلما حججت رجع أخي بها وتخلفت في طلب الحديث[3].

وأقام الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالحجاز ستة أعوام وتنقل في عموم الأمصار الإسلامية لطلب العلم والحديث فدخل الشام ومصر والجزيرة مرتين والبصرة أربع مرات والكوفة وبغداد زارها عديد من المرات[4].

وكان الإمام يأخذ علوم الحديث على وجه الخصوص في كل بلد يزوره من هذه البلدان الإسلامية التي كان يشع فيها نور العلم والعلماء وكان يلتقي

---

(1) ينظر عبد الخالق، المكان نفسه.

(2) ينظر عبد الخالق، المكان نفسه.

(3) ينظر عبد الخالق، الإمام البخاري، 119.

(4) ينظر أبو شهبة، أعلام، 190-195.

بشيوخها وكبار علمائها، فلقد كتب عي عدة مشايخ وعن طبقات مختلفة فلقد ذكر هو بنفسه (وكتبتُ عن ألف منهم)[1].

ومع كل هذا الاهتمام والعلو في طلب العلم. نجد أن الإمام لم يصل به الحد إلى القول بأن ما قدمه من مدونات وصل بها إلى حد الكمال بل نجده يقول: «ما أدخلتُ في كتاب الجامع إلا ما صحّ. وتركتُ من الصحاح لملال الطول» وأنه قال: «أحفظُ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح»[2] وهذا الاعتراف جيد من الإمام بأنه لم يستوعب في كتابه كل الصحيح.

وعلى ما يبدو من أقوال الأئمة أن هناك أحاديث صحيحة موجودة في كتب السنن الأربعة لم يخرجاها. وكذلك يوجد في مسند أحمد من الأسانيد والمتون شيء كثير مما يوازي كثيراً من أحاديث الإمام مسلم بل والإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ كذلك وليست عندهما ولا عند أحدهما[3].

سيرته وشمائله:

كان الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ كما ذكرت أغلب كتب التراجم فضلاً عما تفضل به الله عز وجل عليه من كمال العلم، وبيان الفضل ورجاحة العقل على جانب كبير من كرم الأخلاق وجليل الصفات ولطف المعاشرة وحسن المعاملة وسماحة النفس وسخاء اليد وعفة القول والحيطة في النقد وعلى قدم راسخة في الورع والزهادة والإخلاص والعبادة كما كان على معرفة جيدة باستعمال بعض آلات الحرب وبالرمي خاصةً فقد كان جيد الإصابة كما كان الشافعي (رَحِمَهُ اللَّهُ عز وجل)[4].

ومن شمائله رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان في غاية الحياء والشجاعة والسخاء والورع والزهد في الدنيا شريف النفس بعيداً عن الأمراء والسلاطين حتى أمير بخارى

(1) ينظر أبو شهبة، أعلام، 190-191.
(2) ينظر أبو شهبة، أعلام، 190.
(3) ينظر عبد الخالق، الإمام البخاري، 117.
(4) ينظر الخطيب، تاريخ، 2/ 28.

خالد بن أحمد الذهلي طلب إليه أن يحضر ليسمع أولاده منه فأبى[1].

فقه الإمام:

أجمع علماء الأمة المخلصون والثقات المنصفون على أن أبا عبد الله البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كبار علماء الأمة المتفقهين وخيار المجتهدين فلم يكن من الحشوية: الذين كل همهم رواية الحديث وحمله من غير إدراك لمعناه ومدلوله. ولا تمييز بين معلوله ومقبوله والذين كانوا أظهر دليل على صحة الحديث النبوي الشريف: «ربّ حامل فقهٍ لا فقه له، بل كان الإمام البخاري من أجل الفقهاء معرفةً بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وأعظمهم خبرةً بمفاهيمها وإشاراتها وحكمها وأسرارها وبكل ما يتعلق بهما».

وقال فيه غير واحد من العلماء المسلمين وهذا أبو الطيب حاتم بن منصور «كان محمد بن إسماعيل آية من الآيات في بصره ونفاذه في العلم»[2].

وأما أحمد بن يسار قال فيه: «محمد بن إسماعيل طلب العلم وجالس الناس ورحل في الحديث ومهر فيه وأبصر وكان حسن المعرفة، حسن الحفظ وكان يتفقه»[3].

وقال فيه الإمام عبد الله بن محمد السندي: «محمد بن إسماعيل إمام، فمن لم يجعله إماماً فاتهمه»[4].

وقال فيه سليم بن مجاهد: «ما رأيتُ بعيني منذ ستين سنة أفقه ولا أورع ولا أزهد في الدنيا من محمد بن إسماعيل»[5].

وليس أدل على كمال استعداده وحسن اجتهاده من قوله: «كنتُ عند إسحاق بن راهويه. فسئل عمن طلق ناسياً فسكت طويلاً مفكراً. فقلتُ أنا: قال النبي ﷺ: (إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم تعمل به أو

(1) ينظر أبو زهو، الحديث، 355.

(2) ينظر عبد الخالق، صحيح البخاري، 135.

(3) ينظر عبد الخالق، المكان نفسه.

(4) ينظر الخطيب، تاريخ، 2/ 28.

(5) ينظر ابن سعد، طبقات، 2/ 11.

تكلم وإنما يراد مباشرة هؤلاء الثلاث: العمل والقلب أو الكلام والقلب. وهذا لم يعتمد بقلبه فقال لي إسحاق: قويتني قواك الله. وأفتى به)[1]».

ومن الأدلة على ذكاء الإمام البخاري ومعرفته الفائقة بالحديث أنه قيل عنه لا يجاري في حفظ الحديث سنداً ومتناً مع تمييزه للصحيح منه والسقيم، حتى قيل فيه (البخاري فقيه الأمة)[2].

ذكر علماء الحديث في ذكر مناقب الإمام وعلمه بالحديث أنه مرة عندما قام بزيارة بغداد أراد علماء الحديث اختباره فعمدوا إلى تغيير مسانيد مئة حديث أو يزيد وقلبوها رأسا على عقب ولما عرضوها عليه رد كل حديث إلى إسناده وقوّم كل تلك الأحاديث والأسانيد كلها. ولم يقدروا أن يأخذوا عليه سقطة في إسناد ولا متن. وذكروا أنه كان ينظر في الكتاب فيحفظه من نظرة واحدة والأخبار عنه في ذلك كثيرة فهذا الإمام مسلم رحمه الله يقبّل الإمام البخاري رحمه الله بين عينيه ويقول له: «دعني أقبّل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين. وطيب الحديث وعلله ثم سأله عن حديث كفارة المجلس فذكر له علله فلما فرغ قال مسلم: «لا يبغضنك إلا حاسد وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك».

وفاته:

ذُكر أن الإمام البخاري رحمه الله مات ليلة الفطر أول ليلة شوال سنة ست وخمسين ومائتين وكان بلغ عمره اثنتين وستين سنة وكان في بيت جده وقيل ليلة وفاته كانت ليلة السبت[3].

منهجه في كتابة السيرة النبوية:

وقبل الحديث عن منهج الإمام في كتابة السيرة النبوية لا بد لنا من

(1) ينظر الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، ط3 (دمشق: 1421هـ/ 2000م)، مقدمة المحقق.

(2) أبو زهو، الحديث، 355.

(3) ينظر عبد الخالق، صحيح البخاري، 175.

الحديث عن كتابه المعروف بصحيح البخاري وهو من أشهر ما ألفه على الإطلاق والذي عرف به عند الناس بهذا الاسم قديماً وحديثاً فهو خير ما اختاره الإمام لكتابه وهو (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه). وفي رواية أخرى أنه سماه (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور الرسول ﷺ وسننه وأيامه)[1].

وذكر أن سبب تأليفه لهذا الكتاب ثلاثة أمور:

1 ـ أنه وجد الكتب المؤلفة جامعة للصحيح والحسن والضعيف فعقد النية على جمع الصحيح الثابت.

2 ـ تقديره لقول شيخه أمير المؤمنين في الحديث إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه: «لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله» فوقع ذلك في قلبه.

3 ـ ما رأى من منام ـ كما روى عنه ـ أنه قال: «رأيت النبي ﷺ وكأني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب بها عنه. فنظر في تعبيره (أنه يذب عنه «عليه الصلاة والسلام» الكذب) فهذا أيضاً مما حمله على إخراجه[2].

وأما إذا أردنا الحديث عن محتويات الصحيح وموضوعاته فلقد حصر فيه الإمام البخاري رحمه الله الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ والتي وجه عنايته إليها والتي تستفاد من شمائله ﷺ وعدد أحاديثه المرفوعة إلى النبي ﷺ الموصولة المكررة على ما ضبطه الحافظ (7397) حديثاً، وبدون تكرار (2602) حديثاً والإمام البخاري رحمه الله لم يضع حديثاً إلا وهو كما قال (استخرت الله وصليتُ ركعتين وتيقنتُ صحتهُ) وكفى بالعناية دليلاً أنه قال: «صنفتُ كتابي الصحيح بست عشرة سنةً خرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة بيني وبين الله»[3].

فضلاً عن الصحيح فإن للإمام العديد من المؤلفات ومنها قضايا الصحابة

(1) ينظر عبد الخالق، المكان نفسه.

(2) ينظر ابن حجر، فتح الباري، المقدمة وما بعدها.

(3) ينظر ابن حجر، فتح الباري، المقدمة.

والتابعين والتاريخ الكبير والتاريخ الأوسط والتاريخ الصغير والأدب المفرد والقراءة خلف الإمام وبر الوالدين وخلق أفعال العباد وكتاب الضعفاء والجامع الكبير والمسند الكبير والتفسير الكبير وكتاب الأشربة وكتاب الهبة وأسامي الصحابة وكتاب الوجدان وكتاب المبسوط وكتاب العلل وكتاب الكنى إلا كتاب الجامع الصحيح المسند المختصر في سنن رسول الله ﷺ وسننه وأخباره. هو من أجلّ ما كتبه نفعاً وأعلاها قدراً(1).

وقبل الحديث عن منهج الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب السير والمغازي لا بد من الحديث بشكل عام عن منهجه في الصحيح لكي يتبين لنا مدى منهجيته وعلميته عندما يتحدث عن مسائل عديدة في السيرة النبوية طالما أن الدراسة هي قامت أساساً حول منهج الإمام في كتابة السيرة النبوية. نقول:

1 ـ كان الإمام معروفاً بأنه روى الحديث كله وأخبار السيرة وجميع الموضوعات عن شيوخه (رحمهم الله) والذين اختارهم بعناية كبيرة من أجل ذلك جال في البلاد الإسلامية لما يزيد عن ستة عشر عاماً حتى لقيهم جميعاً وسمع منهم مباشرةً ورضي عدالتهم وضبطهم واشترط تحقق ذلك فيمن رووا عنه حتى يتصل إسناد كل حديث مرفوع في جامعه الصحيح إلى رسول الله ﷺ وهكذا يبدأ القارئ لصحيح البخاري من البداية إلى النهاية يحس بعدالته ومنهجيته في النقل والكتابة فالقارئ يجد الإمام متحدثاً وشارحاً ومذكراً بأقوال الصحابة وبتعدد طرقها وجعل الإسناد أحيانا للحديث واحداً.

2 ـ فلما كان هذا الأسلوب الذي نهجه الإمام في عرض وقائع كتابه فلقد غير ذلك في عرض ما يتعلق بالسيرة فجعلها في كتابه ضمن الأبواب التي ترجم لها بعناية فائقة تدل على فهم واسع في أحكام الشريعة وفقه عالم متضلع في استنباط الأدلة وتقرير الأحكام الكلية والفرعية على طريقته الخاصة ووفق منهجه الشخصي الذي حظي بإعجاب العلماء في كثير من أبواب كتابه الصحيح(2) ولكنها لم تخلو من حيرة وتوقف في بعض الأبواب حيث

---

(1) ينظر أبو زهو، الحديث، 356.

(2) ينظر محيي الدين ديب مستو، مناهج التأليف في السيرة النبوية، ط/ (بيروت: 1420هـ-2000م) 243.

لم يجدوا أي تطابق بين ترجمة (عنوان الباب) وما أورده من أحاديث أو خلو الباب من أي حديث وكأن الإمام البخاري رحمه الله لم يجد حديثاً تنطبق عليه شروطه ليضعه شاهداً ودليلاً على عنوان الباب[1].

وتعليقات الإمام البخاري رحمه الله التي هي بمثابة بلاغات وأحاديث نبوية غير مسندة والموقوفات التي هي من كلام الصحابة والمقطوعات التي يتوقف فيها الإسناد إلى ما دون، كالتابعي، والتي يذكرها للاستئناس ولا لتكون أساساً في الباب، ولأنها لم تصل عنده إلى شروط الصحيح المسند يجعلها مقدمةً وتمهيداً للأحاديث المسندة المرفوعة والتي تمثل عماد الأبواب وجوهر الصحاح وهي تدل بدورها على أسلوب متميز ومنهج خاص لا تجده إلا في صحيح الإمام البخاري رحمه الله.

3 ـ إذا كان من شروط المؤرخ الحياد التام في نقل الأخبار والوثائق حتى يعد موضوعياً فإننا نجد الإمام البخاري رحمه الله في كتابه الصحيح موضوع البحث يمثل قمة النزاهة والموضوعية والشجاعة العلمية في كل ما دونه في مصنفه من أحاديث الأحكام وأخبار السيرة النبوية ومن الأمثلة على دقته ونزاهته نجد أن بعض المستشرقين قد فقدوا بعض الأحاديث الواردة في فضائل بني أمية من صحيح البخاري وكذلك من صحيح مسلم فعدوا ذلك نوعاً من التأثير السياسي للعباسيين عليهم وذلك لأنهم وجدوا مثل هذه الأحاديث في مسند الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله مما لا شك فيه أن هؤلاء المستشرقين هذه أساليبهم في الإيقاع بين المسلمين في حين أشار هؤلاء أن الإمام البخاري ومسلم عندما غابت مثل هذه الأحاديث عن صحيحيهما تدل وبلا أدنى شك على أن هذه الأحاديث فاقدة للشروط التي وضعها كل من الإمامين في صحيحيهما[2].

4 ـ كما أننا نجد للإمام البخاري رحمه الله شخصية نقادة لا تظهر من خلال الشروط التي وضعها في اختيار الأسانيد والمتون فحسب وإنما تظهر أيضاً في المتابعات التي يسوقها من طرق تدعم الحديث بشكل أساسي وتقويه أو بشرح أو بتوضيح معنى ذلك كله عندما يقول: قال أبو عبد الله.

---

(1) ينظر مستو، مناهج، 243-244.

(2) ينظر مستو، مناهج، 245.

والإمام البخاري رحمه الله هو مدرسة علمية نقدية في معرفة الرجال وقدوة في الجرح المهذب والتعديل السليم فهو يقول عن الكذاب وبكل أدب إن كلامه (فيه نظر) أو بعبارة أخرى يقول معبراً عن رأي جمهور العلماء فيه (سكتوا عنه) أو يقول (تركوه) وإذا وجد فيه نكارة قال: «هو منكر الحديث»[1].

5 ـ وأما كتابه المميز (التاريخ الكبير) فلقد صنفه لكي يميز الرجال فيه وكان يقول: «كل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة» وهذا كله جعل المؤرخين والمصنفين من الذين يكتبون في السير والمغازي يعدون النصوص التي قدمها الإمام البخاري رحمه الله في السيرة النبوية ثروة وثائقية صحيحة اتصل فيها الإسناد وصح فيها المتن وفيها كل ما يحتاج المسلم لبناء عقيدته واكتمال إيمانه بشهادة أن محمداً رسول الله بعد أن شهد أن لا إله إلا الله.

6 ـ عدّ مصنف الإمام البخاري رحمه الله موضوع هذه الدراسة وهو الصحيح من أهم المصنفات له فقد لقيَ عند علماء المسلمين اهتماماً متزايداً منقطع النظير قلما نجد علماء المسلمين يهتمون بمصنف مثله فلقد ترجموا لرجاله وشرحوا نصوصه واستقصوا سماعاته ورواياته وذكروا ألوفاً من الشواهد والمتابعات لأحاديثه وكل هذا يضيف لأخبار السيرة وموضوعاتها ثروة معرفية عظيمة ويعطي لها أعلى درجات التوثيق والموضوعية.

إن المقارنة بين ما ورد في كتب السير والمغازي وبين ما ورد في كتب الصحاح وفي مقدمتها (صحيح البخاري) والمقارنة بين ما ورد في كتب الحديث كلها، تصل بنا إلى قناعات علمية مهمة ومفيدة في علوم السيرة النبوية ومن أهم هذه القناعات:

1 ـ الثقة الكبيرة بما قدمه كتاب السير والمغازي من روايات نجدها واردة عند البخاري ومسلم في صحيحيهما رحمهما الله ويتفق معها مما يدل على علو مكانتهما وصدقهما.

2 ـ تصحيح ما وقع في كلام بعض الصحابة من وهم ومثاله ما رواه الإمامان الحبران الجليلان البخاري ومسلم وابن إسحاق في السيرة عن ابن عباس

(1) ينظر مستو. المكان نفسه.

رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم»[1] حيث روى الإمام مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها أنها قالت: «تزوجها رسول الله ﷺ وهو حلال وبنى بها وهو حلال»[2].

وقدم جمهور العلماء هذا الحديث على قول ابن عباس رضي الله عنه لأنها صاحبة القضية فهي أعلم وأدق. وكذا فعل أبو رافع أخبر بذلك كما رواه الإمام الترمذي عنه[3].

وعليه نجد أن هذه القضية كانت بالنسبة إلى علماء المسلمين مهمة جداً لذا نجدهم يحاولون البت بها بشكل سليم صحيح بعيداً عن الثغرات فلقد قال ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه زاد المعاد «تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية وهي آخر من تزوج بها تزوجها بمكة في عمرة القضاء بعد أن حل منها على الصحيح».

وقيل قبل إحلاله هذا قول ابن عباس ووهم رضي الله عنه فان السفير بينهما بالنكاح أعلم الخلق بالقصة وهو أبو رافع رضي الله عنه وقد أخبر أنه تزوجها حلالاً وقال: «كنتُ السفير بينهما وابن عباس إذ ذاك له نحو العشر سنين أو فوقها».

وكان غائباً عن القصة لم يحضرها وأبو رافع رجل بالغ وعلى يده دارت القصة فهو أعلم بها ولا يخفى أن مثل هذا الترجيح موجب للتقديم»[4].

وعند ابن سعد في طبقاته يقول حول نفس الموضوع: «إن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة في شوال سنة سبع» قال الحافظ ابن حجر فإن ثبت هذا صح تزوجها وهو حلال لأنه إنما أحرم في ذي القعدة منها[5].

3 ـ تصحيح ما سبق إليه القلم من الخطأ في السيرة النبوية وحتى كتب الصحاح

---

(1) ينظر محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، صحيح الإمام مسلم، ط/ (دمشق: 1424هـ-2003م) 9/ 153.

(2) رواه البخاري في الحج (1740) والنكاح (4824) ومسلم في النكاح (1410) ورواه البخاري في النكاح (1411).

(3) رواه الترمذي في الحج (841).

(4) ينظر أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد وضحه الشيخ حسن محمد المسعودي، ط (القاهرة: 1347هـ-1928م) 1/ 28.

(5) ينظر الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، 4/ 412.

ومثاله ما وقع في السيرة أن غزوة بني المصطلق (أو المريسيع) كانت في سنة ست هجرية ما وقع عند الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه من أنها وقعت سنة أربع نقلاً عن ابن عقبة[1]. وعلل الإمام ابن حجر على ذلك بقوله: «وكأنه سبق قلم، أراد أن يكتب (سنة خمس) فكتب (سنة أربع)[2].

وفي مغازي موسى بن عقبة ومن عدة طرق أخرجها الحاكم في المستدرك والبيهقي في الدلائل أنها (سنة خمس) وهي أشبه من قول إسحاق أنها كانت (سنة ستة)[3].

4 ـ ومن الفوائد المرجوة في عقد مثل هذه المقارنة هو إزالة اللبس عما وقع في الصحيحين ومثاله: «ما ورد في صحيحي البخاري ومسلم من أن رسول الله ﷺ هاجم بني المصطلق وهم غارون ـ أي غافلون ـ وهذا في حد ذاته مخالف للنهج الإلهي في الدعاء والدعوة مثل إعلان القتال قال تعالى عز وجل: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾[4] قال الإمام الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى آنفا (أي نقضاً لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود أي أعلمهم بأنك حرب لهم وهم حرب لك وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء)[5].

وفي حين ذهبت معظم كتب السير والمغازي مثل السير والمغازي لابن إسحاق والمغازي للواقدي والطبقات لابن سعد وزاد المعاد لابن قيم الجوزية إلى أن الرسول ﷺ أنذر بني المصطلق فأمر عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يدعوهم إلى الإسلام وتوحيد الله ونبذ الشرك والوثنية قبل قتالهم، وعلل الإمام ابن حجر على ذلك بقوله: «فيحتمل أن يكون حين الإيقاع بهم ثبتوا قليلاً فلما كثر فيهم القتل انهزموا بأن يكون لما وهم على الماء ثبتوا وتصافوا ووقع القتال بين الطائفتين ثم بعد ذلك وقعت الغلبة عليهم» وقد ذكر هذه القصة ابن سعد

---

(1) ينظر ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، علق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، ط3(دمشق: 1421هـ/ 2000م) باب المغازي 7/ 535.

(2) ينظر ابن حجر، فتح الباري، 7/ 535-536.

(3) ابن حجر، المكان نفسه.

(4) سورة الأنفال، الآية 58.

(5) ينظر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، علق عليه محمد ناصر الألباني، ط(دمشق: 1425هـ/ 2004م) 4/ 46 - 47.

على نحو ما ذكرها ابن إسحاق[1].

فيما مضى علمنا أن كتباً قد ضمت في جوانبها طائفة عديدة وكثيرة من أحداث السيرة النبوية فكل تحدث بها بما عثر عليه أو سمعه من الرواة فكان ذلك كله جهداً عظيماً قدمه هؤلاء العلماء لنا لكي نتبصر ونتطلع على الكثير من الأحداث التي مرت بحياة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وأنهم جميعاً كانوا مقتفين اثر هذه الأحداث بما ورد عندهم من الإسناد فهم يتجنبون إلى حدٍ ما الخوض في مثل تلك الأحداث على طريقة القصاصين أو الرواة المشكوك بعدالتهم.

إلا أننا عندما نقرأ ما قدمه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه سوف نرى أنه قد افتتح مصنفه بعد حديث النية بحديث بدء الوحي على الرسول ﷺ وهي افتتاحية لا بد لدرّاس السيرة في الوقوف عندها وهو لم يغفل الحديث عن بئر زمزم وأنساب العرب والوقوف على تاريخهم والحديث عن معتقداتهم قبل الإسلام. فلقد ذكر أن النبي ﷺ قدّم له سفرة فأبى أن يأكل منها، ثم قال لزيد: «إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه»[2].

ويضيف في مقطع آخر بأن زيداً بن نفيل كان يبحث عن الدين الحق فالتقى بالعديد من الرهبان إلا أنه نفر من معتقداتهم وكان يسأل ويطوف إلى أن اخبره أحد الرهبان قائلاً له: «ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً، قال: «وما الحنيف؟» قال: «دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج[3] فلما برز رفع يديه فقال: «اللهم إني اشهد أني على دين إبراهيم»[4].

---

(1) ينظر حول ذلك محمد بن إسحاق، السيرة النبوية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط(بيروت: 1424هـ/ 2004م) 435 وما بعدها محمد بن عمر بن واقد المغازي، تحقيق مارسدن جونس، ط/(بيروت: د/ت) 1/ 407 - 408.

(2) ينظر ابن حجر، فتح الباري، 7/ 180.

(3) ينظر ابن حجر، المكان نفسه.

(4) ينظر ابن حجر، المكان نفسه.

وتحدث الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مصنفه الصحيح عن قبيلة خزاعة كيف أدخلت الوثنية إلى مكة بعدما استقرت بها على يد زعيمها وسيدها عمر بن لحى الذي أمر بجلبها ونصبها حول الحرم والطواف حولها[1].

ومن المسائل المهمة التي أوردها الإمام في السيرة هي مسألة بنيان الكعبة ومشاركة الرسول ﷺ قال: «لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة فقال عباس للنبي ﷺ: «اجعل إزارك على رقبتك يقِك من الحجارة فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال إزاري فشد عليه إزاره»[2].

ويضيف بقوله عن عُمْرِ الرسول ﷺ يوم شارك في بناء الكعبة: «كان عمر النبي ﷺ خمساً وعشرين سنةً»[3].

ثم يذكر اختلاف قريش حول من يضع الحجر الأسود ويتفقون على أول داخل فيه فيكون الرسول محمد ﷺ قال: «أنهم قالوا نحكّم أول من يدخل من باب بني شيبة فكان النبي ﷺ أول من دخل منه فأخبروه. فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه. . . . . .» إلى آخر القصة[4].

كما نجد الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه يعمد إلى تقسيم أبواب كتابه إلى أبواب منها باب صفة النبي ﷺ الخَلقية والخُلقية وباب علامات النبوة[5].

ومن النماذج التي قدمها الإمام في صحيحه ما ذكره عن مبعث الرسول ﷺ فهو في هذا الباب يقدم النسب الكامل للرسول ﷺ يقول: «هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان»[6].

---

(1) ينظر ابن حجر، فتح الباري، 7/ 184-185.

(2) ينظر ابن حجر، فتح الباري، 7/ 84.

(3) ينظر ابن حجر، المكان نفسه.

(4) ينظر حول ذلك ابن حجر، فتح الباري، 7/ 185.

(5) ينظر البخاري، صحيح، باب خاتم النبوة، 3541. باب صفة النبي، 3542 - 3611، 3543 - 3617.

(6) ينظر ابن حجر، فتح الباري، 7/ 204.

ويقول عن البعثة: حدثنا أحمد بن أبي رجاء حدثنا النضر عن هشام عن عكرمة عن ابن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «انزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين فمكث في مكة ثلاث عشرة سنةً، ثم أمر بالهجرة، فهاجر إلى المدينة، فمكث بها عشر سنين، ثم توفي»[1].

وفي مثال آخر يقدم لنا الإمام رواية أخرى في باب ما لقيَ النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابن إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينما النبي ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفه على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة (عليها السلام) فأخذته من ظهره ودعت على من وضع. فقال النبي ﷺ اللهم عليك بالملأ من قريش: أبا جهل ابن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف أو أُبي بن خلف شعبة الشاك - فرأيتهم قتلوا يوم بدر، فالقوا في بئر غير أمية بن خلف أو أُبي تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر»[2].

ونرى هنا أن الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ يعتمد على ما قدمه الإمام المحدث ابن إسحاق في عرض نماذج من وقائع السيرة النبوية فهنا نجده مثلاً يقول قوله (تابعه ابن إسحاق) قال: «حدثني يحيى عن عروة الخ» وحمله أحمد من طريق إبراهيم بن سعد والبزاز من طريق بكر بن سليمان كلاهما عن ابن إسحاق بهذا السند. وفي أول سياقه من الزيارة قال: «حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم في الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: «ما رأينا مثل صبرنا عليه، سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وغير ديننا، وفرق جماعتنا»، فبينما هم في ذلك إذ أقبل، فاستلم الركن فلما مرَّ بهم غمزوه وذكر انه قال لهم في الثالثة: «لقد جئتكم بالذبح»[3]، وإنهم قالوا له: «يا أبا القاسم ما كنتَ جاهلاً، فانصرف راشداً» فانصرف فلما كان الغد اجتمعوا فقالوا: «ذكرتم ما بلغ منكم حتى إذا أتاكم بما تكرهون تركتموه»، فبينما هم كذلك إذ طلع فقالوا: «قوموا إليه وثبة رجل

---

(1) أخرجه البخاري، صحيح، باب مبعث النبي 3851.

(2) أخرجه البخاري، باب ما لقيَ النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، 3854.

(3) ينظر ابن حجر، صحيح، 212-213.

واحد»، قال: «لقد رأيت رجلاً منهم اخذ بمجاميع ثيابه وقام أبو بكر دونه وهو يبكي فقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ثم انصرفوا عنه»[1].

ومن النماذج المهمة التي قدمها الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه ما ذكره بقوله: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان يقول: «بعثنا رسول الله ﷺ ثلاثمائة راكب، أميرنا أبو عبيدة بن الجراح يرصد عير قريش فأقمنا بالساحل نصف شهر فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط، فسمي ذلك الجيش جيش الخبط، فألقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر فأكلنا منه نصف شهر، وادَّهَنّا من ودكه حتى ثابت إلينا أجسامنا فاخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه فنصبه فعمد إلى أطول رجل معه، قال: سفيان مرة: ضلعاً من أضلاعه وأخذ رجلاً وبعيراً فمر تحته»[2]. ويضيف في رواية أخرى من نفس الباب «قال أبو عبيدة: كلوا. فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال: كلوا رزقاً أخرجه الله أطعمونا إن كان معكم. فأتاه بعضهم بعضو فأكله»[3].

في حين نجد نفس الغزوة (سيف البحر) يعرضها ابن إسحاق في مغازيه بالشكل الآتي: «وبعث في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد فلقي أبا جهل بن هشام ذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة .... ولم يكن بينهم قتال»[4].

ويعرضها الواقدي مثل ما عرضها ابن إسحاق فيقول: «كانت سرية حمزة ابن عبد المطلب في رمضان وهو أول لواء عقده رسول الله ﷺ بعد أن قدم المدينة، بعثه في ثلاثين راكباً شطرين خمسة عشر من المهاجرين وخمسة عشر من الأنصار. فكان من المهاجرين أبو عبيدة بن الجراح .... فبلغوا سيف بحر يعترض لعير قريش قد جاءت من الشام تريد مكة فيها أبو جهل في

---

(1) ينظر البخاري، صحيح، 8/ 213.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه باب غزوة سيف البحر 4361.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه باب غزوة سيف البحر 3462.

(4) ينظر ابن هشام، أبو محمد عبد الله سيرة النبي، تحقيق محمد محيي الدين، د/ط (دار الفكر، د/ت)2/ 230.

ثلاثمائة راكب من أهل مكة . . . . ولم يكن بينهم قتال»[1].

ويبدو أن هنالك خلط في غزوة سيف البحر فلقد ذكرها الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ أنها كانت بقيادة أبو عبيدة الجراح في ثلاثمائة راكب ولم يحدد السنة التي بعثهم فيها الرسول ﷺ ويحددها بعد ذلك بسرية الخبط وعند ابن إسحاق والواقدي إنها (أي سرية أبو عبيدة) كانت سنة ثمان هجرية وسيف البحر كانت عندهما كأول بعث أرسله الرسول ﷺ خارج المدينة[2].

ومن خلال عرضنا لهذه النماذج قد نرى أن مؤرخي السيرة عندهم الالتزام بوحدة المنهج التاريخي المرتبط بالتسلسل الزمني على خلاف أهل السنن الذين يعرضون الأحداث وفق منهج يعتمد الأبواب الفقهية لا علاقة لها بالمنهج التاريخي وهذا أساس الخلاف بين المنهجين ويتميز منهج أصحاب السنن بالاعتماد على الإسناد بالدرجة الأولى، ويقول الدكتور فاروق: «ومن يتشدق بان الإسناد لا قيمة له وقد تكون المتون غير صحيحة لم يدرك تماماً معنى ما يقول ويغالط نفسه بأنه لا يعرف علم الحديث ومنهجه»[3].

إن الإسناد الصحيح وموازينه الدقيقة أهم مرتكز لتصحيح التاريخ والخبر هناك خبر جاء بإسناد صحيح غير معلول لا يقبله العقل أو يرفضه الواقع اللهم إلا عقول أولئك الذين أقفلوها ووضعوا مفاتيحها في صناديق مقفلة[4].

وبعد السبر والجهد المتواصل الذي قام به علماء الإسلام جزاهم الله خيراً عن الأمة الإسلامية وبناءً على المنهج المتقدم في النقل مستندين إلى العلم الفريد من نوعه والذي تميزت به الأمة عن غيرها من الأمم في النقل والذي اختص به المسلمون دون غيرهم إلا وهو علم (الجرح والتعديل) وهو بلا شك هبة الله إلى هذه الأمة فاستطاعوا من خلاله تقويم العديد من الكتب والمصنفات ذات العلاقة بالسنة النبوية فكان لجهدهم ذاك الأثر الأكبر في تقديم علم نافع ينتفع به المسلمين طوال العصور الإسلامية بإذنه تعالى.

---

(1) ينظر الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، د/ط (بيروت: د/ت) 1/ 9-10.

(2) ينظر ابن إسحاق، السيرة والمغازي، 2/ 230، الواقدي، المغازي، 1/ 9-10.

(3) ينظر د. فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية، ط/ (دمشق: 1425هـ/ 2004م) 54-55.

(4) ينظر حمادة، المكان نفسه.

فكان لأصحاب السنن العديد من المصنفات والتي قد ضمت في جوانبها طائفة كبيرة من أحداث السيرة النبوية كما مر بنا سابقاً. فلقد قدم كل واحد من هؤلاء الأئمة ما يقدر عليه من علم في تحري الحقائق والوصول إلى مادة علمية مهمة تحكي سيرة الرسول ﷺ فلقد حاولوا تجنب الكذب والغلط وما يلحق الرسول ﷺ من أذى في تقديم أخبار غير دقيقة وغير سليمة عنه. وجاء مصنف الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في مقدمة هذه المصنفات حيث حاول الإمام جاهداً تحري الحقيقة والوصول بها إلى هذا الصدق فلقد كان مصنفه من أغنى هذه المصنفات وأدقها على الإطلاق وأوفرها على هذه المادة فقد قسم الإمام ما يتعلق بالسيرة النبوية المواضيع على أبواب مبتدأ من الأحداث السابقة للإسلام وسوف نقدم عرضاً سريعا لهذه الأبواب على الرغم من أن الإمام لا يستخدم منهجاً زمنياً في عرض أخباره ومروياته فهو يقدم ويؤخر في عرضه لتلك الأبواب وحسب الأبواب الفقهية مثلاً على ذلك في كتاب الأنصار باب أول مناقب الأنصار نجده عند الباب العشرين يذكر تزويج النبي ﷺ من السيدة خديجة وفضلها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ثم يذكر في الباب الرابع والعشرون حديث زيد بن عمر بن نفيل وهي الأحداث السابقة للإسلام، كما نجده في الباب الخامس والعشرين يتحدث عن بنيان الكعبة ومشاركة الرسول ﷺ فيها، ثم في الباب السادس والعشرين يتحدث عن أيام الجاهلية وفي الباب السابع والعشرين عن القسامة في الجاهلية، وفي الباب الثامن والعشرين يتحدث عن مبعث الرسول ﷺ وفي الباب التاسع والعشرين ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة[1].

وهكذا نجد أن الإمام لا يسلك في عرضه لمرويات السيرة النبوية المنهج الزمني لتسلسل الأحداث بل يسلك منهجاً آخر يعتمد على المسائل الفقهية وهذا بحد ذاته أضر كثيراً بعرض المرويات التاريخية لسيرة الرسول ﷺ مما يجعل القارئ في ارتباك وحيرة في تتبع الأحداث بشكل متسلسل ومنطقي وتاريخي وهذا يجعل المدونات التاريخية أقرب إلى الفهم من مدونات أصحاب السنن[2].

(1) ينظر ابن حجر، فتح الباري، 7/ 654.

(2) ينظر ابن حجر، فتح الباري، 7/ 654-660 وغيرها، الأبواب والأحداث.

وختاماً وبعد هذا العرض السريع للأبواب التي قدمها الإمام في مصنفه الصحيح، نجده لا يتبع الترتيب الزمني للأحداث فهو يقدم ويؤخر في تركيب الأحداث وقد لا نجد مبرراً لهذا الأسلوب سوى أن منهجه في ذلك يقوم على ترتيب الأبواب الفقهية وأنه لا يلتزم بزمن الحدث مع علمه بأنه قد لا يوافق التسلسل الزمني له. فهو عندما يتحدث عن الأخبار السابقة للبعثة، نجد أن منهجه وأسلوبه في عرض مادته عن السيرة النبوية يختلف تماماً عند الحديث عن ما بعد البعثة فهو يذكر الأحداث حسب ترتيبها الزمني وخصوصاً في كتاب المغازي فهو يقدم في الباب الأول غزوة ذي العشيرة أو العسيرة كما سماها ثم يذكر في الباب الثاني ذكر النبي ﷺ وأصحابه ومن يقبل يوم بدر وفي الباب الثالث غزوة بدر وعنده أصحاب بدر ثم قتل أبي جهل ثم فضل من شهد بدراً ثم شهود الملائكة ثم في الباب الرابع عشر حديث بني النضير وقتل كعب بن الأشرف وفي الباب السابع عشر غزوة أُحد وفي الباب الثالث والعشرين قتل حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عم الرسول ﷺ وفي الباب الرابع والأربعين يعرض لنا غزوة مؤتة من أرض الشام، ثم الباب الخامس والأربعين يتحدث عن بعث النبي ﷺ لأسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة ثم الباب السادس والأربعين يتحدث عن غزوة الفتح[1]. ثم يكمل الإمام أبوابه بالحديث بالباب الخامس والستين عن غزوة سيف البحر وهم يلتقون عيراً لقريش وأميرهم أبو عبيدة[2] التي عدها المؤرخون أول سرية أرسلها الرسول ﷺ خارج المدينة عندما هاجر إليها ويستمر الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في عرض أبواب المغازي حتى يصل إلى الباب السابع والسبعين والذي خصه بحجة الوداع وفي الباب الثاني والثمانين يتحدث عن كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر ثم يختم الأبواب بالباب التاسع والثمانين كم غزا رسول الله ﷺ[3].

ومن الملاحظات الأخرى المسجلة على المرويات التي قدمها الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في عرض وقائع السيرة النبوية وعلى وجه الخصوص الفترة

---

(1) ينظر حول ذلك ابن حجر، فتح الباري، 7/ 407 - 649.

(2) ينظر ابن حجر، فتح الباري، 8/ 97.

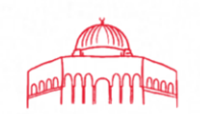
(3) ينظر ابن حجر، فتح الباري، 8/ 98 - 191.

السابقة على الإسلام نرى فيها اعتماداً كبيراً على ما قدمه ابن إسحاق من مرويات ونراه يسردها كما هي أو يحيل القارئ إليها فمثلاً يقول عن قصة (قصي) الجد الرابع للرسول ﷺ وأين عاش: «وقوله ابن قصي بصيغة التصغير، تلقب بذلك لأنه بعد عن ديار قومه[1] في بلاد قضاعة في قصة طويلة ذكرها ابن إسحاق»[2].

وكذلك نراه عندما يتحدث عن بناء الكعبة ينقل رواية نقلها من ابن إسحاق فيقول: «وعند ابن إسحاق أن الذي أشار عليهم أن لا يبنوها إلا من مال طيب هو أبو وهب بن عمر بن عامر بن عمران بن مخزوم»[3].

وفي مقطع آخر يقول الإمام البخاري رحمه الله نقلاً عن ابن إسحاق فيقول: وذكر ابن إسحاق في المبعث: «وكان رسول الله ﷺ فيما ذكر لي يحدث عما كان الله يحفظه في صغره، انه قال: لقد رأيتني في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض مما تلعب به الغلمان........»[4].

وفي مقطع آخر ينقل الإمام البخاري رحمه الله عن ابن إسحاق قوله من أن عثمان بن مظعون: «لما رجع من الهجرة الأولى إلى الحبشة دخل مكة في جوار الوليد بن المغيرة. فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين وهو آمن رد على الوليد جواره»[5].



---

(1) ينظر حول ذلك ابن حجر، فتح الباري، 7/ 205-206.

(2) ابن حجر، المكان نفسه.

(3) ينظر ابن حجر، فتح الباري، 7/ 185-186.

(4) ينظر ابن حجر، فتح الباري، 7/ 185.

(5) ينظر ابن حجر، فتح الباري، 7/ 193.

عرض لأحداث السيرة كما رواها الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ

رحلة سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع زوجته هاجر إلى مكة:

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في حديث حذيفة عن الترمذي والنسائي «فما زايلا ظهر البراق»[1]، وفي كتاب مكة للفاكهي والأزرقي: «إن إبراهيم كان يحج على البراق» وفي أوائل الروض للسهيلي: «إن إبراهيم حمل هاجر على البراق لما سار إلى مكة بها وبولدها» فهذه آثار يشد بعضها بعضاً، 7/ 260.

باب مبعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن نسب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان» 7/ 204.

تسمية محمد:

ذكر البيهقي في الدلائل بإسناد مرسل: «إن عبد المطلب[2] لما ولد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمل له مأدبة، فلما أكلوا سألوا ما سميته؟ قال: محمداً، قالوا: فما رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال: أردتُ أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض» 7/ 205.

---

(1) البراق: ذهبت عموم المصادر والمراجع إلى أن البراق هو ابيض اللون شبيه بالحمار، اشتق اسمه من البرق لسرعته وكان هو واسطة لنقل الأنبياء والرسل، وهو الذي ركب عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أُسري به من المسجد الحرام في مكة إلى بيت المقدس.

(2) عبد المطلب: هو شيبة بن عبد مناف بن قصي .الجد الأول للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صاحب قصة بئر زمزم.

وفاة عبد الله[1]:

وقوله: «إن عبد الله لم يختلف في اسمه واختلف متى مات؟ فقيل مات قبل أن يولد النبي ﷺ وقيل بعد أن ولد والأول أثبت» 7/ 205.

باب أيام الجاهلية:

3832 - قال البخاري رحمه الله: حدثنا مسلم حدثنا وهيب، حدثنا ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من الفجور في الأرض وكانوا يسمّون المحرم صفر ويقولون إذا برأ الدبر وعفا الأثر حلت العمرة لمن اعتمر. قال: فقدم رسول الله ﷺ وأصحابه رابعة مُهلين بالحج، وأمرهم النبي ﷺ أن يجعلوها عمرة، قالوا يا رسول الله: أي الحل[2]؟ قال الحل كله» 7/ 170.

حديث زيد بن عمرو بن نفيل قبل الإسلام:

باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل:

3826 - قال البخاري رحمه الله: حدثني محمد بن أبي بكر، حدثنا فضيل بن سليمان، حدثنا موسى بن عقبة، حدثنا سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ لقيَ زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح[3] قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي فقدّمت إلى النبي ﷺ سُفرة، فأبى أن يأكل ولا أكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وتنزل لها من السماء الماء وانبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله. إنكاراً لذلك وإعظاماً له»[4] 7/ 180.

3828 - قال البخاري رحمه الله وقال الليث: كتب إليّ هشام عن أبيه عن

(1) عبد الله بن عبد المطلب: الابن العاشر لعبد المطلب وهو الذبيح الثاني.

(2) الحل: هو الحلال في أداء المناسك.

(3) بلدح: هي مكان قريب.

(4) زيد بن نفيل: هو أحد الأحناف الموحدين من الذين آمنوا بدعوة سيدنا ابراهيم (عليه السلام).

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «رأيتُ زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش والله ما منكم على دين إبراهيم غيري. وكان يحيي الموؤودة[1]، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها، أنا أكفيك مؤونتها، فيأخذها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤونتها» 7/ 180.

باب بنيان الكعبة:

3829 - قال البخاري رحمه الله: حدثنا محمود، حدثنا عبد الرزاق قال: اخبرني ابن جريج قال: اخبرني عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «لما بنيت الكعبة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم والعباس ينقلان الحجارة: فقال عباس للنبي صلى الله عليه وسلم: اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة. فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء، ثم أفاق فقال: إزاري إزاري فشد عليه إزاره» 7/ 184.

وذكر ابن إسحاق وغيره «أن قريشاً لما بنت الكعبة كان عمر النبي صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة» 7/ 184-185.

بناء الكعبة:

ويقول الإمام ابن حجر رحمه الله في سياق نفس الموضوع معطوفاً على ما ذكره الإمام البخاري رحمه الله: «وروى إسحاق بن راهوية من طريق خالد بن عرعره عن علي في قصة بناء إبراهيم البيت، قال: «فمر عليه الدهر فانهدم فبنته العمالقة فمر عليه الدهر فانهدم فبنته جرهم فمر عليه الدهر فانهدم فبنته قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ شاب فلما أرادوا أن يضعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا: نحكم بيننا أول من يخرج من هذه السكة. فكان النبي صلى الله عليه وسلم أول من خرج منها فحكم بينهم أن يجعلوه في ثوب ثم يرفعه من كل

(1) الموؤودة: كانت العرب في الجاهلية قبل الإسلام تعمل على وأد أولادها بنين وبنات لأسباب عديدة منها الفقر والخوف من الوقوع في الأسر والاسترقاق والبيع في أسواق العبيد إلا أن هذه الظاهرة كانت محصورة في قبائل عربية محدودة لاسيما الضعيفة منها والفقيرة أما القبائل الغنية والقوية فلم يعرف عنها أنها كانت تئد أولادها أو بناتها. وقد ذكر القرآن عن أحوال هذه العادة في سورة التكوير.

قبيلة رجل. . . . . قالوا نحكم أول من يدخل من باب بني شيبة فكان النبي ﷺ. وقالوا إن الذي أشار عليهم بذلك هو أمية بن المغيرة المخزومي» 7/ 185.

تزويج السيدة خديجة وفضلها رضي الله عنها:

3815 - قال البخاري رحمه الله: حدثني محمد، حدثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه قال: سمعتُ عبد الله بن جعفر قال: سمعتُ علياً رضي الله عنه يقول: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: وحدثني صدقة اخبرنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه[1] قال: سمعتُ عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة» 7/ 167.

3816 - قال البخاري رحمه الله: حدثنا سعيدة بن غفير، حدثنا الليث قال: كتب إليّ هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما غِرْتُ على امرأةٍ للنبي ما غِرْتُ على خديجة، هلكت قبل أن يتزوجني، لمّا كنتُ اسمعه يذكرها وأمره ربه أن يبشرها ببيتٍ من قصب. وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يَسَعَهُنّ» 7/ 167.

3818 - وقال كذلك رحمه الله في نفس الموضوع: حدثني عمرو بن محمد بن الحسن، حدثنا أبي، حدثنا حفص عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: «ما غِرْتُ . . . . وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلتُ له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد» 7/ 167.

وقوله ﷺ: «إنها كانت وكانت» أي كانت فاضلة وكانت عاقلة ونحو ذلك. وعند أحمد من حديث مسروق عن عائشة: «آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء» 7/ 172.

---

(1) السيدة خديجة: هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهي بذلك تتصل مع رسول الله ﷺ بالعمومة فهي ابنة عم الرسول ﷺ.

عبادة الأوثان[1]:

4376 - قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا الصلق بن محمد قال: سمعتُ مهدي ابن ميمون قال: سمعتُ أبا رجاءٍ العطاردي يقول: «كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه ألقيناه وأخذنا الآخر. فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناها عليه. ثم طفنا به. فإذا دخل شهر رجب قلنا: «فَنِّصِّلُ الأسنة، فلا ندع رمحاً فيه حديدة، ولا سهماً فيه حديدة إلا نزعناه وألقيناهُ شهر رجب» 8/ 113.

الوحي: باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ:

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «ولقد رأيته ينزلُ عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وأن جبينه ليفصد عرقاً». صحيح البخاري/ رقم الحديث/ 2.

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين إنها قالت: «ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ولا يتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: «اقرأ»، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: «فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني»، فقال: «اقرأ»، فقال: «ما أنا بقارئ»، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق/ 1-3]. صحيح البخاري/ رقم الحديث/ 3.

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فقال: «زملوني، زملوني»، فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة واخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي»، فقالت خديجة: «كلا والله

(1) الأوثان: هي عبارة عن حجارة لا قيمة فنية فيها عبدها الناس لأنها كانت حسب زعمهم أنها مباركة وقد تأخذ أشكالاً عديدة. وانتشرت عند الناس وعبدوها.

ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على النوائب». البخاري، صحيح، والحديث رقم/ 3.

ويستكمل الإمام البخاري رحمه الله فيقول: «فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان إمرءاً تنصّر في الجاهلية[1]، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي. فقالت خديجة: «يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك». فقال له ورقة: «يا ابن أخي ماذا ترى؟» فاخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: «هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى. يا ليتني فيها جذع ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أَوَ مخرجي هُم؟» قال: «نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وان يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً». ثم لم ينشب ورقة أن توفي. وفتر الوحي». البخاري، صحيح، رقم الحديث/ 3، أخرجه كذلك الإمام مسلم في صحيحه رقم 160.

ويضيف كذلك البخاري رحمه الله فيقول: قال ابن شهاب: وأخبرني أبو سلمة ابن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري[2]قال وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «بينما أنا أمشي إذ سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعتُ بصري فإذا المَلَكَ الذي جاءني بحراء[3] جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبتُ منه، فرجعتُ فقلتُ: زملوني، زملوني، فانزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [مدثر/ 1-5]. فحمي الوحي وتتابع». تابعه عبد الله بن يوسف وأبو صالح

---

(1) اختلفت المصادر وكتب التراجم في معتقد ورقة فمنهم من ذهب إلى أنه كان حنيفياً يتبع دين سيدنا إبراهيم (عليه السلام) وهو الأصح عندنا، ومنهم من ذهب إلى القول انه كان نصرانياً وهو بعيدٌ عندنا والله اعلم.

(2) الأنصار: هم عشائر الأوس والخزرج آمنوا بالرسول ﷺ به وبدعوته وناصروه ضد الكفار وضحوا بكل المال والولد من أجل الرسول ﷺ ودعوته وهم الذين سماهم الله الأنصار ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾.

(3) حراء: غار كان يتعبد به الرسول ﷺ قبل بعثه وهو جبل في مكة يطل على الكعبة بزاوية مستقيمة وفيه بعث الرسول ﷺ.

وتابعه هلال بن رداد عن الزهري. أخرجه الإمام مسلم رقم/ 161. البخاري، صحيح، رقم الحديث 4.

ويتابع الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسيرته بالحديث عن الوحي وما رافق نزول الوحي من أحداث فيقول: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا أبو عوانة قال: حدثنا موسى بن أبي عائشة قال: حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾ قال: «كان رسول الله ﷺ يُعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه» فقال ابن عباس: «فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما» وقال سعيد: «أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما» فحرك شفتيه، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧﴾، قال: «جمعه له في صدرك وتقرأه»، ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨﴾، قال: «فاستمع له وأنصت»، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾، «ثم إن علينا أن تقرأه»، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه. البخاري/ صحيح، رقم الحديث 5، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، 448.

باب ما لقي الرسول ﷺ وأصحابه من المشركين في مكة:

3852 قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا بيان وإسماعيل قالا: سمعتُ خباباً يقول: «أتيتُ النبي ﷺ وهو متوسدٌ بُردَهُ وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلتُ: يا رسول الله إلا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمرٌ وجهه، فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد. ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه. ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين. ما يصرفه ذلك عن دينه. وليتمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله ـ زاد بيان والذئب على غنمه»[1] فتح الباري في شرح صحيح البخاري 7/ 207.

---

(1) لقد لقي رسول الله ﷺ من مشركي قريش ما لقي فكانوا يؤذونه بالسب والشتم والضرب ووضع الأشواك في طريقه ووضع القاذورات على رأسه الشريف وحصل هذا بعد موت عمه أبو طالب والسيدة خديجة (رضي الله عنها) ومجيء أبو لهب وتخلي العشيرة عنه وفقد الحماية نهائياً لا سيما بعد رحلته إلى الطائف، فلم يدخل مكة بعد إلا في جوار المطعم ابن عدي وهو أحد زعماء مكة المشركين.

علم أهل الكتاب بقدوم النبي ﷺ

ففي هذا الموضوع يقول البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال: اخبرني شعيب عن الزهري قال: اخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: أن عبد الله بن عباس اخبره: أن أبا سفيان بن حرب اخبره: «أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش كانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوهم وهم بإيلياء[1] فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه».

- فقال: «أيكم اقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم انه نبي؟».
- فقال أبو سفيان: «فقلتُ أنا أقربهم نسباً».
- فقال: «أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره».

- ثم قال لترجمانه: «قل لهم إني سائل عن هذا الرجل، فان كذبني فكذبوه. فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذباً لكذبتُ عنه»، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: «كيف نسبه فيكم؟»، قلت: «هو فينا ذو نسب».
- قال: «فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟»، قلت: «لا».
- قال: «فهل كان من آبائه ملك؟»، قلتُ: «لا».
- قال: «فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاءهم؟»، فقلت: «بل ضعفاءهم».
- قال: «أيزيدون أم ينقصون؟»، قلت: «بل يزيدون».
- قال: «فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟»، قلت: «لا».
- قال: «فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟»، قلت: «لا».
- قال: «فهل يغدر؟»، قلت: «لا»، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها.

- قال: «ولم تمكنّي كلمة ادخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة»، قال: «فهل قاتلتموه؟»، قلت: «نعم».

---

(1) إيلياء: منطقة جنوب بلاد الشام ضمن أراضي سورية حالياً.

- قال: «كيف كان قتالكم إياه؟»، قلت: «الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا، وننال منه».

- قال: «ماذا يأمركم؟»، قلت: «يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة».

فقال للترجمان: «قل له سألتك عن نسبه: فذكرت انه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها.

وسألتك: هل قال أحد فيكم هذا القول؟ فذكرتَ أن لا فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتي بقول قيل قبله.

وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ قلت: رجل يطلب ملك أبيه.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد اعرف انه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.

وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.

وسألتك: أيرتد أحد سخطة دينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشة القلوب.

وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرت انه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدميّ هاتين وقد كنت أعلم انه خارج، لم أكن أظن انه منكم فلو أني أعلم أني اخلص إليه، لتجشمتُ لقاءه ولو كنتُ عنده لغسلتُ عن قدمه». صحيح البخاري/ رقم الحديث 7.

ثم دعا بكاتب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحيّة إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرا فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني ادعوك بدعاية الإسلام، اسلم تسلم: يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن

عليك إثم الأريسين ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران/ 64].

قال أبو سفيان: «فلما قال ما قال. . . . فرغ من قراءة الكتاب كثر عند الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمرُ ابن أبي كبشه، انه يخافه ملك بني الأصفر. فما زلت فوقنا انه سيظهر حتى ادخل الله عليَّ الإسلام». البخاري/ صحيح، رقم الحديث 11/ 24.

وكان ابن الناطور صاحب ايلياء وهرقل، أسقفاً على نصارى الشام، يحدث أن هرقل حين قدم ايلياء أصبح يوماً خبيث النفس فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك. قال ابن الناطور: «وكان هرقل حزّاء[1] ينظر في النجوم». فقال لهم حين سألوه: «إني رأيتُ الله حين نظرتُ في النجوم ملك الختان قد ظهر. فمن يختتن في هذه الأمة؟» قالوا: «ليس يختتن إلا اليهود فلا يهمنّك شأنهم واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود»، فبينما هم على أمرهم، أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ فلما استخبره هرقل قال: «اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟» فنظروا إليه فحدثوه انه مختتن وسأله عن العرب، فقال: «هم يختتنون» فقال هرقل: «هذا ملك هذه الأمة قد ظهر». البخاري/ صحيح، فتح الباري/ 7/ 24.

ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم وسار هرقل إلى حمص، فلم يرمِ حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وانه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ثم أمر بأبوابها فغلقت؛ ثم اطلع فقال: «يا معشر الروم هل لكم بالفلاح والرشد، وان يثبتَ ملككم فتبايعوا النبي؟»، فحاصوا حيصةَ حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت.

فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: «ردوهم عليّ»، وقال: «إني قلتُ مقالتي آنفاً اختبر بها شدتكم على دينكم. فقد رأيت»، فسجدوا له ورضوا عنه. فكان ذلك آخر شأن هرقل.

---

(1) حزّاء: عالم في الفلك والنجوم وهو بذلك من المنجمين وقد حرم الإسلام الإيمان بهم وبأقوالهم.

رواه صالح بن كيسان ويونس ومعمر عن الزهري، حول ذلك ينظر البخاري، صحيح، فتح الباري 7/ 24.

سفارة قريش إلى عم الرسول ﷺ أبو طالب:

يقول الإمام البخاري رحمه الله من طريق إبراهيم بن سعد البزاز من طريق بكر ابن سليمان كلاهما عن ابن إسحاق بهذا السند وفي أول سياقه من الزيادة، قال: «حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم في الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل صبرنا عليه، سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وغير ديننا، وفرق جماعتنا. فبينما هم في ذلك إذ اقبل، فاستلم الركن فلما مرَّ بهم غمزوه وذكر انه قال لهم في الثالثة: «لقد جئتكم بالذبح»، وإنهم قالوا له: «يا أبا القاسم ما كنتَ جاهلاً فانصرف راشداً»، فانصرف فلما كان من الغد اجتمعوا فقالوا: «ذكرتم ما بلغ منكم حتى إذا أتاكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم كذلك إذ طلع. فقالوا: «قوموا إليه وثبة رجلٍ واحد. فقال: «فقلد رأيتُ رجلاً منهم اخذ بمجامع ثيابه». وقام أبو بكر دونه وهو يبكي وقال: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله»، ثم انصرفوا عنه» فتح الباري 7/ 212-213.

فلما قضى صلاته مر بهم فقال: «والذي نفسي بيده ما أرسلتُ إليكم إلا بالذبح»، فقال أبو جهل: «يا محمد ما كنتَ جهولاً»، فقال: «أنتَ منهم» فتح الباري 7/ 213.

لقد رأيت رسول الله ﷺ أخذته قريش فهذا يجيؤه وهذا يتلقاه ويقولون له أنت تجعل الآلهة إلهاً واحداً فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول: «ويلكم أتقتلون رجلاً . . . . ربي الله» فتح الباري 7/ 214.

موقف قريش من الرسول ﷺ

3854- قال البخاري رحمه الله: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة عن ابن إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله رضي الله عنه قال: «بينما النبي ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبة بن أبي معيط[1] بسلي جزور[2] فقذفه

(1) عقبة بن أبي معيط: زعيم من زعماء مكة المشركين وأحد المستهزئين قتل يوم بدر كافراً.

(2) سلي جزور: الأحشاء الخاصة بالمعدة للحيوان.

على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة رضي الله عنها فأخذته من ظهره ودعت على من صنع، فقال النبي ﷺ: اللهم عليك الملأ من قريش أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف وأُبيّ بن خلف شعبة الشاك - فرأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في بئر غير أمية بن خلف أو أُبَيّ تقطعت أوصاله فلم يلقَ في البئر» فتح الباري 7/ 208.

3856- وفي حديث آخر للإمام البخاري رحمه الله يقول: حدثنا عياش بن الوليد، حدثنا الوليد بن مسلم حدثني الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التيمي قال: حدثني عروة بن الزبير[1] قال: سألت ابن عمرو ابن العاص: «اخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ»، قال: «بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ اقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فاقبل أبو بكر حتى اخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ، قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾» [غافر/ 28]، تابعه ابن إسحاق حدثني يحيى بن عروة عن عروة: قلت لعبد الله بن عمرو وقال عبدة عن هشام عن أبيه قيل لعمرو بن العاص[2] وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمه حدثني عمرو ابن العاص، فتح الباري 7 / 209.

وفي نفس السياق يقول البخاري رحمه الله حديث عائشة رضي الله عنها إنها قالت للنبي ﷺ: «هل أتى عليك يوم كان اشد من يوم أُحد؟[3] قال: «لقد لقيتُ من قومكِ وكان اشد ما لقيتُ منهم». فذكر قصة الطائف. فتح الباري 7/ 209.

ويقول البخاري رحمه الله: وروى أحمد والترمذي وابن حبان عن طريق حماد ابن سلمة عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أوذيتُ في الله وما يؤذى احد، واخفتُ من الله وما يخاف احد» فتح الباري 7/ 209.

---

(1) ينظر كتاب التراجم والسير حول أولئك الصحابة (رضي الله عنهم).

(2) ذكر نفس الحديث الأول.

(3) يوم أحد: تلك المعركة التي دارت ما بين المسلمين بقيادة الرسول ﷺ وقريش بقيادة أبي سفيان بن حرب والتي انتهت لصالح قريش واستشهد من المسلمين الصحابة يومها سبعين صحابياً ومنهم حمزة عم الرسول ﷺ وأوذي فيها الرسول ﷺ بشدة حتى سالت الدماء من وجهه المبارك، وإنها كانت درساً للمسلمين بالتزام تعليمات الرسول ﷺ مستقبلاً.

ويحدثنا الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عن إيذاء صحابة الرسول ﷺ من قبل المشركين، فيقول: « وروى إسحاق من حديث ابن عباس وذكر الصحابة وقال: «والله إن كانوا ليضربون احدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضرب حتى يقولوا له: «اللات والعزى إلهك من دون الله» فيقول: نعم». وروى ابن ماجه وابن حبان من طريق ابن مسعود قال: «أول ما اظهر إسلامه سبعة، رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وأوقفوهم في الشمس» فتح الباري 7/ 209.

هجرة المسلمين إلى الحبشة:

4230 - قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثني محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، حدثنا يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وإخوانٌ لي أصغرهم احدهما أبو بردة والآخر أبو رهم ـ إما قال في بضع وإما قال في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً ـ من قومي، فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة. فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه. حتى قدمنا جميعاً فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر وكان أناس من الناس يقولون لنا ـ يعني لأهل السفينة ـ سبقناكم بالهجرة ودخلت أسماء بنت عميس ـ وهي ممن قدم معنا ـ على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة وكانت قد هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟، قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟»، قالت أسماء: نعم، قال: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت وقالت: كلا والله كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار، أو في ارض، البُعداء البُغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ وأيم الله لا اطعم طعاماً ولا اشرب شراباً حتى اذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ونحن كنا نؤذى ونخاف. وسأذكر للنبي ﷺ وان شاء الله لا اكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه» فتح الباري 7/ 605.

4231 - ويضيف البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيقول: فلما جاء النبي ﷺ قالت: «يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا، قال: فما قلتِ له؟، قلت له كذا وكذا، قال: ليس بأحق بي منكم. وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم انتم أهل السفينة هجرتان، قالت: فلقد رأيتُ أبو موسى وأصحاب السفينة يأتونني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث. ما من الدنيا شيء هم به افرح لا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ» فتح الباري 7/ 606.

إسلام الجن:

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عبد الله بن مسعود قال: «هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخل[1] فلما سمعوه قالوا: «أنصتوا» وكانوا سبعة أحدهم زوبعة» فتح الباري 7/ 216. قلتُ هذا يوافق حديث ابن عباس.

وذكر إسحاق «أن استماع الجن كان بعد رجوع النبي ﷺ من الطائف لما خرج إليها يدعو ثقيفاً إلى نصرهِ وذلك بعد موت أبي طالب وكان ذلك في سنة عشرة من المبعث كما جزم ابن سعد بان خروجه إلى الطائف كان من شوال وسوق عكاظ التي أشار إليها ابن عباس كانت تقام في ذي القعدة» فتح الباري 7/ 216.

ويضيف الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالقول: «وإنزال الوحي إلى الأرض فكشفوا ذلك إلى أن وقفوا على السبب ولذلك لم يقيد الترجمة بقدوم ولا فائدة ثم لما انتشرت الدعوة واسلم من اسلم قدموا فسمعوا فاسلموا وكان ذلك بين الهجرتين ثم تعدد مجيئهم حتى في المدينة، فتح الباري 7/ 217.

إسلام عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

3865 - قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان قال عمرو بن دينار سمعته قال: قال عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «لما اسلم عمر

---

(1) بطن نخل: منطقة قريبة إلى مكة. مكث فيها رسول الله ﷺ بعض الوقت ليستريح من هول ما رآه في الطائف.

اجتمع الناس عند داره وقالوا: صبأ عمر، وأنا غلام فوق ظهر بيتي فجاء رجل عليه قباء من ديباج فقال: قد صبأ عمر فما ذاك، فانا له جار. قال: فرأيتُ الناس تصدعوا عنه فقلت: من هذا؟ قالوا: العاص بن وائل» فتح الباري 7/ 223. ويضيف كذلك: «إن إسلام عمر كان بعد المبعث بست سنين أو سبع» فتح الباري 7/ 224.

باب انشقاق القمر[1]:

3868 - قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثني عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «إن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آيةً فأراهم القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما» فتح الباري 7/ 229.

3869 - وفي رواية أخرى يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله رضي الله عنه قال: «انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى فقال: اشهدوا، وذهبت فرقة نحو الجبل» فتح الباري 7/ 229.

ويضيف الإمام البخاري رحمه الله بقوله: عن ابن عباس قال: «اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والأسود بن المطلب والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: «إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين فسأل ربه فانشق» فتح الباري 7/ 230.

---

(1) دأب مشركي قريش على سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عن آية أو معجزة له، وكان للرسول العديد من المعجزات التي ظهرت على يديه وهو في مكة منها تسبيح الحصى وسلام الشجر عليه وظل الغمامة له يوم الحر الشديد، إلا أن المشركين كانوا غير آبهين لهذه المعجزات الحسية للرسول صلى الله عليه وسلم حتى طلبوا منه أشياء عديدة منها توسيع مكة وان يفجر العيون فيها مياه وكذلك شق القمر فأمره الرسول صلى الله عليه وسلم وبإذن ربه انشق إلى نصفين وهذا ما أثبته العلم المعاصر بان القمر قد تعرض إلى انشقاق قبل قرون عدة إلا أن المشركين بدل الإيمان قالوا: «سحرنا محمد»، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ القمر 1-2.

باب هجرة الحبشة[1] :

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قالت عائشة قال النبي ﷺ : «أُريتُ دار هجرتكم ذات نخل بين لابتيين» فتح الباري 7/ 235.

وعند الحديث عن الهجرة إلى الحبشة يقدم لنا الإمام الحجة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وابن حجر تفاصيل جيدة عن هذه الحادثة وعلى الرغم من طولها سوف نعرضها كما قدمها رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث نراه يقول: «باب هجرة الحبشة»: «أي هجرة المسلمين من مكة إلى ارض الحبشة وكان وقوع ذلك مرتين، وذكر أهل السير الأولى كانت في شهر رجب من سنة خمس من المبعث. وان أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة وقيل: وامرأتان. وقيل كانوا اثني عشر رجلاً. وقيل: عشرة، وإنهم خرجوا مشاةً إلى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار وذكر ابن إسحاق إن السبب في ذلك إن النبي ﷺ قال لأصحابه لما رأى المشركين يؤذنهم ولا يستطيع أن يكفهم عنهم (إن بالحبشة ملكاً لا يظلم عنده احد، فلو خرجتم إليه حتى يجعل الله لكم فرجاً) فكان أول من خرج منهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ. واخرج يعقوب بن سفيان بسند موصول إلى أنس قال: أبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما فقدمت امرأة فقالت له: لقد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقال: صحبهما الله. إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط».

قلت: «وبهذا تظهر النكتة في تصدير البخاري الباب بحديث عثمان وقد سرد ابن إسحاق أسماءهم، فأما الرجال فهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وأبو حذيفة بن عتبة ومصعب بن عمير وأبو سلمه بن عبد الأسود وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وأبو سبرة بن أبي رهم العامري. قال: ويقال بدله حاطب بن عمرو العامري. قال: فهؤلاء العشرة أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة. قال ابن هشام: «وبلغني انه كان عليهم عثمان بن مظعون. وأما النسوة فهنَّ رُقَية بنت النبي ﷺ وسهلة بنت

---

(1) أرض الحبشة بالجانب الغربي من بلاد اليمن ومسافتها طويلة جداً وهم أجناس وجميع فرق السودان يعطون الطاعة لملك الحبشة وكان في القديم يلقب «النجاشي» فتح الباري 7/ 240.

سهل امرأة أبي حذيفة وأم سلمة بنت أبي أمية امرأة أبي سلمة وليلى بنت أبي حثمة امرأة عامر بن ربيعة ووافقه الواقدي في سردهن وزاد اثنين عبد الله بن مسعود وحاطب بن عمرو مع انه ذكر في أول كلامه إنهم كانوا أحد عشر رجلاً فالصواب ما قال ابن إسحاق انه اختلف في الحادي عشر هل هو أبو سبرة أو حاطب: وأما ابن مسعود فجزم ابن إسحاق بأنه إنما كان في الهجرة الثانية، ويؤيده ما روى أحمد بإسناد حسن عن ابن مسعود قال: «بعثنا النبي ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن عرفطة وعثمان بن مظعون وأبو موسى الأشعري» فذكر الحديث وقد استشكل ذكر أبو موسى فيهم. لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصداً النبي ﷺ بالمدينة فألقتهم السفينة بأرض الحبشة فحضروا مع جعفر إلى النبي ﷺ بخيبر ويمكن الجمع بان يكون أبو موسى هاجر أولا إلى مكة فاسلم فبعثه النبي ﷺ مع من بعث إلى الحبشة فتوجه إلى بلاد قومه وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي. فلما تحقق استقرار النبي ﷺ وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن اسلم من قومه إلى المدينة فالقتهم السفينة لأجل هيجان الريح إلى الحبشة. فهذا محتمل، وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد. والله اعلم. وعلى هذا فقول أبي موسى: «بلغنا مخرج النبي ﷺ» أي إلى المدينة وليس المراد بلغنا مبعثه. ويؤيده انه يبعد كل البعد أن يتأخر مبعثه مضي نحو عشرين سنة. ومع الحمل على مخرجه إلى المدينة فلا بد من زيادة استقراره بها وانتصافه ممن عاداه ونحو ذلك. وإلا فبعيدٌ أيضاً أن يخفى عنهم خبر خروجه إلى المدينة ستُ سنين. ويحتمل أن إقامة أبي موسى بأرض الحبشة طالت لأجل تأخر جعفر عن الحضور إلى المدينة حتى يأتيه الإذن من النبي ﷺ بالقدوم وما عثمان بن مظعون فذكر فيهم وان كان مذكوراً في الأولى لان ابن إسحاق وموسى بن عقبة وغيرهما من أهل السير ذكروا أن المسلمين بلغهم وهم بأرض الحبشة أن أهل مكة أسلموا. فرجع ناس منهم عثمان بن مظعون إلى مكة فلم يجدوا ما اخبروا به من ذلك صحيحاً فرجعوا، سار معهم جماعة إلى الحبشة وهي الهجرة الثانية. وسرد ابن إسحاق أسماء أهل الهجرة الثانية وهم زيادة على ثمانين رجلاً. وقال ابن جرير الطبري: «كانوا اثنين وثمانين رجلاً سوى

نسائهم وأبنائهم. وشك في عمار بن ياسر هل كان فيهم وبه تكتمل العدة ثلاثة وثمانين. أن عدة نسائهم كانت ثماني عشر امرأة» فتح الباري 7/ 238[1].

باب موت النجاشي:

3877- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ الله: حدثنا أبو الربيع، حدثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر رَضِيَ الله عَنْهُ: «قال النبي ﷺ حين مات النجاشي: مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة» فتح الباري 7/ 240.

3881- ويضيف الإمام البخاري رَحِمَهُ الله فيقول: وعن صالح عن ابن شهاب قال: حدثني سعيد بن المسيب «أن أبا هريرة رَضِيَ الله عَنْهُ اخبرهم: أن رسول الله ﷺ صف بهم في المصلى فصلى عليه وكبّر أربعاً» فتح الباري 7/ 240.

باب تقاسم المشركين على النبي ﷺ:

المقاطعة:

3882- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ الله في حديثه عن المقاطعة: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال: حدثني إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن أبي سلمه ابن عبد الرحمن عن أبي هريرة رَضِيَ الله عَنْهُ قال: «قال رسول الله ﷺ: حين أراد حُنيناً منزلنا غداً ـ إن شاء الله ـ بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر» فتح الباري 7/ 241.

قال ابن حجر رَحِمَهُ الله: قال ابن إسحاق وموسى بن عقبة وغيرهما من أصحاب المغازي: «لما رأت قريش أن الصحابة قد نزلوا أرضاً وأصابوا بها أماناً وان عمر اسلم وان الإسلام فشا بين القبائل اجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وبني عبد المطلب فأدخلوا رسول الله شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله. فأجابوه إلى ذلك حتى كفارهم،

(1) من الملاحظ على الأخبار التي قدمها الإمام البخاري فيما يتعلق بأحوال سيرة الرسول ﷺ هي مقتضبة جداً وقد حاول الإمام ابن حجر (رَحِمَهُ الله) الاستعانة بما قدمه أهل السيرة في إتمام الأخبار. مما يدل على أن أهل السير كانوا عند أهل الحديث ثقة ويعتد بأخبارهم لا سيما الثقات منهم.

فعلوا ذلك حميةً على عادةِ الجاهلية. فلما رأت قريش ذلك اجمعوا أن يكتبوا بينهم وبين هاشم والمطلب كتاباً أن لا يعاملوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ ففعلوا ذلك وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فشلت أصابعه» فتح الباري 7/ 241-242.

ويستمر ابن حجر (رحمه الله) في ذكر ما ذكره ابن إسحاق فيقول: قال ابن إسحاق: «فانحازت بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبي طالب فكانوا معه كلهم إلا أبا لهب فكان مع قريش». وقيل: «كان ابتدأ حصرهم في المحرم سنة سبع من المبعث» وقال ابن إسحاق: «فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً» وجزم موسى بن عقبة «بأنها كانت ثلاث سنين حتى أُجهِدُوا، ولم يكن يأتهم من الأقوات إلا خفية، حتى كانوا يؤذون من اطلعوا على انه أرسل إلى بعض أقاربه شيئاً من الصلات» فتح الباري 7/ 241-242.

نقض الصحيفة:

ويستمر هنا الحديث للإمام ابن حجر شارح صحيح البخاري (رحمهم الله) فيقول «وتستمر المقاطعة إلى أن قام في نقض الصحيفة نفر من أشدهم في ذلك صنيعاً هشام بن عمرو بن الحارث العامري، وكانت أم أبيه تحت هشام ابن عبد مناف قبل أن تزوجها جده. فكان يصلهم وهم في الشعب. ثم مشى إلى زهير بن أبي أمية وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب فكلمه في ذلك فوافقه ومشوا جميعاً إلى المطعم بن عدي والى زمعة بن الأسود فاجمعوا على ذلك. فلما جلسوا بالحجر تكلموا في ذلك وأنكروه وتواطؤا عليه. فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل. وفي آخر الأمر اخرجوا الصحيفة فخرقوها وأبطلوا حكمها». وذكر ابن هشام «أنهم وجدوا أن الأرضة قد أكلت جميع ما فيها إلا اسم الله تعالى. وكان خروجهم سنة عشر من المبعث» فتح الباري 7/ 242.

موت أبي طالب ووفاة السيدة خديجة رضي الله عنها:

قال الإمام ابن حجر رحمه الله: «مات أبو طالب عم النبي ﷺ قبل الهجرة بثلاث سنين ومات أبو طالب بعد أن خرجوا بقليل». قال ابن إسحاق «ومات

هو وخديجة في عامٍ واحد فنالت قريش من رسول الله ﷺ ما لم تكن تنله في حياة أبي طالب». ولما لم يثبت عند البخاري شيء من هذه القصة اكتفي بإيراد حديث أبي هريرة لأن فيه دلالة على أصل القصة لان الذي أورده أهل المغازي في ذلك كالشرح لقوله في الحديث «تقاسموا على الكفر» فتح الباري 7/ 242.

قصة أبي طالب:

3883- قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا يحيى عن سفيان، حدثنا عبد الملك، حدثنا عبد الله بن الحارث، حدثنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: «قال للنبي ﷺ ما أغنيتَ عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك». قال: «هو في ضحضاح من النار. ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» فتح الباري 7/ 243.

3884- ويضيف الإمام البخاري رحمه الله في رواية ثانية حول نفس الموضوع والذي أطلق عليه «قصة أبي طالب» قال: حدثنا محمود، حدثنا عبد الرزاق، اخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه: «أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، فقال: إي عمُ. قل لا اله إلا الله كلمة أُحاجُ لكَ بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب ترغَبُ عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب. فقال النبي ﷺ: «لاستغفرنَّ لك ما لم انه عنه». فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة/ 113]. ثم نزل قوله تعالى (عز وجل) بعد ذلك ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص/ 56].

3885- ويستمر الإمام في حديثه عن عم الرسول ﷺ فيقول: حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث، حدثني ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: انه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعلَ في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه» فتح الباري 7/ 243.

ويستشهد الإمام ابن حجر رحمه الله وهو يعمل على شرح صحيح البخاري ويحاول سد الثغرات التي في الصورة عن أي موضوع بما يقدم أهل المغازي من الروايات التي يجدها صحيحة فنجده يقول حول عام الحزن (ذكره ابن إسحاق) قال: «ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عامٍ واحد قبل الهجرة بثلاث سنين وكانت خديجة له وزيرة صدق على الإسلام يسكن إليها. وكان أبو طالب له عَضُداً وناصراً على قومه فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تطمع به في حياة أبي طالب. حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً». فحدثني هشام عن عروة عن أبيه قال: «فدخل رسول الله ﷺ بيته يقول: ما نالتني قريش ما اكرهه حتى مات أبو طالب» فتح الباري 7/ 244.

إسلام أعمام الرسول ﷺ:

يقول الإمام ابن حجر: «اسلم من أعمام الرسول ﷺ اثنان اسمهما يوافق الإسلام حمزة والعباس. واثنان بقيا مشركين هما أبو طالب واسمه عبد مناف وأبو لهب واسمه عبد العزى[1]» فتح الباري 7/ 246.

باب الإسراء ﴿سُبْحَانَ الَّذِي.................. الْأَقْصَا﴾[2]:

3886 - قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب، حدثني أبو سلمه بن عبد الرحمن: سمعتُ جابر بن عبد الله رضي الله عنه «انه سمع رسول الله ﷺ يقول: لما كذبني بنيّ قريش قمتُ في الحجر فجلّى الله لي بيت المقدس فطفقتُ اخبرهم عن آياته وأنا انظر إليه» فتح الباري 7/ 247.

يقول الإمام ابن حجر في تعليقه على ذلك قوله «لمّا كذبني» في رواية

---

(1) يبدو أن أربعة من أعمام رسول الله ﷺ هم من الذين عاصروا دعوته والبقية كانوا قد توفوا قبل ظهور دعوة الرسول ﷺ في مكة. في حين أن أعمام الرسول ﷺ هم تسعة أكبرهم الحارث وكان يكنى به عبد المطلب وحجل وقثم وعبد الكعبة والغيداق وضرار والمقوم والزبير والعباس والحمزة وأبو لهب وأبو طالب. هؤلاء هم أعمام الرسول ﷺ. ينظر المصعب الزبيري، نسب قريش، تحقيق: أ. ليفي برومتسال.

(2) الإسراء، الآية/ 1.

الكشميهني بزيادة مثناة وكلاهما جائز. وقد وقع بيان ذلك في طرقٍ أخرى فروى البيهقي في الدلائل من طريق صالح بن كيسان عن الزهري عن أبي سلمة قال: «افتتن ناس كثير ـ يعني عقب الإسراء ـ فجاء ناس إلى أبي بكر فذكروا له فقال: اشهد انه صادق، فقالوا: وتصدقه بأنه أتى الشام في ليلةٍ واحدةٍ ثم رجع إلى مكة؟ قال: نعم إني أصدقه بأبعد من ذلك. أصدقه بخبر السماء. قال: فسمي بذلك الصديق. فسمعتُ جابراً يقول فذكر الحديث». وفي حديث ابن عباس عند أحمد والبزاز بإسناد حسن قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كان ليلةَ أُسريَ بي بمكة مرَّ بي عدو اللهِ أبو جهل فقال: هل كان من شيء؟ قال رسول الله ﷺ: إني اسري بي الليلة إلى بيت المقدس. قال: ثم أصبحتَ بين أظهرنا؟ قال: نعم، قال: فان دعوت قومك أتحدثهم بذلك؟ قال: نعم، قال: يا معشر بني كعب بن لؤي، قال: فانفضت إليه المجالس حتى جاءوا إليهما، فقال: حدث قومك بما حدثتني، فحدثهم. قال: فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً، قالوا: وتستطيع أن تنعتَ لنا المسجد؟ وفيه انه دخل المدينة من بابها اليماني فصلى في المسجد وفيه انه مَرَّ في رجوعه بعير قريش فسلم عليهم. فقال بعضهم: هذا صوت محمد وفيه انه أعلمهم بذلك وان غيرهم تقدم في يوم كذا فقدمت الظهر يقدمهم الجمل الذي وصفه. وزاد في رواية يزيد بن أبي مالك: «ثم دخلتُ بيتَ المقدس فجمع لي الأنبياء فقدمني جبريل حتى أممتهم» فتح الباري 7/ 251.

باب المعراج:

3887- قال الإمام البخاري رحمه الله في معرض حديثه عن الإسراء والمعراج: حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام بن يحيى، حدثنا قتادة عن أنس ابن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ حدثه عن ليلة اسري به قال: بينما أنا في الحطيم وربما في الحجر مضطجعاً إذ أتاني آتٍ فقد قال: سمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه، فقلتُ للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول: من قصة إلى شعرته. فاستخرج قلبي ثم أُتيتُ بطستٍ من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبي ثم حُشي ثم أعيد ثم أُتيتُ بدابةٍ دون بغل وفوق الحمار ابيض. فقال له الجارود: هو

البراق يا أبا حمزة. قال أنس: نعم يضع خطوة عند أقصى طرفه. فحُملتُ عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح. فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء ففتح. فلما خلصتُ فإذا بها آدم. فقال: هذا أبوك آدم. فسلم عليه. فسلمتُ عليه فرد السلام. ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء. ففتح. فلما خَلَصتُ إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة. قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما. فسلمتُ، فردّا، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء. ففُتح، فلما خلصتُ إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمتُ عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء. ففُتح، فلما خلصتُ فإذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلم عليه، فسلمتُ عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء. فلما خلصتُ فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلم عليه، فسلمتُ عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصتُ فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلم عليه، فسلمتُ عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. فلما تجاوزتُ بكى. قيل له: ما يبكيك؟ قال: ابكي لان غلاماً بُعِثَ من بعدي يدخُلُ الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي. ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل،

قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به ونعم المجيء جاء. ففُتح، فلما خلصتُ فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك فسلم عليه، فسلمتُ عليه، فردَّ السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. ثم رفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نقبها مثلُ قِلالِ هَجر، وإذا وَرقُها مثلُ آذان الفيلة. قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة انهارٍ: نهران باطنان ونهران ظاهران. فقلتُ: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات. ثم رفع لي البيت المعمور. ثم أُتيتُ بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذتُ اللبن، فقال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك. ثم فرضت عليَّ الصلاةُ خمسين صلاةٍ كل يوم، فرجعتُ فمررتُ على موسى، فقال: بما أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، واني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجتُ بني إسرائيل اشد معالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لامتك، فرجعت، فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال: مثله. فرجعتُ فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال مثله. فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله. فرجعتُ فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله. فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، واني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل اشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لامتك. قال سألتُ ربي حتى استحييتُ ولكن أرضى وأُسلم. قال: فلما جاوزتُ نادَ منادٍ أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي». فتح الباري 7/ 254.

يبدو أن رحلة الإسراء والمعراج التي حدثت للرسول ﷺ قد جعلت علماء المسلمين وعلى وجه الخصوص أصحاب السنن والحديث مهتمين بها جداً فقد حاولوا جمع كل الروايات ذات العلاقة بالموضوع وقاموا على تقديمها بشكل سليم ومناقشين لها ومحللين كل هذا من اجل الوصول بالرواية إلى الدقة والأمان. فنجد مثلاً الإمام الحجة ابن حجر العسقلاني يبحث جاهداً من اجل تحقيق ذلك بعد أن قدم العديد من الروايات حول هذا الرحلة المباركة يقدم

لنا رواية أخرى هي في نفس السياق إلا أن فيها إضافات دقيقة تعطي للقارئ الأمان بصدق الرواية.

يقول في حديث أبي سعيد عن إسحاق والبيهقي في الدلائل ولفظه «فإذا أنا بدابةٍ كالبغل مضطرب الأذنين يقال له البراق، كانت الأنبياء تركبه قبلي فركبتهُ» ينظر فتح الباري 7/ 261. فذكر الحديث قال: «ثم دخلتُ أنا وجبريل بيت المقدس فصليتُ ثم أتيتُ بالمعراج» وفي رواية ابن إسحاق: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لما فرغتُ مما كان في بيت المقدس أتي بالمعراج فلم أرَ قط شيئاً أحسن منه وهو الذي يمدُ إليه الميت عينيه إذا حضر، فأصعدني صاحبي فيه حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء» للمزيد ينظر فتح الباري 7/ 261. وقد حفظه ثابت عن أنس عن النبي ﷺ قال: «أتيتُ بالبراق». فوضعه. قال: «فركبته حتى أتيتُ بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء. ثم دخلتُ المسجد فصليتُ فيه ركعتين. ثم خرجتُ فجاءني جبريل بإناءٍ من خمر وإناءٍ من لبن وإناءٍ من عسل فأخذتُ اللبن. فقال: هي الفطرة التي أنتَ عليها (أي دين الإسلام) ثم عرج بي إلى السماء» فتح الباري 7/ 261-269.

موقف الإمام ابن حجر في الإسراء والمعراج هل في اليقظة أم في المنام؟ يقول الإمام حجة الإسلام ابن حجر في ردهِ على هذا الموضوع القول: «ذهب علماء المسلمين إلى القول لو انه أي الإسراء والمعراج كان بالنوم أو مناماً ما كذبه كفار فيه ولا فيما هو ابعد منه. وإذا كان ذلك في اليقظة أي الإسراء وكان المعراج في تلك الليلة تعين أن يكون في اليقظة أيضاً إذ لم يقل أحد انه نام لما وصل إلى بيت المقدس ثم عرج به وهو نائم وإذا كان في اليقظة فإضافة الرؤيا إلى العين للاحتراز عن رؤيا القلب وقد اثبت الله تعالى رؤيا القلب في القرآن فقال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم/ 11]، 7/ 261-269. ورؤيا العين فقال: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم 17-18] وروى الطبراني في «الأوسط» بإسناد قوي عن ابن عباس قال: «رأى محمد ربه مرتين» ومن وجه آخر قال: «نظر محمد إلى ربه» جعل الكلام لموسى والخلة لإبراهيم والنظر لمحمد، فإذا تقرر ذلك ظهر أن مراد ابن عباس هنا برؤية العين المذكورة جميع ما ذكره ﷺ في تلك الليلة من الأشياء التي تقدم ذكرها، وفي ذلك رد لمن قال: المراد بالرؤيا في هذه الآية

رؤيا ﷺ انه دخل المسجد الحرام المشار إليه بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الفتح/ 27]. قال هذا القائل: والمراد بقوله: ﴿فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء/ 60] ما وقع من صد المشركين له في الحديبية عن دخول المسجد الحرام انتهى. وهذا وان كان يمكن أن يكون مراد الآية لكن الاعتماد في تفسيرها على ترجمان القرآن أولى، والله اعلم. واختلف السلف هل رأى ربه في تلك الليلة أم لا؟ على قولين مشهورين، وأنكرت ذلك عائشة رضي الله عنها وطائفة، وأثبتها ابن عباس وطائفة. وسيأتي بسط ذلك في الكلام على حديث عائشة حيث ذكره المصنف بتمامه في تفسير سورة النجم من كتاب التفسير إن شاء الله تعالى. فتح الباري، المكان نفسه.

الصلاة ليلة الإسراء والمعراج:

قال الإمام المحدث ابن حجر حديثه عن الإسراء والمعراج فقيل: كان من أول البعثة وكان ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي وإنما الذي فرض ليلة الإسراء والمعراج الصلوات الخمس وهذا يعني السيدة خديجة رضي الله عنها صلت مع رسول الله ﷺ الصلاة الأولى وقبل أن تفرض الصلوات الخمس لأنها كانت قد توفيت قبل رحلة الإسراء والمعراج ويقول كذلك «ذهب أصحاب السنن إلى أن الإسراء والمعراج وقع في ليلة واحدة» 7/ 248-255.

سجود قريش عند نزول سورة النجم:

3853 - قال الإمام البخاري رحمه الله في معرض حديثه عن هذه الحادثة: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن الأسود عن عبد الله رضي الله عنه قال: «قرأ النبي سورة النجم فسجد. فما بقي أحد إلا سجد إلا رجل رأيته اخذ كفاً من حصى فرفعه فسجد عليه وقال: هذا يكفيني[1]. فلقد رأيته قتل كافراً بالله» فتح الباري 7/ 218.

(1) ذهبت بعض الروايات عند أهل السير والمغازي بان الرجل المقصود بذلك هو الوليد بن المغيرة والذي كان في نهاية العهد المكي قد رمي عظمه وطال عمره فلم يقو على السجود فأخذ حصباء من الأرض ووضعها على جبينه وكان من ألد المعادين لدعوة الرسول ﷺ وهو الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ وهو أبو خالد القائد العسكري سيف الله المسلول.

باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومها المدينة وبنائها بها:

قد يدخل هذا الموضوع في زوجات النبي محمد ﷺ وإننا نلحظ بأن الإمام البخاري رحمه الله قد آثر تقديم زواج السيدة عائشة على زواج الرسول ﷺ من السيدة سودة بنت زمعة لأسباب قد يراها هو انسب في حين نرى أن كلتا الزيجتين قد حصلتا في وقتٍ واحد تقريباً.

3894 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثني فروة بن أبي الغراء، حدثنا علي بن مُسهر عن هشام عن عائشة رضي الله عنها قالت: «تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين فقدمنا المدينة، فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج فوعكت فتمرق شعري فوفى جميمة، فأتتني أمي أم رومان ـ واني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي، فصرخت بي فأتيتها لا ادري ما تريد مني فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار. واني لأنهج حتى سكن بعض نفسي. ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ثم أدخلتني الدار. فإذا نسوةً من الأنصار في البيت فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر. فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى فأسلمتني إليه وأنا يومئذٍ بنتُ تسع سنين» فتح الباري 7/ 279.

3896 - وفي مقطع آخر يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال: «توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين فلبث سنين أو قريباً من ذلك. ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ثم بنى بها بنت تسع سنين» فتح الباري 7/ 279.

زواجه ﷺ من السيدة سودة رضي الله عنها:

قال الإمام ابن حجر رحمه الله وقد روى أحمد والطبراني بإسناد حسن عن عائشة قالت: «لما توفيت السيدة خديجة قالت خولة بنت الحكيم امرأة عثمان ابن مظعون: يا رسول الله ألا تتزوج؟ قال: نعم. فما عندك؟ قالت: بكر وثيب. البكر بنت أحب خلق الله إليك عائشة. والثيب سودة بنت زمعة. قال: فاذهبي فأكريمهما عليّ. فدخلت على أبي بكر فقال: إنما هي بنت أخيه. قال: قولي له أنت أخي في الإسلام وابنتك تصلح لي. فجاءه فانكحه. ثم

دخلت على سودة فقالت لها: اخبري أبي، فذكرت له فزوجه» فتح الباري 7/ 281.

باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة:

يتناول الإمام البخاري رحمه الله أحداث السيرة النبوية ضمن منهج معين يقوم على تقديم الأحداث وفق منهج فقهي لا يستند إلى منهج تاريخي وهذا قد يسبب تقديم أو تأخير في عرض أحداث السيرة النبوية ولكن مع ذلك حاولنا عرض الأحداث وفق منهج يعتمد المنهج التاريخي إلى حدٍ ما حتى يتمكن القارئ من تتابع الأحداث وسيرها في المرحلتين المكية والمدنية.

3892 - يقول الإمام رحمه الله: حدثني إسحاق بن منصور، اخبرنا يعقوب عن إبراهيم ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال: اخبرنا أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله: أن عبادة بن الصامت من الذين شهدوا بدراً مع رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف. فمن وفى منكم فأجره على الله. ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فأمره إلى الله وان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه. قال: فبايعناه على ذلك» فتح الباري 7/ 274.

ويستكمل الإمام ابن حجر فيقول: من حديث جابر «كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول: «هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً منعوني أن ابلغ كلام ربي» فتح الباري، 7/ 275. قال: «ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج وهم الذين سماهم رسول الله ﷺ بالأنصار لكونهم أجابوه إلى إيوائه ونصره».

ويستند هنا الإمام ابن حجر إلى ما ذكره أهل المغازي فيقول: «وذكره ابن إسحاق أن أهل العقبة الأولى كانوا ستة نفر وهم: أبو امامة اسعد بن زرارة النجاري ورافع بن مالك العجلان العجلاني، وقطبة بن عامر بن حديدة وجابر ابن عبد الله بن رئاب وعقبة بن عامر - وهؤلاء الثلاثة من بني سلمة - وعوف

ابن الحارث بن رفاعة من بني مالك بن النجار» فتح الباري 7/ 275.

وقال موسى بن عقبة عن الزهري[1]، وأبو الأسود عن عروة: هم أسعد بن زرارة ورافع بن مالك ومعاذ بن عفراء ويزيد بن ثعلبة وأبو الهيثم ابن التيهان وعويم بن ساعدة ويقال كان فيهم عبادة بن الصامت وذكوان» فتح الباري 7/ 275.

ويستمر الإمام في عرض ما قدمه أهل السير والمغازي فيقول: قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن أشياخ من قومه قال: «لما رآهم النبي ﷺ قال: من انتم؟ قالوا: من الخزرج. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: نعم. فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، وكان مما صنع الله لهم أن اليهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب. وكان الأوس والخزرج أكثر منهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا: إن نبياً سيبعث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه. فلما كلمهم النبي ﷺ عرفوا النعت. فقال بعضهم لبعض: لا تسبقنا إليه اليهود فآمنوا وصدقوا وانصرفوا إلى بلادهم ليدعوا قومهم فلما اخبروهم لم يبقَّ دور من قومهم إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ حتى إذا كان الموسم وافاه منهم اثنا عشر رجلاً» فتح الباري 7/ 275.

ويستمر الإمام ابن حجر رحمه الله في الحديث عن كل تلك الروايات ذات العلاقة بموضوع العقبة الأولى والثانية ولا سيما تلك التي قدمها أصحاب المغازي والسير فهو يقول لنا ذكر ابن إسحاق: «أن النبي ﷺ بعث مع الاثني عشر رجلاً مصعب بن عمير العبدري وقيل بعثه إليهم بعد ذلك بطلبهم ليفقههم ويقرئهم فنزل على أسعد بن زرارة». وفي حديث ابن عباس: «أن النبي ﷺ كتب إلى مصعب بن عمير أن اجمع بهم، فاسلم خلق كثير من الأنصار على يد مصعب بن عمير بمعاونة اسعد بن زرارة حتى فشا الإسلام بالمدينة، فكان ذلك سبب رحلتهم السنة المقبلة حيث وافى منهم العقبة سبعون مسلماً وزيادة فبايعوه» فتح الباري 7/ 278.

---

(1) هو الإمام الزهري صاحب الزهريات وهو شيخ ابن إسحاق وهو أول من دوّن أحاديث في السيرة النبوية ويعد شيخ المحدثين.

العقبة الثانية:

يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قال ابن إسحاق: حدثني معبد بن كعب بن مالك أن أخاه عبد الله كان من أعلم الأنصار ـ حدثه أن أباه كعباً حدثه وكان ممن شهد العقبة وبايع بها قال: «خرجنا حجاجاً مع مشركي قومنا وقد وصلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا فذكر شأن صلاته إلى الكعبة، قال: فلما وصلنا إلى مكة لم نكن رأينا رسول الله ﷺ قبل ذلك فسألنا عنه فقيل: هو مع العباس في المسجد فدخلنا فجلسنا إليه، فسأله البراء عن القبلة ثم خرجنا إلى الحج وواعدناه العقبة ومعنا عبد الله بن عمرو والد جابر ولم يكن اسلم قبل فعرفناه أمر الإسلام فاسلم حينئذٍ وصار من النقباء. قال: فاجتمعنا عند العقبة ثلاثة وسبعين رجلاً ومعنا امرأتان أم عمارة بنت كعب إحدى نساء بني مازن وأسماء بنت عمرو بن عدي إحدى نساء بني سلمة. قال: فجاء ومعه العباس فتكلم فقال: إن محمد منا من حيث علمتم وقد منعناه وهو في عز فان كنتم تريدون إنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفوه. فانتم وذاك وإلا فمن الآن. قال: فقلنا: تكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ما أحببت، فتكلم فدعا إلى الله وقرأ القرآن ورغّب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم. قال: فأخذ البراء بن معرور بيده فقال: نعم. وفيه قال رسول الله ﷺ: أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم. ثم قال: اخرجوا إليّ منكم اثنا عشر نقيباً. وذكر ابن إسحاق النقباء وهم (اسعد بن زرارة ورافع بن مالك والبراء بن معرور وعبادة ابن الصامت وعبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة وسعد بن عبادة والمنذر بن عمرو بن حبيش وأسيد بن حضير وسعد بن خثيمة وأبو الهيثم بن التيهان)» فتح الباري 7/ 276.

ويستكمل الإمام الحجة ابن حجر هذه الروايات بالقول: قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم «أن رسول الله ﷺ قال للنقباء: انتم كفلاء قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، قالوا: نعم. وذكر أن قريشاً بلغهم أمر البيعة فأنكروا عليهم، فحلف المشركون فهم كانوا أكثر منهم ـ قيل كانوا خمسمائة نفس ـ إن ذلك لم يقع وذلك لأنهم ما علموا شيء مما جرى» فتح الباري 7/ 276.

يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وعند أحمد بإسناد حسن وصححه الحاكم وابن حبان عن جابر مثله وأوله: «مكث رسول الله ﷺ عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم بمنى وغيرها، يقول: من يؤديني؟ من ينصرني؟ حتى ابلغ رسالة ربي وله الجنة. حتى بعثنا الله له من يثرب فصدقناه. فذكر الحديث حتى قال له: فرحل إليه منا سبعون رجلاً فوعدناه بيعة العقبة فقلنا: علمَ نبايعك؟ فقال: على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تنصروني إذا قدمتُ عليكم يثرب. فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة» فتح الباري 7/ 278.

ويواصل الإمام ابن حجر عرض مسالة البيعة لما لها من أهمية كبيرة في أحداث السيرة لأنها كانت فاصلة ما بين مرحلتين المرحلة المكية والمرحلة المدنية فيقول: «انطلق رسول الله ﷺ ومعه العباس عمه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة فقال له أبو أُمامة (اسعد بن زرارة): سل يا محمد لربك ولنفسك ما شئت ثم اخبرنا ما لنا من الثواب. قال: أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تؤونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم. قالوا: فما لنا؟ قال: الجنة. قالوا ذلك لك». أخرجه أحمد في مسنده، فتح الباري 7/ 278.

يوم بعاث[1]:

عاشت يثرب قبل هجرة الرسول ﷺ إليها ردحاً من الزمن في حروب داخلية سماها المؤرخون بالأيام ابتدأت بيوم سمير وانتهت بيوم بُعاث. تلك الحروب الداخلية التي استمرت قرن ونيف من الزمان هلكت عندهم الأخضر باليابس فقدوا الأمن والأمان وتردت أحوالهم السياسية والاقتصادية أذكى نار

(1) بعاث: هو يوم من أيام الأوس والخزرج التي استمرت عدة أيام وكانت آخر أيامهم وبعاث هي منطقة تقع في مدينة يثرب قريبة من جبل أحد، وهي ضاحية من ضواحي يثرب وقيل هي حصن من حصون يثرب وقيل غير ذلك فهي مزرعة عند بني قريظة على ميلين من المدينة. ويقال هي موضع عند أعلى القروراً وهي التي قالت فيها السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إن الله اصطنع بعاث لخير الإسلام».

الحقد بينهم اليهود من بني قينقاع والنضير وقريظة ولهذا عدت بعاث من الأيام المشهورة عندهم، وعليه نجد أن الإمام البخاري رحمه الله لا يذكر من حروبهم إلا بعاث. حيث كاد البعض منهم يستأصل البعض.

3930 - قال الإمام رحمه الله: حدثنا عبيد الله بن سعيد، حدثنا أبو أسامه عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يوم بعاث يوماً قدمه الله عز وجل لرسوله ﷺ فقدم رسول الله ﷺ المدينة وقد افترق ملؤهم وقتلت سراتهم في دخولهم في الإسلام» فتح الباري 7/ 330.

باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة:

قال الإمام البخاري رحمه الله وقال عبد الله بن زيد وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «لولا الهجرة لكنتُ إمراءً من الأنصار» فتح الباري 7/ 281.

ويضيف الإمام بقوله: وقال أبو موسى عن النبي ﷺ: «رأيتُ في المنام أني أهاجر من مكة إلى ارض نخل. فذهب وَهَلي إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب» فتح الباري 7/ 281.

3898 - ويقول الإمام البخاري رحمه الله في باب الهجرة: حدثنا مسُدّد، حدثنا حماد هو ابن زيد عن يحيى عن محمد بن إبراهيم عن علقمة بن وقاص قال: سمعتُ عمر رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ أراه يقول: الأعمال بالنيات. فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه، ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ﷺ» فتح الباري 7/ 282.

3899 - وفي مقطع آخر يضيف الإمام فيقول: حدثني إسحاق بن يزيد الدمشقي، حدثنا يحيى بن حمزة قال: حدثني أبو عمرو الاوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد بن جبر المكي «أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يقول: لا هجرة بعد الفتح» فتح الباري 7/ 282.

3902 - ويقول الإمام وحدثني مطر بن الفضل، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا هشام، حدثنا عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه. ثم أُمر بالهجرة

فهاجر عشر سنين. ومات وهو ابن ثلاث وستين» فتح الباري، 7/ 283، «وفي رواية أخرى 3851 ثم توفي ﷺ» ينظر فتح الباري 7/ 205.

حديث أبو بكر الصديق ﷺ عن هجرته مع الرسول ﷺ:

3652- قال الإمام البخاري ﷺ: حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: «اشترى أبو بكر ﷺ من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهماً فقال أبو بكر لعازب: مُر البراء فليحمل إليّ رحلي. فقال عازب: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم، قال: ارتحلنا من مكة فأحيينا ـ أو سرينا ـ ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة فرميت ببصري هل أرى من ظل فآوي إليه فإذا صخرة أتيتها فنظرتُ بقية ظل لها فسويته. ثم فرشت للنبي ﷺ فيه ثم قلتُ له: اضطجع يا نبي الله، فاضطجع النبي ﷺ ثم انطلقتُ انظر حولي هل أرى من الطلب أحداً؟ فإذا أنا براعي يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردنا فسألته فقلت له: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش سماه فعرفته. فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، قلت: فهل أنت حالب لنا؟ قال: نعم، فأمرته فاعتقل شاة من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار. ثم أمرته أن ينفض كفيه فقال هكذا ضرب إحدى كفيه بالأخرى فحلب لي كثبة من لبن. وقد جعلت لرسول الله ﷺ اداوة على فمها خرقة. فصببت على اللبن حتى يرد أسفله فانطلقتُ به إلى النبي ﷺ فوافقته قد استيقظ فقلتُ: اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت. ثم قلتُ: قد آن الرحيل يا رسول الله. قال: بلى فارتحلنا والقوم يطلبوننا. فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرسٍ له. فقلتُ: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله. فقال: لا تحزن إن الله معنا» فتح الباري 7/ 11-12.

3653- ويضيف الإمام البخاري ﷺ في موضوع الهجرة فيقول: حدثنا محمد بن سنان، حدثنا همام عن ثابت عن أنس عن أبي بكر ﷺ قال: «قلتُ للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن احدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما» فتح الباري 7/ 12-13.

هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة:

قال الإمام ابن حجر في شرح صحيح البخاري (رحمهما الله): فقال النبي ﷺ للمسلمين: «إني أُريتُ دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بأرض الحبشة إلى المدينة. وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله ﷺ: على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي» فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر ـ وهو الخبط ـ أربعة أشهر» فتح الباري 7/ 288.

ويستمر الإمام ابن حجر في روايته لهجرة الرسول ﷺ وهو يشرح صحيح الإمام البخاري (رحمهما الله) قال: قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة: «فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله متقنعاً ـ في ساعة لم يكن يأتينا فيها ـ فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي والله ما جاء في هذه الساعة إلا أمر».

قالت السيدة عائشة كما روى ذلك الإمام ابن حجر: «فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له. فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أخرج مَن عندك فقال أبو بكر: إنما هم اهلك بابي أنت يا رسول الله. قال: فاني قد أُذِنَ لي في الخروج. فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: نعم. قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتين هاتين. قال رسول الله ﷺ: بالثمن. قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز. وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق» فتح الباري 7/ 288.

ثم قال: «ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن. فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت. فلا يسمع أمراً يكتادون به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام. ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبو بكر منحة من غنم فيريحهما عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل ـ وهو لبن منحتهما ورضيفهما ـ حتى

ينعق بها عامر بن فهيرة بفلس. يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث. واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هادياً خريتاً - والخرّيت الماهر بالهداية - قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا إليه راحليتهما. وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحليتهما صُبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فاخذ بهم طريق الساحل» فتح الباري 7/ 289.

ويقول الإمام ابن حجر رحمه الله: «وقيل إن رسول الله ﷺ خرج ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه إنهما من خوخة من ظهر أبي بكر» فتح الباري 7/ 294.

ويضيف الإمام ابن حجر في مقطع آخر وهو يحاول أن يلم بكل الروايات المتعلقة بحديث الهجرة: «وذكر محمد موسى الخوارزمي قال: انه خرج من مكة يوم الخميس: قلت يجمع بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لأنه أقام في ثلاث ليال. فهي ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد وخرج في أثناء ليلة الاثنين». ووقع في رواية ابن هشام بن عروة عند ابن حبان: «فركبا حتى أتيا الغار وهو ثور فتواريا فيه». وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: «فرقد علي على فراش رسول الله ﷺ يواري عنه. وباتت قريش تختلف وتأتمر أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه. حتى أصبحوا فإذا هم بعلي فسألوه، فقال: لا علم لي. فعلموا انه فرَّ منهم». وقال ابن إسحاق: «إن جبريل أمره لا يبيت على فراشه. فدعا علياً فأمره أن يبيت على فراشه ويسجى ببرده الأخضر. ففعل ثم خرج النبي ﷺ على القوم ومعه حفنة من تراب جعل ينثرها على رؤوسهم وهو يقرأ ﴿يسٓ ۝١﴾ إلى ﴿فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يس/ 9]».

وذكر أحمد من حديث ابن عباس بإسناد حسن في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال/ 30].

قال الإمام أحمد رحمه الله: «تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي ﷺ. وقال بعضهم: بل اقتلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه. فاطلع الله نبيه على ذلك، فبات عليّ على فراش النبي ﷺ تلك الليلة وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار. وبات المشركون

يحرسون علياً، فلما أصبحوا رأوا علياً رد الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا ادري فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت. فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه. فمكث فيه ثلاث ليال» فتح الباري 7/ 295.

«فخرجوا (قريش) في كل وجه يطلبونه». وذكر الواقدي «أن قريشاً بعثوا في أثرهما قائفين احدهما كرز بن علقمة فرأى كرز بن علقمة نسج العنكبوت فقال: ههنا انقطع الأثر. ولم يسّم الأخر وسماه أبو نعيم في الدلائل من حديث زيد بن أرقم وغيره سراقة بن جعشم» فتح الباري 7/ 295.

3906 - قال الإمام البخاري رحمه الله» قال ابن شهاب: واخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي ـ وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم، أن أباه اخبره انه سمع سراقة بن جعشم يقول: «جاءنا رُسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبا بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذا اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة، إني قد رأيتُ آنفاً أسورة بالساحل. أراها محمد وأصحابه، قال سراقة: فعرفتُ أنهم هم فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً. انطلقوا بأعيننا. ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلتُ فأمرتُ جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها عليّ. وأخذتُ رمحي فخرجتُ به من ظهر البيت فخططت بزجةِ الأرض. وخفضت عالية حتى اثبت فرسي فركبتها فرفعتها بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فحررت عنها فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا؟ فخرج الذي اكره فركبت فرسي ـ وعصيت الأزلام ـ تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين. فخررت عنها ثم زجرتها. فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عنان ساطع في السماء مثل الدخان. فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي اكره فنادى فيهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت له إن قومك قد جعلوا فيك الدية. وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم

وعرضت عليهم الزاد والمتاع. فلم يرزاني ولم يسألاني إلا أن قال: اخف عنا. فسألته أن يكتب لي كتاب آمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من آدم ثم مضى رسول الله ﷺ» فتح الباري 7/ 298.

3922 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا همام عن ثابت عن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي ﷺ في الغار فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم فقلت يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا قال: اسكت يا أبا بكر اثنان ثالثهما الله» فتح الباري 7/ 321.

3925 - ويستمر الإمام بقوله: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم كلثوم وكانوا يُقرِئون الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ثمة قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب الرسول ﷺ ثم قدم النبي ﷺ فما رأيتُ أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الإماء يقلن قدم رسول الله ﷺ فما قدم حتى قرأت: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [الأعلى/ 1]».

وصول الرسول ﷺ المدينة:

ونحن نستعرض أحداث الهجرة النبوية المباركة كما قدمها الإمام البخاري رحمه الله وكما شرحها الإمام العلامة ابن حجر وشاهدنا الدقة في عرض الروايات وسلامتها وهاهو الإمام ابن حجر مواصل حديثه فيقول: قال ابن شهاب: فاخبرني عروة بن الزبير: «أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام. فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبو بكر ثياب بياض. وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم فلما آووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه. فبصر برسول الله وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته يا معاشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة. فعدل بهم ذات اليمن حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف. وذلك يوم الاثنين من

شهر ربيع الأول. فقام أبو بكر للناس. وجلس رسول الله ﷺ صامتاً فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يَرَ رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك. فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشر ليلة وأسس المسجد» فتح الباري، 7/ 306. «الذي أسس على التقوى صلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس. حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربداً للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر سعد بن زرارة فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل. ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً فقالا: لا بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبةً حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجداً وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن:

هذا الحِمالُ لا حِمالَ خَيبر هذا أبرُّ ربّنا وأظهر»

فتح الباري 7/ 299

ويقول كذلك وهو يرتجز:

اللهم إن الأجر أجرُ الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

فتح الباري7/ 299

وذكر الزبير من طريق مجمع بن زيد، قال قائل من المسلمين في ذلك:

لئن قعدنا والنبي يعمل ذاك إذاً للعمل المضلل

فتح الباري 7/ 309

يقول الإمام ابن حجر في شرحه لصحيح الإمام البخاري: «لما قدم المدينة يعني رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة فأحضر زوجته سودة بنت زمعة وبنتيه فاطمة وأم كلثوم وأم أيمن زوج زيد بن حارثة وابنها أسامة وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر ومعه أم رومان وأختاه عائشة وأسماء فقدموا والنبي ﷺ يبني مسجده» فتح الباري 7/ 311. وروى ابن شهاب عن مجمع بن حارثة «انه أقام اثنتين وعشرين ليلة في بني عمرو بن عوف» فتح الباري 7/ 306.

نزول الرسول ﷺ المدينة:

3911 - قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثني محمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أُبي حدثنا عبد العزيز بن صهيب حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرة ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا إلى نبي الله ﷺ وأبي بكر فسلموا عليهما وقالوا اركبا آمنين مطاعين. فركب نبي الله ﷺ وأبو بكر وحفوا دونهما بالسلاح. فقيل في المدينة جاء نبي الله، جاء نبي الله ﷺ فاشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبي الله فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب فانه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف لهم فعجل أن يضع الذي يخترف لهم فيها فجاء وهي معه فسمع من نبي الله ﷺ ثم رجع إلى أهله فقال نبي الله ﷺ: «أي بيوت أهلنا اقرب؟» فقال أبو أيوب: «أنا يا نبي الله هذه داري وهذا بابي» قال: «فانطلق فهيئ لنا مقيلاً» قال: «قوما على بركة الله».

باب كيف آخى النبي بين أصحابه:

من المعلوم لدينا أن الرسول ﷺ بعد وصوله المدينة وهو يبني مسجده عمل على إزالة أسباب العداء المستحكم ما بين الأوس والخزرج وهذا مهم جداً بالنسبة إلى الرسول ﷺ لأنه يريد بعد نجاح هجرته إلى المدينة أن يقيم دولة الإسلام فيها فلا بد من أن تكون ركائز الدولة قد بنيت على أسس سليمة فالعداء ما بين الأوس والخزرج كان قد استحكم ومضى على هذا العداء أكثر من قرن ونيف من الزمان فمن الواجب إذن وقبل إجراء أية إصلاحات داخل المدينة إعادة بناء اللحمة الاجتماعية ما بين الأوس والخزرج فنرى أن المؤاخاة التي أقامها الرسول ﷺ هي في حقيقة الأمر ثلاث مؤاخاة، الأولى كانت في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ما بين المسلمين من قريش والموالي والعبيد من حلفائهم ثم المؤاخاة ما بين الأنصار أنفسهم عندما عمل على إزالة أسباب العداء الذي كان سائداً عندهم، ثم جاءت المرحلة الثالثة والختامية هي تحقيق المؤاخاة ما بين المهاجرين والأنصار وكانت مرحلة مهمة جدا في تحيق وحدة الدولة الإسلامية والتي عليها قام المجتمع الإسلامي بعد ذلك.

3937 - يحدثنا الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه المرحلة فيقول: حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن حميد عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله. فقال عبد الرحمن: «بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلني على السوق». فربح شيئاً من أقط وسمن. فرآه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وَضرّ من صفرةٍ. فقال النبي ﷺ: «مهيم يا عبد الرحمن؟» قال: «يا رسول تزوجتُ امرأة من الأنصار» قال: «فما سُقتَ فيها؟» فقال: «وزن نواة من ذهب». فقال النبي ﷺ: «أولم ولو بشاة» فتح الباري 7/ 338.

3780 - وفي رواية أخرى وبنفس الموضوع يحدثنا الإمام فيقول: حدثنا إسماعيل ابن عبد الله قال: حدثني إبراهيم ابن سعد عن أبيه عن جده قال: «لما قدموا المدينة آخى رسول الله بين عبد الرحمن وسعد بن الربيع قال لعبد الرحمن: «إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم مالي نصفين ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها فإذا انقضت عدتها فتتزوجها». قال: «بارك الله لك في أهلك ومالك أين سوقكم؟» فَدَلّوه على سوق قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ثم تابع الغدو» فتح الباري 7/ 142.

باب مناقب الأنصار:

من الأدلة التي نسوقها لبيان رأينا في أن المؤاخاة مرت بعدة مراحل وغفل عن ذكرها أصحاب المغازي والسير ما ذهب إليه ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عند شرحه لصحيح البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ فنراه يقول: قال ابن عبد البر: «كانت المؤاخاة مرتين، مرة بين المهاجرين خاصة وذلك بمكة ومرة بين المهاجرين والأنصار» فتح الباري، 7/ 338. ذكر ابن حجر بأسانيد الواقدي إلى جماعة من التابعين قالوا: «لما قدم النبي ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين وآخى بين المهاجرين والأنصار على المؤاساة وكانوا يتوارثون وكانوا تسعين نفساً بعضهم من المهاجرين وبعضهم من الأنصار وقيل كانوا مئة فلما نزل ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ [الأنفال/ 75] بطلت المواريث بينهم بتلك المؤاخاة».

ويقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قال السهيلي: «آخى بين أصحابه ليذهب عنهم وحشة الغربة ويتآسوا من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد بعضهم أزر بعض

فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث وجعل المؤمنين كلهم إخوة وانزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات/ 10]، واختلفوا في ابتدائها فقيل بعد الهجرة بخمسة أشهر وقيل بتسعة أشهر وقيل وهو يبني المسجد وقيل قبل بنائه. وقيل بسنة وثلاثة أشهر قبل بدر. وكان الإخاء بينهم في المسجد» فتح الباري 7/ 338.

وتناول العديد من الباحثين المعاصرين من المشتغلين بدراسة السيرة النبوية مسألة المؤاخاة وحاولوا أن يثبتوا بأنها كانت عبارة عن أزمة اقتصادية عاشها المهاجرون بعد أن هاجروا من مكة تاركين أموالهم ومتاعهم قد يبدو هذا لأول وهلة صحيح إلا انه في حقيقة الأمر ليس إلا جانباً ثانوياً من المسألة فالرسول ﷺ عندما هاجر إلى المدينة ورغب في إقامة دولة الإسلام كان لا بد له أن يحول ولاء المسلمين من ولاء العشيرة والدم إلى ولاء خالص لله (عز وجل) وللإسلام وعقيدة التوحيد فهو بعد برهة من الزمن سوف يخرج من المدينة لمقاتلة المشركين فلا بد له من توحيد صفوف المسلمين الذين أصبحوا الآن من مختلف القبائل العربية وان النظام القبلي الذي كان سائداً في جزيرة العرب يقوم على الولاء للدم وللعصبية القبلية فكانت إذن عملية تحقيق المؤاخاة بهذه الوسيلة أي الانتقال من الولاء للشيخ أو الدم إلى الولاء لله والدين مسألة جداً مهمة ونجاح الرسول ﷺ في تحقيقها كان له ابلغ الأثر في تحقيق انتصاراته على مشركي القبائل العربية.

اليهود:

3941 - ويقول الإمام البخاري رحمه الله في اليهود: حدثنا مسلم ابن إبراهيم حدثنا قرة عن محمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود» فتح الباري 7/ 342.

3938 - ويقول كذلك: حدثني حامد بن عمر عن بشر بن المفضل حدثنا حميد حدثنا أنس أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء فقال: «إني سائلُك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعامٍ يأكله أهل الجنة؟ وما مال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟» قال: «اخبرني به جبريل آنفاً». قال ابن سلام: «ذاك عدو اليهود من

الملائكة» قال: «أما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعامٍ يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد» فتح الباري، 7/ 340 قال: «اشهد أن لا اله إلا الله وانك رسول الله» قال: «يا رسول الله إن اليهود قومٌ بهت فاسألهم عني» فتح الباري، 7/ 340.

ويستمر الإمام ابن حجر يتحدث عن ابن سلام وهو يشرح صحيح البخاري فيقول: «فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام. فقال: «اشهد انك رسول الله وانك جئت بالحق وقد علمت يهود إني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيّ ما ليس فيّ». فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه. فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله الذي لا اله إلا هو، إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، واني جئتكم بحق فاسلموا». قالوا: «ما نعلمه»- قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاث مرات قال: «فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟» قالوا: «ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا» قال: «أفرأيتم إن اسلم؟» قالوا: «حاشا لله ما كان ليسلم» قال: «أفرأيتم إن اسلم؟» قالوا: «حاشا لله ما كان ليسلم» قال: «أفرأيتم إن اسلم؟» قالوا: «حاشا لله ما كان ليسلم» قال: «يا ابن سلام اخرج عليهم» فخرج فقال: «يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله الذي لا اله إلا هو إنكم لتعلمون انه رسول الله وانه جاء بالحق» فقالوا: «كذبت» فأخرجهم رسول الله ﷺ فتح الباري 7/ 313.

اليهود في المدينة:

عند الحديث عن اليهود في المدينة من خلال ما قدمه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه وجدنا أن هناك تقديم وتأخير في عرض الروايات التاريخية وأنها أحياناً لا تستوي مع السياق الزمني للحدث بل هناك تقديم وتأخير في عرض القضية الواحدة إضافة إلى ذلك ومن أجل تحقيق وحدة الموضوع وحتى يكون القارئ الكريم متبصراً بأحوال يهود المدينة بقبائلهم الثلاث قينقاع والنضير وقريظة وجدنا انه من المناسب جمع هذه الروايات

وتقديمها تحت عنوان واحد هو (اليهود في المدينة) حيث سيتم عرض كافة الروايات التي قدمها الإمام كما هي إلا أنها ستكون تحت عنوان واحد وضمن سقف زمني واحد.

من المعروف لدينا أن اليهود كذّبوا رسول الله ﷺ بل ناصبوه العداء في المدينة وكانوا عوناً للمنافقين في أعمالهم وأفعالهم التي أساءت إلى الرسول ﷺ والمسلمين في المدينة بل أمدّوا أعداء الإسلام من المشركين بكل السبل والعون من اجل إزالة دولة الإسلام من المدينة وهذا ما سنراه واضحاً عند استعراضهم وكما أورده البخاري في صحيحه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويهود بني قينقاع هم أول يهود المدينة من الذين اظهروا حقدهم على الإسلام ورسوله.

يحدثنا ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنهم فيقول: «قينقاع هو بالنصب على البدلية ونون قينقاع مثلثة والأشهر فيها الضم».

كانوا أول من أُخرج من المدينة وروى ابن إسحاق في المغازي عن أبيه عن عبادة بن الوليد عن عبادة بن الصامت قال: «لما حاربت بنو قينقاع قام بأمرهم عبد الله بن أُبي فمشى إلى عبادة بن الصامت وكان له من حلفهم مثل الذي لعبد الله ابن أُبي فتبرأ عبادة منهم» قال: فنزلت ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ . . . ﴾ إلى قوله تعالى ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة/ 51-52]. وكان عبد الله بن أُبي لما سأل النبي ﷺ أن يمن عليهم قال: «يا محمد إنهم منعوني من الأسود والأحمر. واني امرؤ أخشى الدوائر» فوهبهم له. وذكر الواقدي أن إجلاءهم كان في شوال سنة اثنتين بعد بدر بشهر، فتح الباري 7/ 415.

ويؤيده ما روى ابن إسحاق بإسناد حسن عن ابن عباس قال: «لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر جمع يهود في سوق بني قينقاع فقال: «يا يهود اسلموا قبل أن يصيبكم ما أصاب قريشاً يوم بدر». فقالوا: «إنهم كانوا لا يعرفون القتال ولو قاتلتنا لعرفت أنّا الرجال» فأنزل الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ . . .﴾ إلى قوله تعالى ﴿. . . لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران/ 12-13].

باب قتل كعب بن الأشرف:

4037 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حادثة قتل كعب بن الأشرف

اليهودي: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف؟ فانه قد آذى الله ورسوله» فقام محمد بن سلمه فقال: «يا رسول الله أتحب أن أقتله؟» قال: «نعم» قال: «فأذن لي أن أقول شيئاً» قال: فأتاه محمد بن سلمة فقال: «إن هذا الرجل قد سألنا صدقة وانه قد عنانا واني قد أتيتك أستسلفك» قال: «وأيضاً والله لتملُنّه» قال: «إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين» فقال: «نعم. ارهنوني». قالوا: «أي شيء تريد؟» قال: «ارهنوني نساءكم» قالوا: «كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟» قال: «فارهنوني أبناءكم» قالوا: «كيف نرهنك أبناءنا فيسب احدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عارٌ علينا ولكنا نرهنك اللامة». قال سفيان يعني السلاح. فواعده إلى أن يأتيه فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو اخو كعب من الرضاعة. فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم. فقالت له امرأته: «أين تخرج هذه الساعة؟» فقال: «إنما هو محمد بن سلمه وأخي أبو نائلة» وقال: «غير عمرو» قالت: «اسمع صوتاً وكأنه يقطر منه الدم» قال: «إنما هو أخي محمد بن سلمة ورضيعي أبو نائلة. إن الكريم لو دعي إلى طعنةٍ بليل لأجاب». قال: «ويدخل محمد بن سلمة ومعه رجلين» قيل لسفيان: «سماهم عمرو؟» قال: «سمي بعضهم قال عمرو........» فقال: «إذا ما جاء فاني فائل بشعره فأشمه. فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه». وقال مرّه: «ثم أشمكم فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفح منه ريح الطيب» فقال: «ما رأيت كاليوم ريحاً ـ أي طيب" وقال غير عمرو: «قال عندي أعطرُ نساء العرب وأكمل العرب». قال عمرو: «فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم. فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم. فلما استمكنت منه قال: دونكم فقتلوه وأتوا النبي ﷺ فأخبروه» فتح الباري 7/ 421.

قال الإمام ابن حجر رحمه الله: كعب بن الأشرف قال ابن إسحاق وغيره: كان عربياً من بني نبهان وهم بطن من طيء، وكان أبوه أصاب دماً في الجاهلية فأتى المدينة مخالف بني النضير. فشرف فيهم. وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعباً وكان طويلاً جسيماً ذا بطنٍ وهامة وهجا المسلمين بعد وقعة بدر وخرج إلى مكة فنزل على ابن وداعة السهمي والد المطلب فهجاه

حسان وهجا امرأته عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص بن أمية فطردته فرجع إلى المدينة وتشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم.

وروى أبو داؤد والترمذي من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن كعب بن مالك عن أبيه: «أن كعب بن الاشرف كان شاعراً يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاط. فأراد رسول الله ﷺ استصلاحهم. وكان اليهود والمشركين يؤذون المسلمين اشد الأذى فأمر الله رسوله والمسلمين بالصبر. فلما أبى كعب أن ينزع عن أذاه. أمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه». وذكر ابن سعد «أن قتله كان في ربيع الأول من السنة الثالثة» فتح الباري، 7/ 421. واخرج عائذ من طريق الكلبي أن كعب بن الاشرف قدم على مشركي قريش فحالفهم عند أستار الكعبة على قتال المسلمين. فقال النبي ﷺ: «من لنا بابن الاشرف فانه قد استعلن بعداوتنا» فتح الباري 7/ 422.

سرية قتل أبي رافع اليهودي:

4039 - قال الإمام البخاري رحمه الله وهو يحدثنا عن هذه السرية فيقول: حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء ابن عازب قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار. فأمّر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه. وكان في حصن له بأرض الحجاز. فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم. فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن ادخل. فأقبل حتى دنا من الباب. ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة. وقد دخل الناس فهتف به البواب: يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فاني أريد أن أغلق الباب. فدخلتُ فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الاغاليق على ود، قال: فقمت إلى الاغاليق فأخذتها ففتحت الباب. وكان أبو رافع يسمر عنده وكان في علالي له. فلما ذهب عنه أهل سمره، صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت عليّ من داخل. قلت إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إليّ حتى اقتله. فانتهيت إليه. فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله. لا ادري أين هو من البيت فقلت: يا أبا رافع

قال: من هذا فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش مما أغنيت شيئاً. وصاح فخرجت من البيت فامكث غير بعيد ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لامك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني بالسيف. قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم اقتله. ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى اخذ في ظهره فعرفت إني قتلته؟ فجعلت افتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له. فوضعت وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا اخرج هذه الليلة حتى أعلم أقتلته. فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال: انعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز. فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النّجاء فقد قتل الله أبا رافع. فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال لي: ابسط رجلك، فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم اشتكها قط» فتح الباري 7/ 426.

وقال ابن إسحاق: «هو سلام بتشديد اللام». قال: «لما قتلت الأوس كعب بن الاشرف استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام ابن أبي الحقيق وهو بخيبر فأذن لهم» فتح الباري 7/ 427.

فحدثني الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: «كان مما صنع الله لرسوله أن الأوس والخزرج كانوا يتصاولان تصاول الفحلين. لا تصنع الأوس شيئاً إلا قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلاً علينا. وكذلك الأوس. فلما أصابت الأوس كعب بن الاشرف تذاكرت الخزرج من رجل له من العداوة لرسول الله ﷺ كما كان لكعب فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر» فتح الباري 7/ 427- 428.

باب حديث بني النضير:

4028- قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا إسحاق بن نصر حدثنا عبد الرزاق اخبرنا جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: حاربت قريظة والنضير فأجلى بني النضير وأَمَر قريظة منّ عليهم حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نسائهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فأمنهم واسلموا وأجلى يهود المدينة كلهم: بني قينقاع وهم

رهط عبد الله بن سلام ويهود حارثة وكل يهود المدينة» فتح الباري 7/ 411.

4029 - ويقول الإمام مضيفاً إلى ما سبق: حدثني الحسن بن مدرك حدثنا يحيى بن حماد اخبرنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس: سورة الحشر قال: قل سورة النضير، تابعه هشيم عن أبي بشر» فتح الباري 7/ 411.

4031 - يقول الإمام البخاري كذلك وهو يستعرض أخبار يهود النضير: حدثنا آدم حدثنا الليث عن نافع عن ابن عمر ﵄ قال: «حرّق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطّعَ وهي البوُيرةُ» فنزلت ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر/ 5].

ولها يقول حسان بن ثابت:

وهان على سارةِ بني لؤي … حريق بالبويرةِ مستطيرُ

فتح الباري 7/ 412.

وهنا يحاول الإمام العلامة ابن حجر ﵀ أن يعقب ويضيف على ما قدمه الإمام البخاري في صحيحه فيقول:

«حديث بني النضير بفتح النون وكسر الضاد المعجّمة هم قبيلة كبيرة من اليهود. . . . وكان الكفار بعد الهجرة مع النبي ﷺ على ثلاثة أقسام قسم وادعهم على أن لا يحاربوه ولا يمالئوا عليه عدوَهُ. وهم طوائف اليهود الثلاثة قريظة والنظير وقينقاع. وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش، وقسم تاركوه وانتظروا ما يؤول إليه أمره كطوائف من العرب فمنهم من كان يحب ظهوره كخزاعة وبالعكس كبني بكر ومنهم من كان معه ظاهراً ومع عدوه باطناً وهم المنافقون. فكان أول نقض العهد من اليهود بني قينقاع فحاربهم في شوال بعد وقعة بدر فنزلوا على حكمه. وأراد قتلهم فاستوهبهم منه عبد الله بن أُبي وكانوا حلفاءه فوهبهم له. وأخرجهم من المدينة إلى اذرعات. ثم نقض العهد بنو النضير وكان رئيسهم حُيي بن أخطب» فتح الباري 7/ 412. ثم نقضت قريظة.

ويضيف ابن حجر ﵀ فيقول عن عروة: «كانت غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر. وكانت منازلهم ونخلهم

بناحية المدينة فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال لا الحلقة يعني السلاح. فأنزل الله فيهم ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿... لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ وقاتلهم حتى صالحهم على الجلاء فأجلاهم إلى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسباء. وقوله: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ مكان جلاؤهم أول حشراً» فتح الباري 7/ 413. واتفق أهل العلم في أن أموال بني النضير كانت خاصة برسول الله ﷺ وان المسلمين لم يوجفوا عليهم بخيل ولا ركاب وانه لم يقع بينهم قتال أصلاً، فتح الباري 7/ 413.

يقدم لنا الإمام ابن حجر رحمه الله وهو يشرح صحيح البخاري رحمه الله عن سبب هذه الغزوة (أي غزوة بني النضير) فيقول: قال ابن إسحاق: «فخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في ديتهما فيما حدثني يزيد بن رومان. وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف. فلما أتاهم يستعينهم قالوا: «نعم»، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: «إنكم لن تجدوه على مثل هذه الحال». قال: وكان جالساً إلى جانب جدرانهم. فقالوا: «من رجل يعلو هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه؟»، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فأتاه الخبر من السماء فقام مظهراً انه يقضي حاجة وقال لأصحابه: «لا تبرحوا ورجع مسرعاً إلى المدينة، واستبطأهُ أصحابه فاخبروا انه توجه إلى المدينة. فلحقوا به فأمر بحربهم والمسير إليهم. فتحصنوا فأمر بقطع النخل والتحريق». وذكر ابن إسحاق «انه حاصرهم ست ليال. وكان ناس من المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبي سلول، أن اثبتوا وتمنعوا فان قوتلتم قاتلنا معكم، فتربصوا فقذف الله في قلوبهم الرعب فلم ينصرونهم فسألوا أن يجلوا عن أرضهم على أن لهم ما حملت الإبل فصولحوا على ذلك. وكانت مهلة الجلاء ثلاثة أيام وأمّر عليهم محمد بن سلمة..... وأمّره عليهم وسار معه إلى خيبر والشام».

وروى ابن مردويه قصة بني النضير بإسناد صحيح إلى معمر عن الزهري اخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «كتب كفار قريش إلى عبد الله بن أُبي وغيره ممن يعبدون

الأوثان قبل بدر يهددونهم بإيوائهم النبي ﷺ وأصحابه ويتوعدونهم أن يغزوهم بجميع العرب. فهمّ ابن أُبي ومن معه بقتال المسلمين فأتاهم النبي ﷺ فقال: «ما كادكم أحد بمثل ما كادتكم قريش يريدون أن تلقوا بأسكم بينكم فلما سمعوا ذلك عرفوا الحق فتفرقوا. فلما كانت وقعة بدر كتب كفار قريش بعدها إلى اليهود. إنكم أهل الحلقة والحصون يتهددونهم فأجمع بنو النضير على الغدر فأرسلوا إلى النبي ﷺ اخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا. فان آمنوا بك اتبعناك، ففعل. فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النضير. فاخبر أخوها النبي ﷺ قبل أن يصل إليهم فرجع وصبحهم بالكتائب فحصرهم يومه. ثم غدا على بني قريظة فحاصرهم فعاهدوه فانصرف عنهم إلى بني النضير فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا السلاح فاحتملوا حتى أبواب بيوتهم. فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم فيهدمونها ويحملون ما يوافقهم من خشبها وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام» فتح الباري 7/ 414- 415.

يبدو لي أن السبب الذي قدمه ابن مردويه عن خروج الرسول ﷺ إلى بني النضير أقوى من السبب الذي قدمه آنفاً ابن إسحاق من أن سبب الغزوة هو محاولة اليهود قتل الرسول ﷺ عندما طلب منهم الاستعانة في دية الرجلين اللذين قتلهما خطأً أحد المسلمين في بني كلاب أحلاف اليهود. فالسبب الحقيقي إذن لخروج الرسول ﷺ إليهم وقتالهم هو الخيانة العظمى له ولدولته وللمسلمين ولا سيما إنهم تعاهدوا معه على ألا ينصروا عدواً عليه فتحالفهم مع كفار قريش ولتأليف الجبهة الداخلية سبب كافٍ لإجلائهم. على الرغم من ذلك نجد أن أهل المغازي والسير وافقوا ابن إسحاق إلى ما ذهب إليه حيث نجد أن الإمام ابن حجر رحمه الله يقول: «لكن وافق ابن إسحاق جُلَّ أهل المغازي فالله أعلم وإذ ثبت أن سبب إجلاء بني النضير ما ذكر من همهم بالغدر به ﷺ وهو إنما وقع عندما جاء إليهم يستعين بهم في دية قتيلي عمرو بن أمية، تعين ما قال ابن إسحاق لان بئر معونة كانت بعد أُحد بالاتفاق».

ويضيف الإمام ابن حجر رحمه الله فيقول: «وكان سبب وقوع المحاربة نقضهم

العهد؛ أما النضير فبالسبب الآتي ذكره وهو ما ذكره موسى ابن عقبة في المغازي قال: «كانت النضير قد دسوا إلى قريش وحضوهم على قتال رسول الله ﷺ ودلوهم على العورة[1]». ثم ذكر نحواً مما تقدم عن ابن إسحاق من مجيء النبي ﷺ في قصة الرجلين». وعند ابن سعد أن رسول الله ﷺ أرسل إليهم محمد بن مسلمة أن (اخرجوا من بلدي فلا تشاركوني بعد أن هممتم بما هممتم به من الغدر. وقد أجلتكم عشراً)» فتح الباري 7/ 415. وذكر ابن إسحاق في قضيته أن النبي ﷺ: «لمّا أرسل إليهم أن اخرجوا واجلهم عشراً. وأرسل إليهم عبد الله بن أبي يثبطهم. أرسلوا إلى النبي ﷺ أن (لا نخرج فاصنع ما بدا لك). فقال: «الله اكبر حاربت يهود» فخرج إليهم فخذلهم ابن أُبي ولم تغنهم قريظة».

وروى عبد بن حميد في تفسيره من طريق عكرمة «أن غزوة بني النضير كانت صبيحة قتل كعب بن الاشرف» فتح الباري 7/ 415.

كما أن أهل المغازي لم يوافقوا وهذا قول ابن حجر رحمه الله «على أن إجلاء بني النضير كان بعد بدر بستة أشهر على قول عروة بل وبعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن إسحاق» فتح الباري 7/ 416.

خلاصة المسألة: أن السبب في قيام الرسول ﷺ بغزو بني النضير ومحاصرتهم ثم الأمر بإخراجهم من المدينة على الرغم من تنوعه عند المحدثين وأصحاب المغازي والسير واختلافهم في تحديد ذلك بالضبط فإنني أرى أن السبب في ذلك هو ما قام به يهود النضير سواءً كان محاولة لاغتيال الرسول ﷺ أو الاتفاق مع زعماء قريش الكفار وتسهيل المهمة لهم لدخول المدينة وهذا كان واضحاً عندما وجدنا بان الرسول ﷺ يأمر على جناح السرعة بالخروج من المدينة ونقل ساحة المعركة من داخلها إلى خارجها لان الأخبار والعيون بينت له بصدق كامل أن اليهود من سكان المدينة من بني النضير والمشركين قد تعاهدوا على غزو المدينة وإسقاط دولة الإسلام فيها. فكلا السببين سواءً الاغتيال أو التواطؤ مع العدو هما من جرائم الحرب

(1) العورة: هي المكان التي يمكن لقريش أن تدخل منها إلى داخل المدينة.

الخطرة يعاقب مرتكبيها بأبشع أنواع العقوبات وما حصل عليه يهود النضير من الرسول ﷺ يعد غايةً في اللطف والرأفة بمجرمي الحرب. فلن نرى ولم نسمع عن حاكم في العصر الحاضر انه عفا عن جماعة حاولوا اغتياله أو تأليب العدو عليه، بل نجده يمارس بحقهم أقسى أنواع العقوبات وهذا حق طبيعي بالنسبة إليه ولا يلومه عليه احد.

غنائم النضير:

ذكر الإمام ابن حجر رحمه الله في شرحه لصحيح البخاري رحمه الله يقول: «وروى الحاكم في (الإكليل) من حديث أم العلاء قال: قال النبي ﷺ للأنصار لمّا فتح بني النضير: «إن أحببتم قسمت بينكم، ما أفاء الله عليّ. وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم وان أحببتم أعطيتهم وخرجوا عنكم» فاختاروا الثانية» فتح الباري 7/ 416.

باب غزوة بني قريظة:

4117 - قال الإمام البخاري رحمه الله في حديثه عن غزوة بني قريظة: حدثني عبد الله بن أبي شيبة، حدثنا ابن نمير عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لمّا رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل (عليه السلام) فقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج إليهم. قال: فإلى أين؟ قال: ها هنا. وأشار إلى قُريظة. فخرج النبي ﷺ إليهم» فتح الباري 7/ 509.

4119 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء، حدثنا جوربة بن أسماء عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة»، فأدرك بعضهم العصر في الطريق. فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيهم. وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك. فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم» فتح الباري 7/ 509.

وتوجه النبي ﷺ إليهم كان لسبع بقين من ذي القعدة وانه خرج إليهم في ثلاثة آلاف. وذكر ابن سعد انه كان مع المسلمين ستة وثلاثون فرساً. ثم ذكر المصنف فيه ستة أحاديث، فتح الباري 7/ 514.

4121 - ويستكمل الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيقول: حدثني محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة عن سعد قال: سمعت أبا أُمامة قال: سمعت أبا سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ. فأرسل النبي ﷺ إلى سعد فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأنصار قوموا إلى سيدكم ـ أو خيركم ـ فقال: هؤلاء نزلوا على حكمك. فقال: تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم. قال: قضيت بحكم الله. وربما بحكم الملك» فتح الباري 7/ 514.

4122 - والقول هنا للإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «أصيب سعد يوم الخندق، رماه رجل من قريش يقال له حبان بن العرمة رماه في الأكحل فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) وهو ينفض رأسه من الغبار فقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعته. اخرج إليهم. قال النبي ﷺ: فأين؟ فأشار إلى بني قريظة. فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه فرد الحكم إلى سعد. قال: فاني احكم فيهم، أن تقتل المقاتلة، وان تسبى النساء والذرية وتقسم أموالهم. قال هشام: فاخبرني أبي عن عائشة: أن سعداً قال: اللهم انك تعلم انه ليس أحد أحب إليّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه اللهم فإني أظن انك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم. فان كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني حتى أجاهدهم فيك وان كنت وضعت الحرب فأفجرها واجعل موتي فيها. فانفجرت من لبتّه. فلم يرعهم ـ وفي المسجد خيمة من بني غفار ـ إلا الدم يسيل إليهم. فقالوا: يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغدو جرحه دماً فمات منها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ» فتح الباري 7/ 514.

ويحدثنا الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حصارهم فيقول عند موسى بن عقبة نحوه وزاده: وحاصرهم بضع عشرة ليلة وعند ابن سعد (خمس عشرة) وفي حديث ابن وقاص (خمساً وعشرين) وعند ابن إسحاق عن أبيه عن معبد بن كعب قال: «حاصرهم خمس وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار وقذف في

قلوبهم الرعب. فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد أن يؤمنوا أو يقتلوا نساءهم وأبناءهم ويخرجون مستقتلين أو يبيتوا المسلمين ليلة السبت. فقالوا: «لا نؤمن. ولا نستمل ليلة السبت. وأي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟» فأرسلوا إلى أبي لبابة بن عبد المنذر وكانوا حلفاءه فاستشاروه في النزول على حكم النبي ﷺ فأشار إلى حلقه ـ يعني الذبح ـ ثم ندم فتوجه إلى مسجد النبي ﷺ فارتبط به حتى تاب الله عليه» فتح الباري 7/ 516.

وكأنهم لطول الحصار والخوف الذي لازمهم نزلوا إلى حكم الرسول ﷺ، يقول الإمام ابن حجر رحمه الله: «كأنهم أذعنوا للنزول على حكمه ﷺ فلما سأله الأنصار فيهم رد الحكم إلى سعد. ووقع بيان ذلك عند ابن إسحاق قال: لمّا اشتد بهم الحصار أذعنوا إلى أن ينزلوا على حكم رسول الله. فتواثبت الأوس فقالوا: يا رسول الله قد فعلت في موالي الخزرج ـ أي بني قينقاع ـ ما عملت، فقال: إن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى، قال: فذلك إلى سعد بن معاذ» فتح الباري 7/ 517.

يقول ابن حجر وذكر ابن إسحاق أنهم حبسوا في دار بنت الحارث وهي رواية أبي الأسود عن عروة في دار أسامة بن زيد. ويجمع بينهما بأنهم جعلوا في بيتين. ووقع في الحديث جابر عند ابن عائذ التصريح بأنهم جعلوا في بيتين. قال ابن إسحاق: «فخندقوا لهم خنادق فضربت أعناقهم فجرى الدم في الخنادق. وقسم أموالهم ونساءهم وأبناءهم على المسلمين واسهم لخيل فكان أول يوم وقعت فيه السهمان لها» فتح الباري 7/ 517.

واختلف في عدتهم. فعند ابن إسحاق «إنهم كانوا ستمائة وبه جزم أبو عمرو في ترجمة سعد بن معاذ». وعند ابن عائذ من مرسل قتادة «كانوا سبعمائة»، وقال السهيلي: «المكثر يقول إنهم ما بين الثمانمائة والتسعمائة»، وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان بإسناد صحيح «إنهم كانوا أربعمائة مقاتل» فتح الباري 7/ 517.

تعقيب: اختلف الباحثون المعاصرون في تحديد العدد الصحيح لعدد مَن قُتِلَ من يهود بني قريظة، فمنهم من ذهب إلى ما ذهبت إليه كتب السير والمغازي والسنن ومنهم من رفض القبول بمثل هذه الأعداد وقدمت دراسات

علمية دقيقة حول تحديد الرقم بما لا يتجاوز الأربعين[1].

باب غزوة خيبر[2]:

4195 - قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في استعراضه لأحوال اليهود في جزيرة العرب وهو هنا يحدثنا عن أقوى قبائل اليهود وهم يهود خيبر قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار أن سويد بن النعمان اخبره «انه خرج مع النبي ﷺ عام خيبر حتى إذا كنا بالصهباء وهي أدنى خيبر صلى العصر، ثم دعا بالازواد فلم يؤتَ له إلا بالسويق[3]. فأمر به فثريّ فأكل وأكلنا ثم قال المغرب فمضمض ومضمضنا ثم صلى ولم يتوضأ» فتح الباري 7/ 580.

وذكر ابن هشام انه استعمل على المدينة نميلة بن مصغر ابن عبد الله الليثي. وعند أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة انه سباع بن عرفطة وهو اصح» فتح الباري 7/ 580.

4197 - ويضيف الإمام بقوله: حدثنا عبد الله بن يوسف، اخبرنا مالك عن حميد الطويل عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً. وكان إذا أتى قوماً بليل لم يقربهم حتى يُصبح. فلما أصبح خرجت يهود بمساحيهم ومكاتلهم. فلما رأوه قالوا: محمد والله محمد والخميس. فقال النبي ﷺ: «خربت خيبر إنا إذا نزلنا مساحة قوم فساء صباح المنذرين» فتح الباري 7/ 583.

4200 - ويستكمل الإمام حديثه بالقول: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «صلى النبي ﷺ الصبح قريباً من خيبر بغلَس ثم قال الله اكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا مساحة قوم فساءَ صباح المنذرين فخرجوا يسعون في السكك فقتل النبي ﷺ المقاتلة وسبى الذرية

---

(1) ينظر رياض هاشم هادي، غزوة بني قريظة دراسة في نقد نص الرواية، سلسلة دراسات في السيرة، العد 4/ 2005. موصل/ عراق.

(2) خيبر: وهي عبارة عن مجموعة قلاع يسكنها يهود وهي حصون.

(3) السويق: هو عبارة عن دقيق محمص يعد كغذاء مع التمر أثناء السفر وفيه قيمة غذائية عالية وهو يعادل الخبز.

وكان في السبي صفية فصارت إلى دحية الكلبي. ثم صارت إلى النبي ﷺ فجعل عتقها صداقها». فقال عبد العزيز بن صهيب لثابت: «يا أبا محمد أنت قلت لأنس ما أصدقها؟ فحرك ثابت رأسه تصديقاً لقوله» فتح الباري 7/ 585.

4201 - ويضيف الإمام رواية أخرى فيقول: حدثنا آدم، حدثنا شعبة عن عبد العزيز بن صهيب قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: «سبى النبي ﷺ صفية فاعتقها وتزوجها» فقال ثابت لأنس: «ما أصدقها؟ قال: «أصدقها نفسها فاعتقها» فتح الباري 7/ 585.

4210 - ومن طريق آخر يحدثنا الإمام البخاري رحمه الله فيقول: حدثنا قتيبة ابن سعيد، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال: اخبرني سهل بن سعد رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأعطينَّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: «فبات الناس ليلتهم: أيهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها. فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه. فأُتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع. فأعطاه الراية. فقال عليّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه. فوالله لان يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم» فتح الباري 7/ 594.

روى أحمد والترمذي من حديث ابن عباس: «كانت راية رسول الله ﷺ سوداء ولواءه ابيض» ومثله عند الطبراني عن بريدة، فتح الباري 7/ 595.

زواجه عليه الصلاة والسلام من السيدة صفية:

4211 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في معرض حديثه عن زواج الرسول ﷺ من السيدة صفية فيقول: حدثنا عبد الغفار بن داؤد، حدثنا يعقوب ابن عبد الرحمن وحدثني أحمد بن عيسى، حدثنا ابن وهب قال: اخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن عمرو مولى المطلب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قدمنا خيبر فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية

بنت حيي بنت أخطب. وقد قتل زوجها وكانت عروساً فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه فخرج بها حتى بلغنا سد الصهباء[1]، حلت فبنى بها رسول الله ﷺ ثم صنع حيساً من نطع صغير ثم قال لي: آذن من حولك فكانت تلك وليمة على صفية. ثم خرجنا إلى المدينة. فرأيتُ النبي ﷺ يُحوي بها وراءهُ بعباءةٍ. ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب» فتح الباري 7/ 598.

فقال المسلمون: «إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه؟ قالوا: إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين. وان لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه. فلما ارتحل وطأ لها خلفه ومد الحجاب» فتح الباري 7/ 604.

غنائم خيبر:

4228 - قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا الحسن بن إسحاق، حدثنا محمد بن سابق، حدثنا زائدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قسّم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللرجل سهماً. قال: فسره نافع فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم. فان لم يكن له فرس فله سهم» فتح الباري 7/ 604.

4234 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويبدو انه قد ألم بشكل كبير بكل ما يتعلق بموضوع غنائم خيبر فهو يقول: حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا معاوية ابن عمرو، حدثنا أبو إسحاق عن مالك بن أنس قال: حدثني ثور قال: حدثني سالم مولى أبي مطيع انه سمع أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهباً ولا فضة. إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط. ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرُى» فتح الباري 7/ 610.

4240 - ومن طريق آخر يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «أن فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من

(1) الصهباء: الخمر. سميت ذلك للونها. والأصهب من الإبل: الذي يخالط بياضه حمرة وهو أن يحمر أعلى الوبر وتبيض أجوافه. ينظر معجم الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري. بيروت/ طبعة أولى. 1426، 2005.

رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر. فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة. إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال. وأني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ. لأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله ﷺ فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً. فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي ﷺ بستة أشهر. فلما توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها» فتح الباري 7/ 617.

4244 - 4245 - يقول الإمام البخاري رحمه الله وهو يحدثنا عن يهود خيبر: حدثنا إسماعيل، حدثني مالك عن عبد المجيد بن سهيل عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خيبر. فجاءه بتمر جَنيب فقال رسول الله ﷺ: كل تمر خيبر هكذا؟ فقال: لا والله يا رسول الله، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين بالثلاثة. فقال: لا تفعل. بع الجمع بالدراهم. ثم ابتع بالدراهم جنَيباً» فتح الباري 7/ 621.

4246 - 4247 - يقول الإمام: وقال عبد العزيز بن محمد عن عبد المجيد عن سعيد أن أبا سعيد وأبا هريرة حدثاه: «أن النبي ﷺ بعث أخا بني عدي من الأنصار إلى خيبر فأمّره عليها» فتح الباري 7/ 621.

باب معاملة النبي ﷺ أهل خيبر:

4248 - وعن معاملة الرسول ﷺ لأهل خيبر يحدثنا البخاري رحمه الله عن ذلك فيقول: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا جويرية عن نافع عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أعطى النبي ﷺ خيبر لليهود ان يعملوها ويزرعوها. ولهم شطر ما يخرج منها» فتح الباري 7/ 622.

باب الشاة التي سمّت للنبي ﷺ:

رواه عروة عن عائشة عن النبي ﷺ.

4249 - قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا

الليث، حدثني سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم».

وروى البيهقي من طريق سفيان بن حسين عن الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة: «أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة فأكل. فقال لأصحابه: امسكوا فإنها مسمومة. وقال لها ما حملك على ذلك؟ قالت: أردتُ إن كنت نبياً فيطلِعَكَ الله. وان كنت كاذباً فأريح الناس منك. قال: فما عرض لها، وهي زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم». قال الزهري: «فأسلمت فتركها، في حين قال ابن سعد عن شيخه الواقدي بأسانيد متعددة قال: «فدفعها إلى مولاه بشير بن البراء فقتلوها». قال الواقدي: «وهو الثبت».

«وكان الذي أكل مع رسول الله ﷺ منها بشير بن البراء ومات منها مسموماً» فتح الباري 7/ 622.

«وكان الذي دفعها إلى فعل ذلك أنها قالت للرسول ﷺ: «قتلت أبي وعمي وزوجي وأخي» قال: فسألت إبراهيم بن جعفر فقال: عمها يسار وكان من اجبن (أخبث) الناس وهو الذي انزل من الرف وأخوها زبير وزوجها سلام ابن مشكم. ووقع في سنن أبي داؤد (أخت مرحب) وبه جزم السهيلي» فتح الباري 7/ 623.

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله «وعند البيهقي في الدلائل» (بنت أخي مرحب) ولم ينفرد الزهري بدعواه أنها أسلمت، فقد جزم بذلك سليمان التيمي في مغازيه ولفظه بعد قولها «وان كنت كاذباً أرحت الناس منك. وقد استبان لي لحد الآن انك صادق. وأنا أشهدك ومن حضر أني على دينك. أن لا اله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله» قال: فانصرف عنها حين أسلمت. فتح الباري 7/ 623.

ويحدثنا هنا الإمام ابن حجر رحمه الله عن الفوائد المستقاة من قصة خيبر فيقول: «وقد اشتملت قصة خيبر على أحكام كثيرة منها: جواز قتال الكفار في الأشهر الحرم، والإغارة على من بلغته الدعوة بغير إنذار، وقسمة الغنيمة على السهام، وأكل الطعام الذي يصاب من المشركين قبل القسمة لمن يحتاج إليه

بشرط أن لا يدخره ولا يحوله. وان مدد الجيش إذا حضر بعد انقضاء الحرب بسهم له إن رضي الجماعة كما وقع لجعفر والاشعريين ولا يسهم لهذا لم يرضوا كما وقع لأبان بن سعيد وأصحابه. وبذلك يجمع بين الإخبار.

غزوات النبي ﷺ:

3949 - قال الإمام البخاري رحمه الله في باب المغازي: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا رهب، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق: «كنت إلى جنب زيد بن أرقم فقيل له: كم غزا النبي ﷺ من غزوة؟ قال: تسع عشرة قال: كم غزوت أنت معه؟ قال: سبع عشرة. قلت: فأيهم كانت أول؟ قال: العشير أو العسير[1]. فذكرت لقتادة فقال: العشير» فتح الباري 7/ 348.

«مكانها عند منزل الحج بينبع ليس بينها وبين البلاد إلا الطريق وخرج في خمسين ومائة وقيل مائتين واستخلف فيها أبا سلمة بن عبد الأسد» فتح الباري 7/ 348.

والمغازي «جمع مغزى يقال غزا يغزو غزواً ومغزى والأصل غزواً والواحدة غزوة واصل الغزو القصد ومغزى الكلام مقصده» فتح الباري7/ 348. الأبواء[2] «بفتح الهمزة وسكون الموحدة وباعد قرية من عمل الفرع بينها وبين الحجغفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً قيل سميت بذلك لما كان بها من الوباء» فتح الباري 7/ 348.

ويقول الإمام ابن حجر رحمه الله معقباً على ذلك والذي وقع في مغازي ابن إسحاق ما صورته غزوة ودان تشديد المهلة قال: «وهي أول غزوات النبي ﷺ خرج من المدينة في صفر على رأس اثني عشر شهراً يريد قريشاً. فوادع بني ضمرة بن بكر بن عبد مناه من كنانة. وادعهم رئيسهم مجدي بن

---

(1) العشير أو العسير: هي منطقة عند نزل الحج بينبع. وقيل هي أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه.

(2) الأبواء: هي قرية صغيرة. تقع ما بين مكة والمدينة وهي التي دفنت فيها آمنة أم محمد رسول الله ﷺ وماتت من حمى أصابتها وقيل لما خرجت قريش إلى النبي ﷺ في غزوة أحد نزلوا بالأبواء. قالت هند بنت عتبة لأبي سفيان زوجها: لو بحثتم قبر آمنة أم محمد فإنها بالأبواء.

عمر الضمري ورجع بغير قتال. واستعمل على المدينة سعد بن عبادة» فتح الباري 7/ 349. وليس بين ما وقع في السيرة وبين ما نقله البخاري عن ابن إسحاق اختلاف. لان الأبواء وودان مكانان متقاربان بينهما ستة أميال أو ثمانية» فتح الباري 7/ 349.

ويضيف الإمام ابن حجر رحمه الله مضيفاً إلى ما سبق قوله عن ابن إسحاق قال: «خرج النبي ﷺ غازياً بنفسه حتى انتهى إلى ودان وهي الأبواء». وذكر أبو الأسود في مغازيه عن عروة ووصله ابن عائذ عن حديث ابن عباس: «أن النبي ﷺ وصل الأبواء وبعث عبيدة بن الحارث في ستين رجلاً فلقوا جمعاً من قريش فتراموا بالنبل فرمى سعد بن أبي وقاص بسهم وكان أول من رمى بسهم في سبيل الله» فتح الباري 7/ 349.

وعند الأبوي يقال: «أن حمزة بن عبد المطلب أول من عقد له رسول الله ﷺ في الإسلام راية، وكذا جزم به موسى بن عقبة وأبو معشر والواقدي في آخرين وكانوا ثلاثين رجلاً ليعترضوا عير قريش، فلقوا أبا جهل في جمع كثير فحجز بينهم مجدي» فتح الباري 7/ 349.

وأما بواط فبفتح الموحدة وقد تُضَم وتخفيف الواو وآخره مهملة جبل من جبال جهينة بالقرب من ينبع. قال ابن إسحاق: «ثم غزا في شهر ربيع الأول يريد قريشاً أيضاً حتى بلغ بواط من ناحية رضوي ورجع ولم يلقَ كيداً. ورضوى بفتح الراء وسكون المعجمة مقصور: جبل مشهور عظيم بينبع». قال ابن هشام: وكان استعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون وفي نسخة السائب بن مظعون» فتح الباري 7/ 349.

وأما العشيره فلم يختلف أهل المغازي أنها المعجمة والتصغير وآخرها هاء. قال ابن إسحاق: «هي ببطن ينبع وخرج إليها في جمادى الأول يريد قريشا أيضاً فوادع فيها بني مدلج بن كنانة». قال ابن هشام: «استعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد» فتح الباري 7/ 349.

وذكر الواقدي «إن هذه السفرات الثلاث كان يخرج فيها ليلتقي تجار قريش حين يمرون إلى الشام ذهاباً وإياباً» فتح الباري 7/ 349.

يقول ابن إسحاق: «ولمّا رجع إلى المدينة لم يقم إلا ليالي حتى أغار كرز ابن جابر الفهري على سرح المدينة. فخرج النبي ﷺ في طلبه حتى بلغ سفوان من ناحية بدر ففاته كرز وهي بدر الأولى» فتح الباري 7/ 350.

سرية نخلة:

من الواضح أن الإمام ابن حجر أبا المحدثين وهو الذي شرح صحيح البخاري يعتمد في استكمال روايات السيرة النبوية على ما قدمه أهل المغازي فنجده في هذه السرية يقول: «انه أرسل سرية يقودها عبد الله بن جحش وانه ومن معه لقوا ناساً من قريش راجعين بتجارة من الشام فقاتلوهم واتفق ذلك في رجب. فقتلوا منهم واسروا واخذوا الذي كان معهم وكان أول قتل وقع في الإسلام وأول مال غنم، وممن قتل عبد الله بن الحضرمي اخو عمرو بن الحضرمي الذي حرض به أبو جهل قريشاً على القتال ببدر» فتح الباري 7/ 350.

عدد الغزوات:

قال الإمام ابن حجر رحمه الله: كذا قال ومراده الغزوات التي خرج النبي ﷺ فيها بنفسه سواءً قاتل أو لم يقاتل. ولكن روى أبو يعلى من طريق أبي الزبير عن جابر أن عدد الغزوات إحدى وعشرون وإسناده صحيح واصله في مسلم فعلى هذا ففات زيد بن أرقم ذكره ثنتين منها ولعلها الأبواء وبواط» فتح الباري 7/ 350.

ويقول الإمام ابن حجر ويؤيد ما قلته ما وقع عند مسلم بلفظ «قلت أول غزوة غزاها قال: ذات العشير أو العشيره». والعشيره كما تقدم هي الثالثة. فتح الباري 7/ 350.

قال موسى بن عقبة: «قاتل رسول الله بنفسه في ثمان: بدر ثم أُحد ثم الأحزاب ثم المصطلق ثم خيبر ثم مكة ثم حنين ثم الطائف وهي قريظة لأنها ضمن الخندق» فتح الباري 7/ 350.

باب ذكر النبي ﷺ من يُقتل ببدر:

3950 - قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثني أحمد بن عثمان، حدثنا شريح بن مسلمة، حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق قال:

حدثني عمرو بن ميمون انه سمع عبد الله بن مسعود ﵁ حدث عن (سعد بن معاذ) انه قال: «كان صديقاً لامية بن خلف وكان أمية إذا مرَّ بالمدينة نزل على سعد وكان سعد إذا مرَّ بمكة نزل على أميه. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد معتمراً فنزل على أميه بمكة فقال لأميه: انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت. فخرج به قريباً من نصف النهار فلقيهما أبو جهل. فقال: يا أبا صفوان من هذا معك؟ فقال: هذا سعد. فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد آويتم الصُباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينوهم. أما والله لولا انك مع أبي صفوان ما رجعت إلى اهلك سالماً. فقال له سعد ورفع صوته عليه: أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنّك ما هو اشد عليك منه. طريقك إلى المدينة. فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي. فقال سعد: دعنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنهم قاتلوك» فتح الباري 7/ 352.

باب قصة غزوة بدر:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ .... فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾ [آل عمران/ 123-127].

وقال وحشي: «قتل حمزة طعيمة بن عدي بن الخبار يوم بدر».

3951 - يقول الإمام البخاري ﵀ عن غزوة بدر وما رافقها من أحداث: حدثني يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ان عبد الله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك ﵁ يقول: «لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب أحد تخلف عنها. إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد» فتح الباري 7/ 356.

معنى بدر:

يحدثنا الإمام ابن حجر ﵀ عن معنى بدر فيقول: «بدر هي قرية مشهورة نسبت إلى بدر بن مخلد بن النفر بن كنانة كان نزلها ويقال بدر بن الحارث.

ويقال بدر اسم البئر التي بها. سميت بذلك لاستدارتها أو لصفاء مائها فكان البدر يُرى فيها. وحكى الواقدي إنكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بني غفار وإنما مأوانا ومنازلنا وما ملكها أحد قط يقال له بدر وإنما هو علم عليها كغيرها» فتح الباري 7/ 356.

ويحدثنا الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن التعبئة العسكرية لكلا الفريقين لا سيما المسلمون فيقول: «فهم قليلون بالنسبة إلى من لقيهم من المشركين. ومن جهة أنهم كانوا مشاة إلا قليل منهم ومن جهة أنهم كانوا عارين من السلاح وكان المشركون على العكس من ذلك. والسبب في ذلك أن النبي ﷺ ندب الناس إلى تلقي أبي سفيان لأخذ ما معه من أموال قريش وكان معه قليلاً فلم يظن أكثر الأنصار انه يقع قتال فلم يجز معه منهم إلا القليل ولم يأخذوا أهمية الاستعداد كما ينبغي بخلاف المشركين فإنهم خرجوا مستعدين ذائبين عن أموالهم» فتح الباري 7/ 356.

وروى ابن أبي حاتم بسند صحيح إلى الشعبي: «أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران/ 124]».

ومن طريق سعيد عن قتادة قال: «أمدّ الله المسلمين بخمسة آلاف من الملائكة». وعن ربيع بن أنس قال: «أمدّ الله المسلمين يوم بدر بألف. ثم زادهم فصاروا ثلاثة آلاف ثم زادهم فصاروا خمسة آلاف» فتح الباري 7/ 356.

ويقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعير كانت ألف بعير وكان المال خمسين ألف دينار وكان فيها ثلاثون رجلاً من قريش وقيل أربعون وقيل ستون» فتح الباري 7/ 357.

دعاء الرسول ﷺ يوم بدر:

3953 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني محمد بن عبد الله بن حوشب، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال: «قال النبي ﷺ يوم بدر: اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم

تعبد. فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك. فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر/ 45] فتح الباري 7/ 358.

ومن طريق آخر فقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا تخذلني اللهم لا تتركني اللهم أنشدك ما وعدتني».

وعند ابن إسحاق «انه ﷺ قال: اللهم هذه قريش قد أتت بخيلها وفخرها تجادل وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني» فتح الباري 7/ 360.

ويقول ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديث مطول عن تفاصيل يوم بدر: وذكر ابن إسحاق أن هذا الكلام قاله المقداد «لمّا وصل النبي ﷺ الصفراء وبلغه أن قريشاً قصدت بدراً وان أبا سفيان نجا بمن معه فاستشار الناس. فقام أبو بكر فقال فأحسن. ثم قام عمر كذلك، ثم قام المقداد فذكر نحو ما في حديث الباب وزاد فقال: والذي بعثك بالحق لو سلكت بنا برك الغماد لجاهدنا معك من دونه. قال: فقال: أشيروا عليّ. قال: فعرفوا انه يريد الأنصار، وكان يتخوف أن لا يوافقوه لأنهم لم يبايعوه إلا على نصرته ممن يقصده لا أن يسير بهم إلى العدو، فقال له سعد بن معاذ: امض يا رسول الله لما أمرت به فنحن معك. قال: فسره قوله ونشطه». وكذا ذكره موسى بن عقبة مبسوطاً، وأخرجه ابن عائذ عن طريق أبي الأسود عن عروة، وعند ابن أبي شيبة من مرسل علقمة بن وقاص في نحو قصة المقداد «فقال سعد بن معاذ: لئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرنَّ معك، ولا نكون كالذين قالوا لموسى ـ فذكره وفيه ـ ولعلك خرجت لأمر فأحدث الله غيره، فامض لما شئت، وصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وسالم من شئت، وعادِ من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت». قال: وإنما خرج يريد غنيمة ما مع أبي سفيان فأحدث الله له القتال، وروى ابن أبي حاتم من حديث أبي أيوب قال: «قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: إني أخبرت عن عير أبي سفيان، فهل لكم أن تخرجوا إليها لعل الله يغنمناها؟ قلنا: نعم، فخرجنا. فلما سرنا يوماً أو يومين قال: قد اخبروا خبرنا فاستعدوا للقتال، فقلنا: لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم، فأعاده، فقال له المقداد: لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ولكن نقول: إنا معك مقاتلون. قال: فتمنينا معشر الأنصار لو إنا قلنا

كما قال المقداد. فانزل الله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال/ 5]». واخرج ابن مردويه من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص عن أبيه عن جده نحوه لكن فيه أن معاذ هو الذي قال ما قال المقداد، والمحفوظ أن الكلام المذكور للمقداد كما في حديث الباب، وان سعد بن معاذ إنما قال: «لو سرت بنا حتى تبلغ برك الغماد لسرنا معك» كذلك ذكره موسى بن عقبة. وعند ابن عائذ في حديث عروة «فقال سعد ابن معاذ: لو سرت بنا حتى تبلغ البرك من غمد ذي يمن» ووقع مسلم أن سعد ابن عبادة هو الذي قال ذلك، وكذا أخرجه ابن أبي شيبة من مرسل عكرمة، وفيه نظر لان سعد بن عبادة لم يشهد بدراً، وان كان يعد فيهم لكونه ممن ضرب له بسهمه كما سأذكره في آخر الغزوة، ويمكن الجمع بان النبي ﷺ استشارهم في غزوة مرتين: الأولى وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان، وذلك بين رواية مسلم ولفظه «أن النبي ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان» والثانية كانت بعد أن خرج كما في حديث الباب، ووقع عند الطبراني أن سعد بن عبادة قال ذلك بالحديبية، وهذا أولى بالصواب، وقد تقدم في الهجرة شرح برك الغماد، ودلت رواية عائذ هذه على أنها من جهة اليمن، وذكر السهيلي انه رأى في بعض الكتب أنها ارض الحبشة، وكأنه أخذه من قصة أبي بكر مع ابن الدغنة، فان فيها «انه لقيه ذاهباً إلى الحبشة ببرك الغماد فأجاره ابن الدغنة كما تقدم في هذا الكتاب، ويجمع بأنها من جهة اليمن تقابل الحبشة وبينهما عرض البحر.

عدة أصحاب بدر:

3956 - ونستمر مع إمامنا العالم البخاري رحمه الله وهو يستعرض لنا ما وقع من أحداث يوم بدر فنراه يقول: وحدثني محمد، حدثنا وهب عن شعبة عن أبي إسحاق عن البراء قال: «استصغرت أنا وابن عم عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين» فتح الباري 7/ 362.

3957 - ويقول كذلك من طريق آخر: حدثنا عمرو بن خالد، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق قال: سمعت البراء رضي الله عنه يقول: «حدثني أصحاب

محمد ﷺ ممن شهدوا بدراً أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة». قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن. فتح الباري 7/ 362.

وحدثنا محمد بن كثير: اخبرنا سفيان عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال: «كنا نتحدث عن أصحاب بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً بعدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر. وما جاوز معه إلا مؤمن» فتح الباري 7/ 363.

باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش:

3960 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثني عمرو بن خالد، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «استقبل النبي ﷺ الكعبة فدعا على نفر من قريش على شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأبي جهل بن هشام، فاشهد بالله لقد رأيتهم صرعى قد غيرتهم الشمس وكان يوماً حاراً» فتح الباري 7/ 365.

باب قتل أبي جهل[1]:

3961 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا ابن نمير، حدثنا أبو أسامة، حدثنا إسماعيل اخبرنا قيس: «عن عبد الله رضي الله عنه انه أتى أبا جهل وبه رمق يوم بدر فقال أبو جهل: هل اعمد من رجل قتلتموه» فتح الباري 7/ 366.

3962 - ثم يقول من طريق آخر: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا سليمان التيمي أن أنساً حدثهم قال: قال النبي ﷺ وحدثني عمرو بن خالد حدثنا زهير عن سليمان التيمي عن أنس رضي الله عنه قال: «قال النبي ﷺ: من ينظر ما صنع أبو جهل؟ فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه أبناء عفراء حتى

---

(1) أبو جهل: هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي. كان من اشد أعداء الإسلام ورسوله. وهو الذي ناصب الرسول ﷺ العداء منذ ظهور دعوته لتوحيد الله ونبذ الشرك والوثنية. فهو الذي آذى المسلمين الأوائل من الفقراء والمستضعفين وهو الذي نضّر المقاطعة ودافع عنها وهو الذي حال بين الوليد ودخوله الإسلام وهو الذي حال بين أبي طالب ودخوله الإسلام وهو احد أقطاب المستهزئين الذين نالوا من الرسول ﷺ الشيء الكثير لا سيما بعد وفاة عمه أبو طالب.

برد. قال: أأنت أبو جهل؟ قال: فأخذ بلحيته قال: وهل فوق رجل قتلتموه؟ أو رجل قتله قومه» فتح الباري 7/ 366. وفيه إن ابن مسعود قال: «أدركت أبا جهل يوم بدر صريعاً فقلت: أي عدو الله قد أخزاك الله. قال: وبما أخزاني من رجل قتله قومه» فتح الباري 7/ 367.

شأن المتبارزين يوم بدر:

3965 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: قال قيس بن عبادة: «وفيهم أنزلت ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج/ 19]. وقال: هم الذين تبارزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة» فتح الباري 7/ 367.

3968 - ويقول الإمام كذلك: حدثنا يحيى بن جعفر، اخبرنا وكيع عن سفيان عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد: «سمعتُ أبا ذر رضي الله عنه يُقسم: لنزلت هؤلاء الآيات في هؤلاء الرهط الستة يوم بدر ....» فتح الباري 7/ 370 نحوه ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج/ 19].

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله: ذكر ابن إسحاق: «فبرز عبيدة لعتبة وحمزة لشيبة وعلي للوليد» فتح الباري 7/ 370.

مقتل أمية بن خلف:

3971 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في باب المغازي: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال: حدثني يوسف الماجشون عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عن عبد الرحمن قال: «كاتبت أمية بن خلف فلما كان يوم بدر فذكر قتله وقتل ابنه فقال: لا نجوت إذ نجا أمية» فتح الباري 7/ 373.

مصير قتلى المشركين:

3976 - قال الإمام البخاري رحمه الله وهو يحدثنا عن مصير قتلى المشركين يوم بدر فيقول: حدثني عبد الله بن محمد سمع روح بن عبادة، حدثنا سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة قال: «ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن

النبي ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً صناديد قريش فقدموا في طوى من اطواء بدر خبيث مُخيث وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال. فلما كان يوم ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما ترى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً. فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمدٍ بيده، ما انتم بأسمع لما أقول منهم. قال قتادة: أحياهم الله حتى اسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقيمة وحسرة وندامة» فتح الباري 7/ 376.

3980 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: «فذكر لعائشة فقالت: إنما قال النبي ﷺ: إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنتُ أقول لهم هو الحق» فتح الباري 7/ 376.

فضل من شهد بدراً:

قال الإمام البخاري رحمه الله في فضل شهداء بدر: حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق عن حميد قال: سمعت أنساً رضي الله عنه يقول: «أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني. فان يكن في الجنة اصبر واحتسب. وان تكن الأخرى ترَ ما اصنع؟ فقال: ويحك أو هبِلتِ، أو جنةٍ واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة وانه في جنة الفردوس» فتح الباري 7/ 380.

3983 - قال الإمام البخاري رحمه الله وهو يتحدث عن فضل من شهد بدراً من أصحاب رسول الله ﷺ: حدثني إسحاق بن إبراهيم، اخبرنا عبد الله بن إدريس قال: سمعت حصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال: «بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير ـ وكلنا فارس ـ قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين ومعها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين. فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا: الكتاب. فقالت: ما معنا كتاب.

فأنخناها، فالتمسنا فلم نرّ كتاباً فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ لتخرجن الكتاب أو لَنُجَرّدَنَّكِ. فلما رأت الجد أهوت إلى حجرتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته. فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ. فقال عمر: يا رسول الله. قد خان الله ورسوله والمؤمنين. فدعني اضرب عنقه. فقال النبي ﷺ: ما حملك على ما صنعت؟ قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله ﷺ أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أهلكم إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال النبي ﷺ: صدق ولا تقولوا له إلا خيراً. فقال عمر: انه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني لأضرب عنقه. فقال: أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو: فقد غفرت لكم. فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله اعلم» فتح الباري 7/ 381.

تعليمات الرسول ﷺ يوم بدر:

3984 - ينقل لنا الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليمات الرسول ﷺ للمسلمين يوم بدر فيقول: حدثني عبد الله بن محمد الجعفي، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل عن حمزة بن أبي أسيد والزبير بن المنذر بن أبي أسيد عن أبي أسيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدرٍ: إذا اكثبوكم فارموهم، واستبقوا نبلكم» فتح الباري 7/ 382. ويقول الإمام ابن حجر وقع عند ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يحملوا على المشركين حتى يأمرهم وقال: إذا كثبوكم فانضحوهم عنكم بالنبل» فتح الباري 7/ 383.

عدد القتلى يوم بدر:

3986 - يتحدث الإمام البخاري في صحيحه عن الأرقام التي وردت عن قتلى المشركين من قريش يوم بدر يقول: حدثني عمرو بن خالد، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «جعل النبي الرماة يوم أحد عبد الله بن جبير فأصابوا سبعين منا. وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة: سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً. قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال» فتح الباري 7/ 383.

ويضيف الإمام ابن حجر رحمه الله مضيفاً إلى ما قدمه الإمام البخاري رحمه الله فيقول: «وأطبق أهل السير على أنهم خمسون قتيلاً يزيدون قليلاً أو ينقصون. سرد ابن إسحاق فبلغوا خمسين وزاد الواقدي ثلاثة وأربعة وأطلق كثير من أهل المغازي أنهم بضعة وأربعون لكن لا يلزم معرفة أسماء من قتل منهم على التعيين. وقول البراء إن عدتهم سبعون قد وافقه على ذلك ابن عباس وآخرون واخرج ذلك مسلم من حديث ابن عباس وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ [آل عمران/ 165]. واتفق أهل العلم بالتفسير على أن المخاطبين بذلك أهل أُحد وان المراد بـ ﴿أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ يوم بدر وعلى أن عدة من استشهد من المسلمين بأحد سبعون نفساً وبذلك جزم ابن هشام» فتح الباري 7/ 384. واستدل له بقول كعب بن مالك في قصيدة له:

فأقام بالطعن المطعن منهم   سبعون عتبة منهم والأسود

فتح الباري 7/ 384.

باب شهود الملائكة بدراً:

3992 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في مسألة شهود الملائكة بدر: حدثني إسحاق بن إبراهيم، اخبرنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه. وكان أبوه من أهل بدر. قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين ـ أو كلمة نحوها ـ قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة» فتح الباري 7/ 386.

3995 - ويقول من طريق آخر: حدثني إبراهيم بن موسى، اخبرنا عبد الوهاب، حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ قال يوم بدر: هذا جبريل اخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب» فتح الباري 7/ 386.

ويقول الإمام ابن حجر رحمه الله في نفس السياق: «فقد ذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ في يوم بدر خفق خفقة ثم انتبه فقال: ابشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله. هذا جبريل آخذ بعثان فرسه يقوده على ثناياه الغبار» واخرج سعيد بن منصور من مرسل عطية بن قيس «أن جبريل أتى النبي ﷺ بعدما فرغ من بدر على فرس حمراء معقودة الناصية قد تخضب الغبار بثنيته على درعه. وقال: يا محمد إن الله بعثني إليك وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى أفرضيت؟ قال: نعم» فتح الباري 7/ 391.

ووقع عند ابن إسحاق من حديث أبي واقد الليثي قال: «واني لاتبع يوم بدر رجلاً من المشركين لأضربه فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي» فتح الباري 7/ 391.

مكانة المطعم بن عدي:

(الاسارى)

4024 - يقول الإمام الحجة البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه: «إن النبي ﷺ قال في اسارى بدر: لو كان المطعم ابن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له» فتح الباري 7/ 403.

ويقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: روى الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح عن علي قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ يوم بدر فقال: خيرّ أصحابك في الأسرى إن شاءوا القتل أو شاءوا الفداء على أن يقتل منهم عاماً مقبلاً مثلهم قالوا الفداء ويقتل منّا» واخرج مسلم هذه القصة مطولة من حديث عمر ذكر فيها السبب هو «انه ﷺ قال ما ترون في هؤلاء الأسرى؟ فقال أبو بكر: أرى أن نأخذ منهم فدية تكون قوة لنا وعسى الله أن يهديهم. فقال عمر: أرى أن تمكنا منهم فنضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر. فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر وفيه نزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الانفال/ 67]» فتح الباري 7/ 407.

أسماء من سميّ من أهل بدر[1]:

يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله باب تسمية من سميّ من أهل بدر في الجامع، أي دونَّ من لم يسمِ فيه ودونَّ من لم يذكر فيه أصلاً والمراد بالجامع هذا عنه أو عن غيره بأنه شهدها لا بمجرد ذكره دون التنصيص على

---

(1) قدم ابن إسحاق في كتابه السير والمغازي أسماء كاملة للمشاركين في مغازي رسول الله ﷺ لا سيما في غزوة بدر وأُحد مع ذكر أنسابهم وعشائرهم إضافة إلى من استشهد منهم. فهو يقدم إحصاءً كاملاً للمشاركين في معارك الرسول ﷺ لا سيما الغزوات مما يدل على أن للرجل نضوج كامل في إحصاء الأسماء وتقديمهم للقارئ بشكل سليم ودقيق.

انه شهدها. وبهذا إيجاب عن ترك إيراده مثل أبي عبيدة بن الجراح فانه شهدها باتفاق وذكره في الكتاب في عدة مواضع. إلا انه لم يقع فيه التنصيص على انه شهد بدراً» فتح الباري 7/ 408.

باب غزوة أُحد:

يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقول الله تعالى عز وجل: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران/ 121].

وأُحد: «بضم الهمزة والمهملة جبل معروف بينه وبين المدينة اقل من فرسخ. وهو الذي قال فيه ﷺ: «جبل أُحد يحبنا ونحبه» وكانت الوقعة المشهورة في شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور وشذ من قال سنة أربع. قال ابن إسحاق لإحدى عشرة ليلة خلت منه وقيل لسبع ليال وقيل لثمان وقيل لتسع وقيل في نصفه وقال مالك: كانت بعد بدر بسنة وفيه يجوز لان بدراً كانت في رمضان فهي بعدها بسنة وشهر لم يكمل. فهي بعد الهجرة بأحد وثلاثين شهراً» فتح الباري 7/ 432.

ويذهب الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى القول: «وكان السبب فيها ما ذكر ابن إسحاق عن شيوخه وموسى بن عقبة عن ابن شهاب وأبو الأسود عن عروة قالوا: لمّا رجعت قريش استجلبوا ما استطاعوا من العرب وسار بهم أبو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أُحد. ورأى رسول الله ﷺ ليلة الجمعة رؤيا فلما أصبح قال: «رأيت البارحة في منامي بقراً تذبح والله خيرٌ وأبقى. ورأيت سيفي ذو الفقار انقصم من عند ظبته أو قال به فلول فكرهته وهما مصيبتان. ورأيت أني في درع حصينة واني مردف كبشاً. قالوا: وما أولتها؟ قال: أولت البقر بقراً يكون فينا وأولت الكبش كبش الكتيبة وأولت الدرع الحصينة المدينة فامكثوا فان دخل القوم قاتلناهم وارموا من فوق البيوت. فقال أولئك القوم: يا نبي الله كنا نتمنى هذا اليوم. وأبى كثير من الناس إلا الخروج فلما صلى الجمعة وانصرف دعا باللامة فلبسها» فتح الباري 7/ 432. ثم أذن في الناس بالخروج فندم ذوو الرأي منهم فقالوا: يا رسول الله امكث كما أمرتنا. فقال: ما ينبغي لنبي إذا اخذ لامة الحرب أن يرجع حتى يقاتل.

نزل فخرج بهم وهم ألف رجل وكان المشركون ثلاثة آلاف حتى نزل بأحد» فتح الباري 7/ 432.

ويستمر الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ مستعرضاً الأحوال التي مرت بها هذه الغزوة فيقول: ورجع عنه عبد الله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة فبقي سبعمائة. فلما رجع عبد الله سقط في أيدي طائفتين من المؤمنين وهما بنو حارثة وبنو سلمة. وصف المسلمون بأسفل أُحد. وصف المشركون بالسبخة تعبوا للقتال. وعلى خيل المشركين وهي مائة فرس خالد بن الوليد وليسمع المسلمين فرس وصاحب لواء المشركين طلحة بن عثمان وأمّر رسول الله ﷺ عبد الله بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلاً وعهد إليهم أن لا يتركوا منازلهم وكان صاحب لواء المسلمين مصعب بن عمير فبارز طلحة بن عثمان فقتله وحمل المسلمين على المشركين حتى أجهضوهم على أثقالهم. وحملت خيل المشركين فنضحهم الرماة بالنبل ثلاث مرات. فدخل المسلمون عسكر المشركين فانتهبوهم. فرأى ذلك الرماة فتركوا مكانهم ودخلوا العسكر. فأبصر ذلك خالد ابن الوليد ومن معه فحملوا على المسلمين في الخيل فمزقوهم وصرخ صارخ قتل محمد أخراكم فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون وانهزم طائفة منهم إلى جهة المدينة. وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل. وثبت نبي الله حين انكشفوا عنه وهو يدعوهم في أخراهم. حتى رجع إليه بعضهم وهو عند المهراس في الشعب مصعداً في الشعب ومعه طلحة والزبير. وقيل معه طائفة من الأنصار منهم سهل بن بيضاء والحارث بن الصمة. وشغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم ويقطعون الأذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون أنهم أصابوا النبي ﷺ وأشراف أصحابه فقال أبو سفيان يفخر بآلهته: اعل هبل. فناداه عمر: الله أعلى واجل» فتح الباري 7/ 433.

ويستمر الإمام في عرض وقائع غزوة أُحد فيقول: «ورجع المشركون إلى أثقالهم فقال النبي ﷺ لأصحابه: إن اركبوا واجعلوا الأثقال تتبع آثار الخيل فهم يريدون البيوت. وان ركبوا الأثقال وتجنبوا الخيل فهم يريدون الرجوع فتبعهم سعد بن أبي وقاص. ثم رجع فقال: رأيت الخيل مجنوبة فطابت أنفس المسلمين. ورجعوا إلى قتلاهم في ثيابهم ولن يغسلوهم ولم يصلوا عليهم. وبكى المسلمون على قتلاهم. فسر المنافقون وظهر غش اليهود وفارت المدينة

بالنفاق» فتح الباري 7/ 433. «فقالت اليهود: لو كان نبياً ما ظهروا عليه. وقال المنافقون: لو أطاعونا ما أصابهم هذا» فتح الباري 7/ 433.

الفوائد والحكم من يوم أُحد:

يحدثنا الإمام الحجة ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ عن الفوائد والحكم التي استخلصها المسلمون من يوم أُحد يقول:

1 ـ منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهي، لما وقع من ترك الرماة موقعهم الذي أمرهم الرسول ﷺ أن لا يبرحوا منه.

2 ـ ومنها أن عادة الرسل أن تبتلى وتكون لها العاقبة والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائماً دخل من المؤمنين من ليس منهم، ولم يتميز الصادق من غيره. ولو انكسروا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة. فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق والكاذب وذلك لان نفاق المنافقين كان مخفياً عن المسلمين. فلما جرت هذه القصة واظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحاً وعرف المسلمون أن لهم عدواً في دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم.

3 ـ ومنها أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضماً للنفس وكسراً لشماختها. فلما ابتلى المؤمنون صبروا وجزع المنافقون.

4 ـ ومنها إن الله هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا إليها.

5 ـ ومنها أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقها إليهم.

6 ـ ومنها أنه أراد إهلاك أعدائه فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه. فمحص بذلك ذنوب المؤمنين ومحق بذلك الكافرين.

قال ابن إسحاق: «انزل الله في شأن أُحد ستين آية من آل عمران». وروي عن ابن أبي حاتم من طريق المسور بن مخرمة قال: قلت لعبد الرحمن ابن عوف اخبرني عن قصتكم يوم أُحد قال: «اقرأ العشرين ومائة من آل عمران

تـجـدهـا ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾......... ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران/ 121-154].

صلاة الرسول ﷺ على قتلى يوم أُحد:

4042 - قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في حديثه عن صلاة الرسول ﷺ على شهداء يوم أُحد: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، اخبرنا زكريا بن عدي، اخبرنا ابن المبارك عن حيوة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال: «صلى رسول الله ﷺ على قتلى أُحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات. ثم اطلع المنبر فقال: «إني بين أيديكم فرط. وأنا عليكم شهيد. وان موعدكم الحوض واني لأنظر إليه من مقامي هذا. واني لا أخشى عليكم أن تشركوا ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها» فتح الباري 7/ 435. قال: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ ...» فتح الباري 7/ 435.

ويقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وقد وقع في مرسل أيوب بن بشر من رواية الزهري عنه عند ابن أبي شيبة «خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ثم كان أول ما تكلم به انه صلى على أصحاب أُحد واستغفر لهم فأكثر الصلاة عليهم» فتح الباري 7/ 436.

رماة الجبل يوم أُحد:

4043 - قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لقينا المشركين يومئذٍ، واجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة وأمّر عليهم عبد الله وقال: «لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا» فلما لقينا هربوا. حتى رأيت النساء يتشددن الجبل. رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن. فاخذوا يقولون الغنيمة الغنيمة. فقال عبد الله: عهد إليّ النبي ﷺ أن لا تبرحوا. فأبوا. فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعين قتيلاً واشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: لا تجيبوه. فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: لا تجيبوه. فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا. فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت

يا عدوَّ الله. أبقى الله عليك ما يخزيك. فقال أبو سفيان: اعل هبل. فقال النبي ﷺ أجيبوه: قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل. قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزة لكم. فقال النبي ﷺ أجيبوه. فقالوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال. وتجدون مُثلة لم أمر بها ولم تسؤني» فتح الباري 7/ 437.

4046 - ويضيف الإمام البخاري رحمه الله في نفس الموضوع: حدثنا سفيان عن عمرو وسمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «قال رجل للنبي ﷺ يوم أُحد: أرأيت إن قتلتُ فأين أنا؟ قال: في الجنة. فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قتل» فتح الباري 7/ 442.

شهداء أُحد:

4048 - قال الإمام البخاري رحمه الله عن شهداء يوم أُحد: اخبرنا حسان ابن حسان، حدثنا محمد بن طلحة، حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه أن عمه غاب عن بدر فقال: «غبت عن أول قتال النبي ﷺ لئن أشهدني الله مع النبي ﷺ ليرين الله ما أُجدُّ فلقي يوم أُحد فهُزِمَ الناس. فقال: اللهمّ إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المسلمين ـ وابرأ إليك مما جاء به المشركون. فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ فقال: أين سعد؟ إني أجد ريح الجنة دون أُحد فمضى فقتل فما عرف حتى عرفته أخته بشامةٍ ـ أو ببنانة ـ وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم» فتح الباري 7/ 443.

وقال الإمام ابن حجر رحمه الله «إن قوله تعالى ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ. . . . . .﴾ نزلت في أنس بن النظر وأشباهه» فتح الباري 7/ 444.

ويقسّم الإمام ابن حجر رحمه الله أصحاب أُحد إلى ثلاث مجاميع ويقول: «والواقع أنهم صاروا إلى ثلاث فرق: فرقة استمروا في الهزيمة إلى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال وهم قليل وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران/ 155]. وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي ﷺ قتل فصار غاية الواحد منهم أن يذب

عن نفسه أو يستمر على بصيرته في القتال إلى أن يقتل وهم أكثر الصحابة. وفرقة ثبتت مع النبي ﷺ. ثم تراجع القسم الثاني شيئاً فشيئاً لما عرفوا انه حي» فتح الباري 7/ 452.

الرماة يوم أُحد:

4067 - ويستمر الإمام بالحديث عن أحوال يوم أُحد فيقول: حدثني عمرو بن خالد، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «جعل النبي ﷺ على الرجالة يؤمهم عبد الله بن جبير واقبلوا منهزمين فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم» فتح الباري 7/ 455.

4043 - ويقول الإمام كذلك: حدثنا عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «. . . . . لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا» فتح الباري 7/ 436.

باب ليس لك من الأمر شيء:

قال الإمام ابن حجر رحمه الله في شرحه لصحيح الإمام البخاري: قال حميد وثابت عن أنس: شُجَّ النبي يوم أُحد. فقال: كيف يفلح قوم شجّوا نبيهم؟ فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾» فتح الباري 7/ 456.

حالة الرسول ﷺ يوم أُحد:

ويضيف الإمام ابن حجر رحمه الله في معرض حديثه عن حالة الرسول ﷺ يوم أُحد فيقول: أما حديث حميد فوصله أحمد والترمذي والنسائي من طرق عن حميديه، وقال ابن إسحاق في المغازي: وحدثني حميد الطويل عن أنس قال: «كسرت رباعية النبي ﷺ يوم أُحد وشُجَّ وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فانزل الله الآية» فتح الباري 7/ 457.

وذكر ابن هشام في حديث أبي سعيد الخدري «أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي ﷺ السفلى وجرح شفته السفلى. وان عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في جبهته. وان عبد الله بن قمئة جرحه في وجنته فدخلت

حلقتان من حلق المغفر في وجنته وان مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرده فقال: لن تمسك النار» فتح الباري 7/ 457.

ويقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وروى ابن إسحاق من حديث سعد بن أبي وقاص قال: «فما حرصت على قتل رجل قط حرصي على قتل أخي عتبة بن أبي وقاص لما صنع برسول الله ﷺ يوم أُحد» فتح الباري 7/ 457.

4073 - ويحاول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه أن يقدم لنا كافة الروايات ذات العلاقة بالموضوع وان اختلفت في طرق إسنادها إلا انه يقدمها طالما كانت على درجة كبيرة من الدقة والصحة، والهدف من ذلك حتى تعم الفائدة.

ففي باب ما أصاب النبي ﷺ من جراح يوم أُحد

4073 - نراه يحدثنا ويقول: حدثنا إسحاق بن نصر، حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام سمع أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رسول الله ﷺ: اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه ـ يشير إلى رباعيته ـ اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله» فتح الباري 7/ 465.

4076 - ويضيف بالقول: حدثني عمرو بن علي، حدثنا عاصم، حدثنا جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: «اشتد غضب الله على من قتله نبي واشتد غضب الله على من دمى وجه رسول الله ﷺ» فتح الباري 7/ 465.

4075 - ومن طريق آخر يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا يعقوب عن أبي حازم انه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح رسول الله ﷺ فقال: «أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يسكب وبما دُووي. قال: كانت فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله ﷺ تغسله وعلي يسكب الماء بالمجن. فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم الأكثر أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم. وكسرت رباعيته يومئذٍ وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه» فتح الباري 7/ 465.

باب من قتل من المسلمين يوم أُحد منهم:

4078 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يحدثنا عن عظائم يوم أُحد وما لاقاه رسول الله ﷺ وأصحابه في هذا اليوم يقول: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة قال: «ما نعلم حياً من أحياء العرب أكثر شهيداً اغر يوم القيامة من الأنصار» قال قتادة: وحدثنا أنس بن مالك «انه قتل منهم يوم أُحد سبعون» قال: «وكان بئر معونة على عهد رسول الله ﷺ. ويوم اليمامة على عهد أبي بكر يوم مسيلمة الكذاب» فتح الباري 7/ 468.

4079 - ويضيف الإمام بالقول: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الليث عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا اخبره: «أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحد قدمه في اللحد وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة. وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا» فتح الباري 7/ 472.

4083 - ويقول الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كذلك: وحدثني نصر بن علي قال: اخبرني أبي عن قرة بن خالد عن قتادة سمعت أنساً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «إن النبي ﷺ قال: هذا جبل يحبنا ونحبه» وقال عن المدينة اللهمّ إن إبراهيم حرم مكة واني حرمت ما بين لابتيها» فتح الباري 7/ 472.

باب قتل حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

4072 - يعد الإمام البخاري من أروع من كتب في السيرة النبوية فهو على الرغم من انه لم يتبع تسلسل الحدث في عرضه ويقدم ويؤخر حسب مقتضيات المسألة الفقهية التي يستعرضها. انه يعد من أوثق واصدق من كتب في أحداث السيرة على الإطلاق. فهو فاق اقرانه من أصحاب السنن. وتميز على أهل المغازي والسير فكان على الدوام يتحرى الصدق في عرض المسألة ويقدمها من عدة طرق.

فهو عندما يتحدث عن استشهاد حمزة عم النبي ﷺ يقول: حدثني أبو جعفر محمد بن عبد الله، حدثنا حجين بن المثنى، حدثنا عبد العزيز بن عبد

الله بن أبي سلمة عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: «خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار. فلما قدمنا حمص قال لي عبيد الله بن عدي: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم. وكان وحشي يسكن حمص فسألنا عنه. فقيل لنا: هو ذاك في ظل قصره كأنه حَمِيت قال: فجئنا حتى وقفنا عليه بيسر فسلمنا، فردّ السلام. قال: وعبيد الله معتجز بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه فقال عبيد الله: يا وحشي أتعرفني؟ قال: فنظر إليه ثم قال: لا والله. إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم قتال بنت أبي العيص. فولدت له غلاماً بمكة فكنت استرضع له فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه. فلكأني نظرت إلى قدميك قال: فكشف عبيد الله عن وجهه ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم. إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر. فقال لي مولاي جبير بن المطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر. قال: فلما أن خرج الناس عام عَينين، وعينينَ جبل بجبال أُحد، بينه وبينه وادٍ خرجت مع الناس إلى القتال. فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع ابن أم أنمار مقطعة البظور. أتُحادِ الله ورسوله ﷺ قال: ثم شد عليه. فكان كأمس الذاهب. قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة. فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثنّته حتى خرجت من بين وركيه. قال: فكان ذاك العهد به. فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشا الإسلام. ثم خرجت إلى الطائف فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رُسلاً فقيل لي: انه لا يهيج الرُّسل. قال: فخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رآني قال: أنت وحشي. قلت: نعم. قال: أنت قتلت حمزة؟ قلت: قد كان من الأمر فأبلغك. قال: فهل تستطيع أن تُغيّب وجهك عني؟ قال: فخرجت فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب قلت: لأخرجنّ إلى مسيلمة لعلي اقتله فأكافئ به حمزة. قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان قال: فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس. قال: فرميته بحربتي فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه. قال: ووثب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته» فتح الباري 7/ 459.

ويقول الإمام ابن حجر رحمه الله: «وقد ثبت في حديث مرفوع أخرجه

الطبراني من طريق الأصبع بن نباتة عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب» فتح الباري 7/ 459.

باب ذكر أم سليط:

4071 - من دقة الإمام البخاري رحمه الله انه سعى بكل جهد إلى ذكر دور المرأة المسلمة في أحداث يوم أُحد فهو هنا يحدثنا عن ابرز الصحابيات (أم سليط) فيقول: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال ثعلبة بن أبي مالك: «إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطاً بين نساءٍ من نساء أهل المدينة. فبقى منها مرط جيد. فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين أعطِ هذا بنت رسول الله ﷺ التي عندك، يريدون أم كلثوم بنت علي. فقال عمر: أم سليط أحق به. وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ قال عمر: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أُحد» فتح الباري 7/ 458.

ومن نتائج المعركة على المستوى الخارجي في علاقة دولة المدينة نجد أن العديد من القبائل العربية المتحالفة مع قريش والتي عقدت العزم على الوقوف حياداً لحين انتهاء الصراع العسكري مع دولة الإسلام وقريش نجدها اليوم تتطاول على دولة المدينة على اعتبار أن ما لحق بالمسلمين يوم أُحد قد أدى إلى نهاية قوة الدولة وبالتالي أصبح بالإمكان النيل منها بأي شكل وأسلوب أما إعلان الدخول في الإسلام والنيل من رجالها أو بالتحرش وإعداد المقاتلين وهكذا. وعليه نجد أن الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه يفرد باباً لمثل هذه الأحداث.

باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة وحديث عضل والقارة وعاصم بن ثابت وخبيب وأصحابه:

4086 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثني إبراهيم بن موسى، اخبرنا هشام بن يوسف عن معمر عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعث النبي ﷺ سرياً عيناً. وأمّر عليهم عاصم بن ثابت» فتح الباري 7/ 474.

4087 - ويضيف الإمام إضافات جديدة عن هذا الموضوع فيقول: حدثنا

عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابراً يقول: «الذي قتل خبيباً هو أبو سروعه» فتح الباري 7/ 474.

وقصة العضل والقارة كانت في غزوة الرجيع لا في سرية بئر معونة وقد فصل بينهما ابن إسحاق فذكر غزوة الرجيع في أواخر سنة ثلاث. وبئر معونة في أوائل سنة أربع. قال ابن إسحاق» حدثنا عاصم بن عمر أنها بعد أُحد» فتح الباري 7/ 474.

تسميات المنازل:

ومن الأمور الهامة التي ركز عليها الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يستعرض لنا الأحداث التي حدثت بعد غزوة أُحد نراه على أسلوب الجغرافيين واللغويين يحدد الأماكن والتسميات وهو بذلك يتميز ويكون السباق في هذا المجال فنراه مثلاً في شرحه لصحيح البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يحاول أن يكمل الجوانب التي أشار إليها الإمام باختصار نجده يقف عندها شارحاً وموضحاً ومبيناً للأسباب وهكذا.

يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ باب غزوة الرجيع سقط لفظ باب لأبي ذر والرجيع بفتح الراء وكسر الجيم هو في الأصل اسم للروث. سمي بذلك لاستحالته ـ والمراد هنا اسم موضع من بلاد هذيل كانت الوقعة بقرب منه فسميت به. فتح الباري 7/ 474.

رعل وذكوان: أي غزوة رعل وذكوان (كما سماها البخاري) «فأما رعل فبكسر الراء وسكون المهملة بطن من بني سليم ينسبون إلى رعل بن عوف بن مالك بن امرئ القيس بن لهيعة بن سليم. وأما ذكوان فبطن من بني سليم أيضاً ينسبون إلى ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم فنسبت الغزوة إليهما» فتح الباري 7/ 474.

بئر معونة: بفتح الميم وضم المهملة وسكون الواو وبعدها نون. «موضع في بلاد هذيل بين مكة وعسفان وهذه الوقعة تعرف بسرية القراء. وكانت مع بني رعل وذكوان» فتح الباري 7/ 474.

حديث عضل والقارة: أما عضل فبفتح المهملة ثم المعجمة بعدها لام.

بطن من بني الهول بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ينسبون إلى عضل ابن الديش بن محكم. وأما القارة فبالقاف وتخفيف الراء بطن من الهول أيضاً ينسبون إلى الديش.

قال ابن دريد: «القارة أكمة سوداء فيها حجارة كأنهم نزلوا عندها فسموا بها. ويضرب بهم المثل في إصابة الرمي» فتح الباري 7/ 474.

يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سياق الترجمة يوهم أن غزوة الرجيع وبئر معونة شيء واحد وليس كذلك.

فغزوة الرجيع كانت سرية عاصم بن ثابت وخبيب في عشرة أنفس وهي مع عضل والقارة. هذا ما ذكره البخاري. وبئر معونة كانت سرية القراء السبعين وهي مع رعل وذكوان» فتح الباري 7/ 474.

بئر معونة:

إن موضوع غزوتي بئر معونة والرجيع من المواضيع المهملة عند أصحاب السير والمغازي المعاصرين على اعتبار أنها أحداث مرت في زمن الرسول ﷺ وليست بذي بال فهي ليست كبدر أو أُحد أو غيرهما بل هي عبارة عن غزوات أو سرايا هامشية. في حين أنها تعد من اخطر السرايا والغزوات خصوصاً أنها حدثت بعد أُحد مباشرةً وكان لها تأثيراً سلبياً على أحوال المدينة من الداخل فهما قد تزامنتا في وقت واحد تقريباً واختلفت مصادر السير والمغازي في عرضها وقدموها على أساس أنها من مكائد قريش للنيل من الرسول ﷺ ودولته وأصحابه. وأنها من النتائج السلبية لمعركة أُحد. وحتى الدراسات الحديثة إذا ذكرتها على أنها تطاول من قبل الأعراب على المدينة في حين سنجد أن الإمام البخاري يعرضها لنا على أساس أنها غزوة خانها التوفيق بسبب غدر بعض من شيوخ رعل وذكوان.

4090 - يقول الإمام البخاري في بئر معونة: حدثني عبد الاعلى بن حماد، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أن رعلاً وذكوان وعُصية وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدوٍ. فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل. حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ

النبي ﷺ فقنت شهراً يدعو في الصبح على أحياء من العرب: على رعل وذكوان وعُصية وبني لحيان. قال أنس: وقرأنا فيهم قرآناً ثم إن ذلك رُفع. بلغوا عنا قومنا أن لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا» فتح الباري 7/ 482.

4091 - ومن طريق آخر أو في رواية أخرى يحدثنا الإمام البخاري رحمه الله عن هذه الغزوة فيقول: حدثنا موسى ابن إسماعيل، حدثنا همام عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة قال: حدثني أنس أن النبي ﷺ بعث خالهُ ـ أخ لأم سليم ـ حرام بن ملحان ـ في سبعين راكباً ـ وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خيّر بين ثلاث خصال فقال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر. أو أكون خليفتك أو أغزوك بأهل غطفان بألف ألف؟ فطعن عامر في بيت أم فلان. فقال: غُدّة كغدَّةِ البَكرِ، في بيت امرأة من آل فلان ائتوني بفرسي. فمات على ظهر فرسه. فانطلق حرام اخو أم سليم وهو رجل أعرج ورجل من بني فلان قال: كونا قريباً حتى آتيهم فان آمنوني كنتم وان قتلوني أتيتم أصحابكم. فقال: أتؤمنوني أُبلغ رسالة رسول الله ﷺ فجعل يحدثهم. وأومأوا إلى رجل فأتاه من خلفه فطعنه قال همام: احسبه حتى أنفذه بالرمح. قال الله اكبر فُزتُ وربُّ الكعبة فلحق الرجل فقتلوا كلهم غير الأعرج كان في رأس جبل. فأنزل الله علينا ثم كان من المنسوخ: إنّا قد لقينا ربّنا فرضي عنا وأرضانا فدعا النبي ﷺ ثلاثين صباحاً على رعل وذكوان وبني لحيان وعُصية الذين عصوا الله ورسوله» فتح الباري 7/ 482.

4092 - ومن طريق آخر يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثني حِبّان، اخبرنا عبد الله، اخبرنا معمر قال: حدثني ثمامة بن عبد الله بن أنس انه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: «لمّا طعن حرام بن ملحان وكان خاله ـ يوم بئر معونة ـ قال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه ثم قال: فزت ورب الكعبة[1]» فتح الباري 7/ 482.

---

(1) ينظر ابن إسحاق، السير والمغازي، تحقيق أحمد فريد، ط1 (بيروت: 2004) ا/ 371. سوف نرى أن هناك اختلافاً واضحاً ما بين ما قدمه البخاري (رحمه الله) في صحيحه وبين ما قدمه أصحاب السير والمغازي وكل له وجة نظر إلا أننا نرى أن ما قدمه الإمام البخاري هو أسلم وأصح وأدق، والله اعلم.

ويستكمل الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحديث عن أصحاب بئر معونة وهو يشرح صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيقول: «لمّا قتل الذين ببئر معونة واسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ فأشار إلى قتيل. فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة. فقال: لقد رأيته بعدما قتل رُفع إلى السماء حتى أني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض. ثم وضع. فأتى النبي ﷺ خبرهم فنعاهم فقال: إن أصحابكم قد أصيبوا. وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا: ربنا اخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا فاخبرهم عنهم» فتح الباري 7/ 486.

4096 - ويحدثنا الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ من طريق آخر عن أصحاب بئر معونة فيقول: «حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد، حدثنا عاصم الأحول: «إنما قنت رسول الله ﷺ بعد الركوع شهر. انه كان بعث أناساً يقال لهم القراء - وهم سبعون رجلاً - إلى ناس من المشركين وبينهم وبين رسول الله ﷺ عهد قبلهم فظهر هؤلاء الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد. فقنت رسول الله ﷺ بعد الركوع شهر يدعو عليهم» فتح الباري 7/ 487.

باب غزوة الخندق وهي الأحزاب:

تميز الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه وفي باب المغازي على وجه الخصوص انه يحاول أن يقدم عن الحدث كل الروايات ذات العلاقة وهذا أسلوب تميز به عن غيره كما انه لم يحاول أن يلتزم رواية دون الأخرى مما يدل على انه يثق بجميع الروايات وإلا لما أوردها جميعاً جزاه الله ألف خير. وفي غزوة الخندق نجده يقول: «قال موسى بن عقبة: كانت في شوال سنة أربع».

4098 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني قتيبة، حدثنا عبد العزيز عن أبي حازم عن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا. فقال رسول الله ﷺ: «اللهمّ لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار» فتح الباري 7/ 490.

4099 - ومن طريق آخر يحدثنا الإمام فيقول: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق عن حميد سمعت أنساً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا بالمهاجرين والأنصار يحفرون في غداة

باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم. فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: اللهمّ إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة. فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

وكان الرسول ﷺ يجيبهم «اللهم انه لا خير إلا خير الآخرة. فبارك في الأنصار والمهاجرة» فتح الباري 7/ 490.

ويقول الإمام ابن حجر رحمه الله عن هذه الغزوة مستشهداً بما ذكره ابن إسحاق فيقول: «قال ابن إسحاق: كانت في شوال سنة خمس وبذلك جزم غيره من أهل المغازي» فتح الباري 7/ 490.

وقال: «يؤتون بملء كفي من الشعير فيصنع لهم بأهالةٍ سنخةٍ توضع بين يدي القوم والقوم جياع وهي بشعة في الحلق ولها ريح منتن» فتح الباري 7/ 490.

4104 - ويقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حدثنا مسلم ابن إبراهيم، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه ـ أو اغبر بطنه ـ يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فتح الباري 7/ 491.

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله بين ابن إسحاق في المغازي صفة نزولهم قال: «نزلت قريش بمجمع السيول في عشرة آلاف احابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وتهامة. . . . .» فتح الباري 7/ 495 - 500.

«ونزل عيينة في غطفان ومن معهم من أهل نجد إلى جانب أُحد بباب النعمان. وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف. والخندق بينه وبين القوم. وجعل الذراري والنساء في الآطام، حتى تكلم متعب بن قشير وأوس بن قيظي وغيرهما من المنافقين بالنفاق. قال: وتوجه حيي ابن أخطب إلى بني قريظة فلم يزل بهم حتى غادروا» فتح الباري 7/ 500. «وبلغ المسلمون غدرهم فاشتد بهم البلاء. فأراد الرسول ﷺ أن يعطي عيينة بن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا فمنعه من ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة. . . . .» فتح الباري 7/ 500.

ويصف لنا الإمام ابن حجر رحمه الله حال المنافقين يوم الخندق: «فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون: إن بيوتنا عورة، حتى تكلم متعب بن قشير وأوس بن قيظي وغيرهما من المنافقين بالنفاق. ويقول أحد الصحابة: فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا جاث على ركبتي ولم يبقَ معه إلا ثلاثمائة. فقال: اذهب فإنني بخبر القوم. قال: فدعا لي فأذهب الله عني القر والفزع. فدخلت عسكرهم فإذا الريح فيه لا تجاوزه شبراً. فلما رجعت رأيت فوارس في طريقي فقالوا: اخبر صاحبك أن الله عز وجل كفاه القوم» فتح الباري 7/ 501.

وهنا نجد الإمام ابن حجر رحمه الله يوضح الحالة التي كانت عليها المدينة فيقول: «كان الذين جاؤوهم من فوقهم بنو قريظة ومن أسفل منهم قريش وغطفان». ويقول الإمام ابن حجر رحمه الله كذلك: قال ابن إسحاق: «ولم يقع بينهم حرب إلا مراماة بالنبل لكن كان عمرو بن ود العامري اقتحم هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتى صاروا بالسبخة فبارزه علي فقتله. وبرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي فبارزه الزبير فقتله. ويقال قتله علي ورجعت بقيت الخيول منهزمة.......» فتح الباري 7/ 500.

ويستشهد الإمام ابن حجر رحمه الله بابن إسحاق حيث بين الأخير كيف آلت هذه الغزوة التي أعدت لها قريش كل طاقاتها القتالية والسياسية والاقتصادية». يقول: وذكر ابن إسحاق أن سبب رحيلهم «أن نُعيم بن مسعود الاشجعي أتى النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً ولم يعلم به قومه. فقال له: خذل عنا. فمضى إلى بني قريظة وكان نديماً لهم فقال: إن قريشاً وغطفان ليست هذه بلادهم وإنهم إن رأوا فرصة انتهزوها وإلا رجعوا إلى بلادكم وتركوكم في البلاء مع محمد ولا طاقة لكم به. قالوا: فما ترى؟ قال: ألا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا رهناً منهم. فقبلوا رأيه فتوجه إلى قريش فقال لهم: إن اليهود ندموا على الغدر بمحمد فراسلوه في الرجوع إليه. فراسلهم بأنا لا نرضى حتى تبعثوا إلى قريش فتأخذوا منهم رهناً فأقتلوهم. ثم جاء غطفان بنحو ذلك. قال: فلما أصبح أبو سفيان بعث عكرمة بن أبي جهل إلى بني قريظة بأنا قد ضاق بنا المنزل ولم نجد مرعى فاخرجوا بنا حتى نناجز محمداً. فأجابوهم: إن اليوم السبت ولا نعمل فيه شيئاً. ولا بد لنا من الرهن منكم لئلا تغدروا بنا. فقالت قريش: هذا

ما حذركم نعيم فراسلوهم ثانياً ان لا نعطيكم رهناً. فان شئتم أن تخرجوا فافعلوا. فقالت قريظة: هذا ما اخبرنا نعيم» فتح الباري 7/ 502.

نتائج يوم الأحزاب:

4110 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: «حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل، سمعت أبا إسحاق يقول: سمعت سليمان بن صرد يقول: «سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلى الله الأحزاب عنه: الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم» فتح الباري 7/ 505.

4111 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا إسحاق، حدثنا روح، حدثنا هشام عن محمد عن عبيدة عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ انه قال يوم الخندق: ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس» فتح الباري 7/ 506.

4114 - ويقول الإمام كذلك: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الليث عن سعيد بن ابي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إن رسول الله ﷺ كان يقول: لا اله إلا الله وحده اعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده[1]» فتح الباري 7/ 507.

باب غزوة ذات الرقاع:

وهي غزوة محارب حضفة من بني ثعلبة من غطفان فنزل نخلاً.

4125 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال عبد الله بن رجاء اخبرنا عمران العطّار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أن النبي ﷺ صلى بأصحابه الخوف في غزوة السابعة غزوة ذات الرقاع». قال ابن عباس: «صلى النبي ﷺ يعني صلاة الخوف بذي قرد» فتح الباري، 7/ 520.

(1) تعد غزوة الأحزاب من الغزوات الهامة على الرغم من انه لم يقع بها قتال إلا أنها كانت نهاية المطاف لقوة قريش حيث أعدت لها كل ما تقدر عليه من طاقات بشرية ومالية وسياسية إلا أنها انتهت بفشل ذريع وهذه النهاية جعلت الرسول ﷺ يقول مستنداً إلى تغير في ميزان القوى في الجزيرة الآن نغزوهم ولا يغزوننا دليل على تحول الصراع من حالة دفاع إلى حالة هجوم.

4127 - ومن طريق آخر قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: وقال ابن إسحاق سمعت وهب بن كيسان سمعت جابراً خرج النبي ﷺ إلى ذات الرقاع من نخل فلقي جمعاً من غطفان فلم يكن قتال. وأخاف الناس بعضهم بعضاً فصل النبي ﷺ ركعتي الخوف» فتح الباري 7/ 520.

4128 - ويضيف الإمام البخاري رحمه الله في رواية أخرى فيقول: حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أسامة عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في غزوة ونحن في ستة نفر بيننا بعير نعتقبه. فنقبت أقدامنا. ونقبت قدماي وسقطت أظفاري. وكنا نلف على أرجلنا الخرق. فسميت غزوة ذات الرقاع. لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا» فتح الباري 7/ 521.

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله: «واستدل على التعدد أيضاً بقول أبي موسى إنها سميت ذات الرقاع لما لفوا في أرجلهم من الخرق. وأهل المغازي ذكروا في تسميتها بذلك أموراً غير هذا. قال ابن هشام وغيره: سميت بذلك لأنهم رفعوا فيها الرايات لهم. وقيل بشجر بذلك الموضع يقال له ذات الرقاع. وقيل: بل الأرض التي كانوا نزلوا بها كانت ذات ألوان تشبه الرقاع. وقيل: لان خيلهم كان بها سواد وبياض. قال ابن حبان وقال الواقدي: سميت بجبل هناك فيه بقع» فتح الباري 7/ 523. «وهذا لعله مستند ابن حبان ويكون قد تصحف جبل بخيل» فتح الباري 7/ 523.

ويقول الإمام ابن حجر رحمه الله كذلك: «فتعين أن تكون ذات الرقاع بعد بني قريظة فتعين أن المراد الغزوات التي وقع فيها القتال، الأولى بدر والثانية أُحد والثالثة الخندق والرابعة قريظة والخامسة المريسيع والسادسة خيبر. فيلزم هذا أن تكون ذات الرقاع بعد خيبر للتنصيص على أنها السابعة. فالمراد تاريخ الوقعة لا عدد المغازي. وهو العبارة اقرب إلى إرادة السنة من العبارة التي وقعت عند أحمد بلفظ وكانت صلاة الخوف في السابعة، فانه يصح أن يكون التقدير في الغزوة السابعة كما يصح في غزوة السنة السابعة» فتح الباري 7/ 524.

قوله: «وقال ابن عباس: صلى النبي ﷺ - يعني صلاة الخوف - بذي قرد» بفتح القاف والراء وهو موضع على نحو يوم من المدينة مما يلي بلاد

غطفان، وحديث ابن عباس هذا وصله النسائي والطبراني من طريق أبي بكر ابن أبي الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس «أن رسول الله ﷺ صلى بذي قرد صلاة الخوف مثل صلاة حذيفة» وأخرجه أحمد وإسحاق من هذا الوجه بلفظ «فصف الناس خلفه صفين: صف موازي للعدو وصف خلفه. فصلى بالذي يليه ركعة ثم ذهبوا إلى مصاف الآخرين، وجاء الآخرون فصلى بهم ركعة أخرى» انتهى. وقد تقدم حديث ابن عباس في «باب صلاة الخوف» من طريق الزهري عن عبيد الله به نحو هذا، لكن ليس «بذي قرد» وزاد فيه «والناس كلهم في صلاة، ولكن يحرس بعضهم بعضاً» وحمله الجمهور على أن العدو كانوا في جهة القبلة كما سيأتي بعد قليل. وهذه الصفة تخالف الصفة التي وصفها جابر، فيظهر أنهما قصتان، لكن البخاري أراد من إيراد حديث ابن عباس وحديث سلمة بن الأكوع الموافق له في تسمية الغزوة الإشارة أيضاً إلى أن غزوة ذات الرقاع كانت بعد خيبر، لان في حديث سلمة تنصيص على أنها كانت بعد الحديبية، وخيبر كانت قرب الحديبية، لكن يعكر عليه اختلاف السبب والقصد، فان سبب غزوة ذات الرقاع ما قيل لهم إن محارب يجمعون لهم فخرجوا إليهم إلى بلاد غطفان، وسبب غزوة القرد إغارة عبد الرحمن بن عيينة على لقاح المدينة فخرجوا في آثارهم، ودل حديث سلمة على انه بعد أن هزمهم وحده واستنفذ اللقاح منهم أن المسلمين لم يصلوا في تلك الخرجة إلى بلاد غطفان فافترقا، وأما الاختلاف في كيفية صلاة الخوف بمجرده فلا يدل على التغاير لاحتمال أن تكون وقعت في الغزوة الواحدة على كيفيتين في صلاتين في يومين بل في يوم واحد.

باب غزوة بني المصطلق من خزاعة وهي غزوة المريسيع:

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله عن هذه الغزوة: «قال ابن إسحاق: وذلك سنة ست، وقال موسى بن عقبة: سنة أربع، وقال النعمان بن راشد عن الزهري: كان حديث الإفك في غزوة المريسيع» فتح الباري 7/ 535.

4138 - يقول الإمام البخاري رحمه الله عن هذه الغزوة: حدثنا قتيبة بن سعيد، اخبرنا إسماعيل بن جعفر عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن محمد بن يحيى بن حبان عن ابن محيريز انه قال: «دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد

الخدري فجلست إليه، فسألته عن العزل. فقال أبو سعيد: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق. فأصبنا سبياً من سبي العرب، فاشتهينا النساء واشتدت علينا العُزبة وأحببنا العزل فأردنا أن نعزل. وقلنا: نعزل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟ قيل أن نسأله فسألناه عن ذلك فقال: ما عليكم أن لا تفعلوا، ما من نسمة كائنةٍ إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة» فتح الباري 7/ 535.

4139 - ويستشهد الإمام على عادته بكل الروايات ذات العلاقة بالموضوع فيقول: حدثنا محمود، حدثنا عبد الرزاق، اخبرنا معمر عن الزهري عن أبي سلمه عن جابر بن عبد الله قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجدٍ. فلما أدركته القائلة وهو في وادٍ كثير العضاة فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه فتفرق الناس في الشجر يستظلون. وبينما نحن كذلك، إذ دعانا رسول الله ﷺ فجئنا فإذا أعرابي قاعد بين يديه فقال: إن هذا أتاني وأنا نائم فاخترط سيفي. فاستيقظت وهو قائم على رأسي مخترط سيفي صلتاً. قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله. فشامَه ثم قعد فهو هذا. قال: ولم يُعاقبهُ رسول الله ﷺ» فتح الباري 7/ 535.

ويعرف لنا الإمام ابن حجر رحمه الله غزوة بني المصطلق فيقول: «أما المصطلق فهو بضم الميم وسكون المهملة وفتح الطاء المهملة وكسر اللام بعدها قاف، وهو لقب واسمه جزيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة. بطن من بني خزاعة. وأما المريسيع فبضم الميم وفتح الراء وسكون التحتانيتين بينهما مهملة مكسورة وآخره عين مهملة. هو ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم. وقد روى الطبراني من حديث سفيان بن وبرة قال: كنا مع النبي ﷺ في غزوة المريسيع غزوة بني المصطلق» فتح الباري 7/ 536.

ويقول الإمام ابن حجر كذا ذكره البخاري وكأنه سبق فلما أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع. والذي في مغازي موسى بن عقبة من عدة طرق أخرجها الحاكم وأبو سعيد النيسابوري والبيهقي في الدلائل وغيرهم سنة خمس ولفظه عند موسى بن عقبة عن ابن شهاب «ثم قاتل رسول الله ﷺ بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس» ويؤيده ما أخرجه البخاري في الجهاد عن ابن عمر «انه غزا مع النبي ﷺ بني المصطلق في شعبان سنة

أربع»، وقال الحاكم في الإكليل قول عروة وغيره «إنها كانت سنة خمس أشبه من قول ابن إسحاق». قلت: ويؤيده ما ثبت في حديث الإفك «أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عبادة في أصحاب الإفك. فلو كان المريسيع في شعبان سنة ست مع كون حديث كان فيها لكان وقع في الصحيح مع ذكر سعد ابن معاذ غلطاً لان سعد بن معاذ مات أيام قريظة وكانت سنة خمس على الصحيح. وان كانت كما قيل سنة أربع فهي اشد. فيظهر أن المريسيع كانت خمس في شعبان فتكون قد وقعت قبل الخندق لان الخندق كانت في شوال من سنة خمس أيضاً فتكون بعدها فيكون سعد بن معاذ موجوداً في المريسيع ورمي بعد ذلك بهم في الخندق ومات من جراحته في قريظة. وان الإفك كانت سنة خمس إذ الحديث فيه تصريح بأن القصة وقعت بعد نزول الحجاب والحجاب كان في ذي القعدة سنة أربع عند جماعة. فيكون المريسيع بعد ذلك فيرجح أنها سنة خمس. أما قول الواقدي إن الحجاب كان في ذي القعدة سنة خمس فمردود. وقد جزم خليفة وأبو عبيدة وغير واحد بأنه كان سنة ثلاث فخلصنا في الحجاب على ثلاث أقوال أشهرها سنة أربع والله اعلم» فتح الباري 7/ 537.

باب غزوة أنمار:

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله في شرح صحيح البخاري رحمه الله: «لم يذكر أهل المغازي غزوة أنمار[1]» فتح الباري 7/ 537. وذكر مغلطاي «أنها غزوة أمِر بفتح الهمزة وكسر الميم». فقد ذكر ابن إسحاق «أنها كانت في صفر»، وعند ابن سعد «قدم قادم بجلب فأخبر أن أنمار وثعلبة قد جمعوا لهم، فخرج لعشر خلون من المحرم، فأتى محلهم بذات الرقاع»، وقيل «إن غزوة أنمار وقعت في أثناء غزوة بني المصطلق لما روى الزبير عن جابر: أرسلني رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى بني المصطلق. فأتيته وهو يصلي على بعير» الحديث ويؤيده رسول الله ﷺ. قال الليث عن القاسم بن محمد «إن النبي ﷺ صلى في غزوة بني أنمار صلاة الخوف....» فتح الباري 7/ 537.

---

(1) لم يذكرها ابن إسحاق في مغازيه ينظر المجلدان وكذلك لم يذكرها الواقدي في مغازي رسول الله ﷺ.

باب حديث الإفك:

يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عن حديث الإفك حديثاً عن النعمان بن راشد ومعمر عن الزهري عن عائشة فذكر قصة الإفك في غزوة المريسيع وبهذا قال ابن إسحاق وغير واحد من أهل المغازي «إن قصة الإفك كانت في رجوعهم من غزوة المريسيع.

والإفك بمنزلة النِجّس والنجّس يقال إفكهم افكهم وأفكهم فمن قال: «اَفكهَم» يقول: «صرفهم عن الإيمان وكذّبهم».

كما قال: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات/ 9]، «يُصرف عنه من صَرف».

4141 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال: حدثني عروة بن الزبير وسعيد ابن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا. قالت عائشة: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً قرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه. قالت عائشة: فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما انزل الحجاب. فكنت احمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين. آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جازوت الجيش. فلما قضيتُ شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع. فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه. قالت: واقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب عليه وهم يحسبون أني فيه. وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهن اللحم. إنما يأكلن الفلقة من الطعام - فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه. وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل فساروا. ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بهم منهم داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به. وظننت إنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت. وكان صفوان بن المعطل

السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش. فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم. فعرفني حين رآني. وكان رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني. فخمرت وجهي بجلبابي والله ما تكلمنا بكلمة. ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه. وهوى حتى أنا في راحلته فوطئ على يدها فقمت إليها فركبتها. فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة. وهم نزول. قالت فهلك من هلك. وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي سلول» فتح الباري 7/ 538 - 540 وما بعدها.

ويستمر الإمام ابن حجر في عرض هذه المسألة من كل الطرق فيقول: «قال عروة: أُخبرتُ انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه. وقال عروة أيضاً: لم يسمِّ من أهل الإفك أيضاً إلا حسان بن ثابت ومسطح ابن اثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم. غير أنهم عُصبة (كما قال الله تعالى) وان كِبر ذلك يقال عبد الله بن أبي ابن سلول. قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول انه الذي قال:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمدٍ منكم وِقاءُ»

ويستكمل الإمام ابن حجر رحمه الله حديثه عن الإفك من طريق آخر فيقول: قالت عائشة: «فقدمنا المدينة. فاشتكيت حين قدمت شهراً. والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا اشعر بشيء من ذلك. وهو يريبني في وجعي أني لا اعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكي. إنما يدخلُ عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تِيكم؟ ثم ينصرف. فذلك يريبني ولا اشعر بالشر. حتى خرجت حين نقهت. فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع. وكان فتبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل. وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا. قالت: وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا. قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق. وابنها مسطح بن أثاثة بن عبّاد بن المطلب. فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا. فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح. فقالت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ فقالت: أي

هنتاه. ولم تسمعي ما قال؟ قالت: وقلت ما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك. قالت فازددت مرضاً على مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل عليّ رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: كيف تِيكم؟ فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبويّ. قالت: وأريد أن استيقن الخبر من قبلهما. قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ فقلت لأمي: يا متاه ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن عليها. قالت: فقلت سبحان الله. أو لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم. ثم أصبحت ابكي. قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشرهما في فراق أهله» فتح الباري 7/ 540.

4143 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة عن حصين عن أبي وائل، حدثني مسروق بن الأجدع قال: «حدثتني أم رومان ـ وهي أم عائشة رضي الله عنهما ـ وقالت: بينما أنا قاعدة أنا وعائشة إذ ولجت امرأة من الأنصار فقالت: فعل الله بفلان وفعل بفلان. فقالت أم رومان: وما ذاك؟ قالت: ابني فيمن حدث الحديث. قالت: وما ذاك؟ قالت: كذا وكذا. قالت عائشة: سمع رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم. قالت: وأبو بكر؟ قالت: نعم، فخرت مغشياً عليها. فما أفاقت إلا وعليها حمى بنافض. فطرحت عليها ثيابها فغطيتها. فجاء النبي ﷺ فقال: ما شأن هذه؟ قلت يا رسول الله أخذتها بالحمى بنافض. قال: فلعل في حديث تحدثّ به؟ قالت: نعم. فقعدت عائشة فقالت: والله لئن حلفت لا تصدقوني ولئن قلت لا تعذروني مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه، ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ قالت: وانصرف ولم يقل شيئاً. فانزل الله عذرها. قالت: بحمد الله لا بحمد أحد ولا بحمدك» فتح الباري 7/ 543.

4144 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن هذا الموضوع والذي أفرد به جانباً كبيراً: حدثني يحيى، حدثنا وكيع عن نافع عن ابن عمر عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها: «كانت تقرأ ﴿إِذْ تَلِقُونَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور/ 15] وتقول: الولقُ الكذب. قال ابن أبي مليكة: وكانت أعلم الناس من غيرها بذلك لأنه نزل فيها» فتح الباري 7/ 543.

4145 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه مستكملاً هذا الموضوع فيقول: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبدة عن هشام عن أبيه قال: «ذهبت اسب حسان عند عائشة فقالت: لا تسبه، فانه كان ينافح عن رسول الله ﷺ. وقالت عائشة: استأذن النبي ﷺ في هجاء المشركين، قال: كيف بنسبي؟ قال: لأسلَّنَّكَ منهم كما تسل الشعرة من العجين».

4146 - ويضيف الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: حدثني بِشرُ بن خالد، اخبرنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سليمان عن أبي الضُحى عن مسروق قال: «دخلنا على عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وعندها حسان بن ثابت يُنشدُها شعراً يُشَبِّبُ بأبيات له وقال:

حصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ وتصبحُ غَرثى من لحوم الغوافل

فقالت له عائشة: لكنك لست كذلك. قال مسروق: فقلتُ لها: لم تأذني له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور/ 11]. فقالت: وأيُّ عذاب اشدُّ من العمى؟ قالت له: انه كان ينافح - أو يهاجي - عن رسول الله ﷺ».

يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «قوله: أبلغك أن علياً كان فيمن قذف عائشة» في رواية عبد الرزاق «فقال: الذي تولى كبره منهم علي، قلت: لا» كذا في رواية عبد الرزاق وزاد «ولكن حدثني سعيد بن المسيب وعروة وعلقمة وعبيد الله وكلهم عن عائشة قال: الذي تولى كبره عبد الله بن أبي قال فما كان جزمه»، وفي ترجمة الزهري عن «حلية أبي النعيم» من طريق عيينة عن الزهري: «كنت عند الوليد بن عبد الملك فتلا هذه الآية ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور/ 11]. فقال: نزلت في علي بن أبي طالب. قال الزهري: أصلح الله الأمير ليس الأمر كذلك، اخبرني عروة عن عائشة أنها نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول» ولابن مردويه من وجه آخر عن الزهري «كنت عند الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالي وهو يقرأ سورة النور مستلقياً، فلما بلغ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ حتى بلغ ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ [النور/ 11] جلس ثم قال: يا أبا بكر من تولى كبره منهم؟ أليس علي ابن أبي طالب؟ قال: فقلت في نفسي: ماذا أقول؟ لئن قلت لا لقد خشيت أن

ألقى منه شراً ولئن قلت نعم لقد جئت بأمر عظيم، قلت في نفسي: لقد عودني الله على الصدق خيراً، قلت: لا، قال: فضرب بقضيبه على السرير ثم قال: فمن فمن؟ حتى ردد ذلك مراراً، قلت: لكن عبد الله بن أبي».

وقوله: «ولكن اخبرني رجلان من قومك» أي من قريش، لان أبا بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث مخزومي وأبا سلمه بن عبد الرحمن بن عوف زهري يجمعهما مع بني أمية رهط الوليد مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.

باب غزوة الحديبية:

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح/ 18].

4147 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في معرض حديثه عن غزوة الحديبية أو ما اصطلح عليه عند أهل المغازي والسير بصلح الحديبية: حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان بن بلال قال: حدثني صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية فأصابنا مطراً ذات ليلة فصلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ثم اقبل علينا فقال: أتدرون ماذا قال ربكم؟ قلنا الله ورسوله اعلم، فقال: قال الله أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي. فأما من قال مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مُطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بي» فتح الباري 7/ 548.

«وكان توجهه ﷺ من المدينة يوم الاثنين مُستَهل ذي القعدة سنة ست فخرج قاصداً إلى العمرة فصده المشركون عن الوصول إلى البيت وقعت بينهم المصالحة على أن يدخل مكة في العام المقبل». وجاء عن هشام بن عروة عن أبيه «انه خرج في رمضان واعتمر في شوال»، ووقع في رواية إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء «وكنا أربع عشرة مائة» وفي رواية زهير عنه «أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة أو أكثر». فقال سعيد: حدثني جابر «أنهم كانوا خمس عشرة مائة» واصح الروايات «أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة» فتح الباري 7/ 549.

4150 - ويقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا عبيد الله بن موسى عن

إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء ﵁ قال: «تعدون انتم الفتح فتح مكة. وقد كان فتح مكة فتحاً. ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة. والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة. فبلغ ذلك النبي ﷺ فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد. ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركباننا» فتح الباري 7/ 549.

4158 - ويستمر الإمام في عرض وقائع أحداث صلح الحديبية فيقول: حدثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن مروان والمسور بن مخرمة قالا: «خرج بنا النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي واشعر! واحرم منها». لا أحصي كم سمعته من سفيان حتى سمعته يقول: «لا أحفظ من الزهري الإشعار والتقليد فلا ادري يعني موضوع الإشعار والتقليد أو الحديث كله» فتح الباري 7/ 554.

4169 - ثم يحدثنا الإمام بزيادة عن الموضوع فيقول: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة بن الأكوع «على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت» فتح الباري 7/ 560.

4178 - 4179 ويقول الإمام البخاري ﵀ كذلك: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان قال: سمعت الزهري حين حدث هذا الحديث حفظت بعضه وثبتني معمر عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ـ يزيد احدهما على صاحبه ـ قالا: «خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه. فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعرهُ وأحرم منها بعمرة وبعث عيناً له من خزاعة. وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه قال: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك. فقال: أشيروا أيها الناس عليّ أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت فان يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركناهم محروبين. قال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا

حرب أحد فتوجه له. فمن صدنا عنه قاتلناه. قال: امضوا على اسم الله» فتح الباري 7/ 565.

4180 - 4181 - وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً: حدثني إسحاق، اخبرنا يعقوب، حدثني ابن أخي ابن شهاب عن عمه، اخبرني عروة بن الزبير انه سمع مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة يخبران خبراً عن رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية. فكان فيما اخبرني عروة عنهما انه «لما كتب سهيل ابن عمرو انه قال: لا يأتيك منا أحد وان كان على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه. وأبى سهيل أن يقاضي رسول الله ﷺ إلا على ذلك فكره المؤمنون ذلك. وامتعضوا فتكلموا فيه. فلما أبى سهيل أن يقاضي رسول الله ﷺ إلا على ذلك كاتبه رسول الله ﷺ فرد رسول الله ﷺ أبا جندل بن سهيل يومئذٍ إلى أبيه سهيل. ولم يأت رسول الله ﷺ احد من الرجال إلا رده في تلك المدة وان كان مسلماً. وجاءت مؤمنات مهاجرات. فكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ وهي عاتق فجاء أهلها يسألون رسول الله ﷺ أن يرجعها إليهم. حتى انزل الله تعالى في المؤمنات ما انزل في سورة الممتحنة/ 12» فتح الباري 7/ 566.

يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في حديث عبد الله بن أبي أحمد بن جحش «هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط فخرج أخواها الوليد وعمارة ابنا عقبة بن أبي معيط حتى قدما المدينة فكلما الرسول ﷺ أن يردها إليهم. فنقض العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة» فنزلت الآية[1]» أخرجه ابن مردويه في تفسيره وبهذا يظهر المراد بقوله تعالى في حديث الباب «حتى انزل الله في المؤمنات ما أنزل».

4182 - ويضيف الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيقول: قال ابن شهاب واخبرني عروة بن الزبير أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ قالت: «إن الرسول ﷺ كان يمتحن من هاجر من المؤمنات بهذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة/ 12]» وعن عمه قال: «بلغنا حين أمر الله رسوله ﷺ أن

(1) الممتحنة، الآيات/ 10-12.

يرد إلى المشركين ما أنفقوا على من هاجر من أزواجهم. وبلغنا أن أبا بصير. . . . فذكره بطوله» فتح الباري 7/ 567.

باب قصة عُكل وعُرينة:

4192 - قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: حدثني عبد الأعلى بن حماد، حدثنا يزيد بن زُويع، حدثنا سعيد عن قتادة أن أنساً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حدثهم «أن ناساً من عُكل وعُرينة قدموا المدينة على النبي ﷺ وتكلموا بالإسلام فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف واستوخموا المدينة. فأمر لهم رسول الله ﷺ بذودٍ وراعٍ وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها. فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الذود. فبلغ ذلك النبي ﷺ فبعث الطلب في آثارهم. فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وتركوا في ناحية الحرة ماتوا على حالهم» فتح الباري 7/ 571.

باب غزوة ذات القرد:

يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهي الغزوة التي أغاروا فيها على لقاح النبي ﷺ قبل خيبر بثلاث» فتح الباري 7/ 574.

4194 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه عن هذه الغزوة: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا حاتم عن يزيد عن أبي عبيد قال: سمعت سلمه بن الأكوع يقول: «خرجت قبل أن يؤذن بالأولى. وكانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذي قرد. قال: فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال: أُخذت لقاح رسول الله ﷺ. قلت: من أخذها؟ قال: غطفان. قال: فصرخت ثلاث صرخات (يا صباحاه). قال: فأسمعت ما بين لابتي المدينة. ثم اندفعت إلى وجهي حتى ادركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء. فجعلت أرميهم بنبلي وكنت رامياً. وأقول:

أنا ابن الأكوع   اليوم يوم الرضّع

وارتجز حتى استنقذت اللقاح منهم. واستلبت منهم ثلاثين بردة. قال: وجاء النبي ﷺ والناس فقلت: يا نبي الله. قد حميتُ القوم الماء وهم عطاش فابعث إليهمُ الساعة. فقال: يا ابن الأكوع ملكت فأسجِع قال: ثم رجعنا ويردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة» فتح الباري 7/ 574.

ويقول الإمام ابن حجر رحمه الله في حديث إلياس بن مسلمة بن الأكوع عن أبيه: «فانه قال في آخر الحديث الطويل الذي أخرجه مسلم من طريقه قال: فرجعنا ـ أي من الغزوة ـ إلى المدينة فوالله ما لبثنا في المدينة إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر». وأما ابن سعد فقال: «وكانت غزوة ذي قرد في ربيع الأول سنة ست قبل الحديبية». وقيل: «في جمادى الأولى». وعن ابن إسحاق: «في شعبان منها فانه قال: وكانت بنو لحيان في شعبان سنة ست». لا يختلف أهل السير أن غزوة ذي قرد كانت قبل الحديبية. «فيكون وقع في حديث سلمة من وهم بعض الرواة» فتح الباري7/ 575.

باب غزوة زيد بن حارثة:

4250 - يقول الإمام البخاري رحمه الله وهو يحدثنا عن غزوة زيد بن حارثة رضي الله عنه: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا سفيان بن سعيد، حدثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة على قوم فطعنوا في إمارته. فقال: إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله. وأيم الله لقد كان خليقاً للإمارة وان كان من أحب الناس إليّ وان هذا لمن أحب الناس إليّ بعده» فتح الباري 7/ 624.

ويجمل الإمام ابن حجر رحمه الله بعض الغزوات بالقول:

1 ـ في جمادى الآخرة سنة خمس قبل نجد في مائة راكب.

2 ـ في ربيع الآخر سنة ست إلى بني سليم.

3 ـ في جمادى الأولى منها في مائة وسبعين فتلقى عيراً لقريش وأسروا أبا العاص بن الربيع.

4 ـ في جمادى الآخرة منها إلى بني ثعلبة.

5 ـ إلى حُمى في خمسمائة إلى ناس من بني جذام بطريق الشام كانوا قطعوا الطريق على دحية وهو راجع من عند هرقل.

6 ـ إلى وادي القرى.

7 ـ إلى ناس من بني فزارة. «وكان خرج قبلها في تجارة فخرج عليه

ناس من بني فزارة فأخذوا ما معه وضربوه. فجهزه النبي ﷺ إليهم فأوقع بهم وقتل أم قِرفة بكسر القاف وسكون الراء بعدها فاء. وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر زوج مالك بن حذيفة بن بدر. عم عيينة بن حصن بن حذيفة وكانت معظمة فيهم. فيقال ربطها في ذنب فرسين وأجرها فتقطعت وأسر ابنتها وكانت جميلة» فتح الباري 7/ 624.

باب عُمرة القضاء:

ذكره أنس عن النبي ﷺ.

4251 - يقول الإمام البخاري رحمه الله عن عُمرة القضاء في صحيحه: حدثني عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال: «لمّا اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام. فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا لا نقرُّ بهذا. لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيئاً ولكن أنت محمد بن عبد الله. فقال: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله. ثم قال لعلي: أُمح رسول الله. قال علي: لا والله لا أمحوك أبداً. فأخذ رسول الله الكتاب ـ وليس يحسن يكتب ـ فكتب هذا ما قاضى محمد بن عبد الله لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب. وان لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه. وان لا يمنع من أصحابه أحداً إن أراد أن يقيم بها. . . .» فتح الباري 7/ 625. «فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل. فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي يا عم يا عم. فتناولها علي فاخذ بيدها وقال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمّك حمّليها. فاختصم فيها علي وزيد وجعفر. قال علي: أنا أخذتها وهي بنت عمي وقال جعفر: ابنة عمي. وخالتها تحتي. وقال زيد: ابنة أخي. فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال: الخالة بمنزلة الأم. وقال لعلي: أنت مني وأنا منك. وقال لجعفر: أشبهت خَلقي وخُلقي. وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا. وقال علي: إلا تتزوج بنت حمزة؟ قال: إنها ابنة أخي من الرضاعة» فتح الباري 7/ 625.

4255 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا

سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد سمع ابن أبي أوفى يقول: «لمّا اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله ﷺ» فتح الباري 7/ 636.

4258 - ويقول كذلك حول عمرة القضاء: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال: «تزوج النبي ﷺ ميمونة وهو محرم. وبنى بها وهو حلال وماتت بسرف. تزوج النبي ﷺ ميمونة في عمرة القضاء» فتح الباري 7/ 637.

باب غزوة مؤتة من أرض الشام:

من خلال استعراضنا لما قدمه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في باب الجهاد والمغازي لنجد أننا أمام عالم متخصص في السيرة النبوية وليس فقط إمام المحدثين. فلقد حاول الإمام أن يقدم لنا الرواية بشكلها المنطقي العلمي الخالي من كل لبس وتضليل فهو يقدمها من كل الطرق التي وردت من خلالها بعد أن يستوثق رحمه الله سلسلة الإسناد الصحيحة وعليه إن ما يقدمه الإمام من أحداث تتعلق بالسيرة النبوية فهي أكثر من دقيقة. ونحن هنا عندما حاولنا جمع السيرة النبوية التي عرضها الإمام في صحيحه وهو بالتأكيد لم يقصد أن يقدمها على أنها سيرة نبوية منفصلة بل عرضها ضمن الوقائع والأحداث وهذا تطلب جهداً كبيراً من الباحث من اجل جمعها وترتيبها وفق تسلسلها الزمني.

وفي باب غزوة مؤتة نجد الإمام يضعها في جمادى من سنة ثمان للهجرة وهي بالتأكيد قبل فتح مكة بعدة أشهر من نفس السنة.

4260 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا أبو وهب عن عمرو عن ابن أبي هلال قال: واخبرني نافع أن ابن عمر اخبره انه «وقف على جعفر يومئذٍ وهو قتيل. فعددت به خمسين بين طعنة وضربة وليس منها شيء في دبره يعني في ظهره» فتح الباري 7/ 639.

4261 - ويضيف الإمام البخاري رحمه الله بقوله: أخبرنا أحمد بن أبي بكر، حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن سعيد عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أمّر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول

الله: إن قُتل زيد فجعفر، وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة. قال عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناهُ في القتلى ووجدنا في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية. . . .» فتح الباري 7/ 639.

فيقول الإمام ابن حجر شارح صحيح البخاري (رحمهم الله): «قال ابن إسحاق: هي بالقرب من البلقاء. وقال غيره: هي على مرحلتين من بيت القدس. ويقال: إن السبب فيها أن شرحبيل بن عمرو الغساني. هو من أمراء قيصر على الشام. قتل رسولاً أرسله النبي ﷺ إلى صاحب بصرى. واسم الرسول (الحارث بن عمير) فجهز إليهم النبي ﷺ عسكراً في ثلاثة آلاف وكان في جمادى من سنة ثمان» وكذا قال ابن إسحاق وموسى بن عقبة وغيرهما من أهل المغازي لا يختلفون في ذلك. إلا ما ذكر خليفة في تاريخه «إنها كانت سنة سبع» فتح الباري 7/ 638 - 640.

ويضيف الإمام ابن حجر رحمه الله قائلاً: وفي حديث عبد الله بن جعفر «فلقوا العدو. فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل. ثم أخذها جعفر». وذكر ابن إسحاق بإسناد حسن عند أبي داؤد من طريقه، عن رجل من بني مُرّة قال: «والله لكأني انظر إلى جعفر بن أبي طالب حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقر لها ثم تقدم فقاتل حتى قتل». قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر عن عروة قال: «ثم اخذ الراية عبد الله بن رواحة فالتوى بها بعض الالتواء ثم تقدم على فرسه ثم نزل فقاتل حتى قتل. ثم اخذ الراية ثابت بن اقرم الأنصاري. فقال: اصطلحوا على رجل فقالوا: أنت لها. قال: لا. فاصطلحوا على خالد بن الوليد». وروى الطبراني من حديث أبي اليسر الأنصاري. قال: «أنا دفعت الراية إلى ثابت بن أقرم لما أصيب عبد الله بن رواحة. فدفعها إلى خالد بن الوليد وقال له: أنت أعلم بالقتال مني. . . . . .» فتح الباري 7/ 641.

4262 - رجع الحديث إلى الإمام البخاري رحمه الله فيقول: حدثنا أحمد بن واقد، حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن حميد بن هلال عن أنس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم. فقال: أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ الراية جعفر فأصيب ثم أخذ الراية ابن رواحة

فأصيب ـ عيناه تذرفان ـ حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم» فتح الباري 7/ 641.

4264- يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حدثني محمد بن أبي بكر، حدثنا عمر بن علي عن إسماعيل بن أبي خالد عن عامر قال: «كان ابن عمر إذا حيّا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين» فتح الباري 7/ 645.

4265 - ثم يقول: حدثنا إبراهيم، حدثنا سفيان عن إسماعيل عن قيس ابن أبي حازم قال: «سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف. فما بقى عندي إلا صفيحة يمانية» فتح الباري 7/ 645.

4266 - ثم يضيف مستعرضاً أحوال يوم مؤتة فيقول: حدثني محمد بن المثنى، حدثنا يحيى عن إسماعيل قال: حدثني قيس قال: «سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، وصبرت في يدي لي صفيحة يمانية» فتح الباري 7/ 645.

باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحُرقات من جهينة:

4269 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في حديثه عن هذه الغزوة: حدثني عمرو بن محمد، حدثنا هُشيم، اخبرنا حُصين، اخبرنا أبو ظبيان قال: «سمعت أسامة بن زيد رضي الله عنهما يقول: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرقة. فصبّحنا القوم فهزمناهم. ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم. فلما غشيناه قال: لا اله إلا الله. فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته. فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: يا أسامة أقتلته بعدما قال لا اله إلا الله؟ قلت: كان متعوذاً. فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم» فتح الباري 7/ 647.

باب غزوة الفتح وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي ﷺ:

4274 - ونحن نتابع المسيرة العطرة لسيرة الرسول ﷺ مع إمامنا الجليل

البخاري رَحِمَهُ اللهُ نراه عند حديثه عن غزوة الفتح يقدم معلومات جدُّ دقيقة من طرق عدة فهو يقول: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار قال: اخبرني الحسن بن محمد انه سمع عبيد الله بن رافع يقول: «سمعت علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوا منها. قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلُنا حتى أتينا الروضة. فإذا نحن بالظعينة قلنا لها: اخرجي الكتاب. فقالت: ما معي كتاب. فقلنا: لتُخرجنَّ الكتاب أو لنلقينّ الثياب. قال: فأخرجته من عِقاصِها. فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب ما هذا؟ قال: يا رسول الله، لا تعجل عليّ. إني كنت امرأ مُلصقاً في قريش ـ يقول: كنت حليفاً ـ ولم أكن من أنفسها. وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم. فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ولم افعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: أما انه صدقكم. فقال عمر: يا رسول الله، دعني اضرب عُنق هذا المنافق. فقال: انه شهد بدراً. وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا قال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. فانزل الله السورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ إلى قوله ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ أُسْوَةٌ﴾ [الممتحنة/ 1]» فتح الباري 7/ 649-650.

ويقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في هذه الغزوة نقلاً عن ابن إسحاق: «في رواية ابن إسحاق «وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه» وسيأتي تكملة شرح هذا الحديث من سورة الممتحنة وذكر بعض أهل المغازي وهو تفسير يحيى بن سلام أن لفظ الكتاب الذي أرسله حاطب إلى قريش «أما بعد يا معشر قريش فان رسول الله ﷺ جاءكم بجيش كالليل يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده فانظروا لأنفسكم والسلام» وانه كان موجه إلى سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة. أن رسول الله أذن في الناس بالغزو ولا أراه يريد غيرك. وقد أحببت أن يكون لي عندكم يد» فتح الباري 7/ 652.

أما الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهو يقول عن غزوة الفتح: «أي فتح مكة. شرفها الله تعالى، وسقط لفظ باب من نسخة الصنعاني وكان سبب ذلك أن قريشاً فضوا العهد الذي وقع بالحديبية فبلغ ذلك النبي ﷺ فغزاهم». قال ابن إسحاق: حدثني الزهري عن عروة عن المسور بن مخرمة انه كان الشرط من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل. فدخلت بنو بكر ـ أي ابن عبد مناه بن كنانة ـ في عهد قريش، ودخلت خزاعة في عهد الرسول ﷺ». قال ابن إسحاق: «وكان بين بني بكر وخزاعة حروب وقتلى في الجاهلية فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الإسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلي من بني بكر في بني الديل حتى بيت خزاعة على ماء لهم يقال له الوتير فأصاب منهم رجلاً يقال له منبه. واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال وأمدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلاً في خفية فلما انقضت الحرب خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد فقال:

يا رب إني ناشد محمداً ... حلف أبينا وأبيه ألا تلدا
فانصر هداك نصراً أبداً ... وادع عباد الله يأتوا مددا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالوتير هجدا ... وقتلونا ركعاً وسجداً

قال ابن إسحاق: «فقال رسول الله ﷺ: نصرت يا عمرو بن سالم. فكان ذلك ما هاج فتح مكة» فتح الباري 7/ 650.

يبدو أن الإمام البخاري قد أفرد أبواباً عدة لغزوة الفتح لما لها من أهمية عظيمة في مسيرة الدعوة الإسلامية وهذا أمر طبيعي عندما يفرد الإمام البخاري أو الإمام ابن حجر أو غيرهما أبواباً عدة لمثل هذا الفتح العظيم.

4276 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن غزوة الفتح في باب 47 سماه غزوة الفتح في رمضان: حدثني محمود، اخبرنا عبد الرزاق، اخبرنا معمر، اخبرني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أن النبي خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف. وذلك على رأس ثمان سنين ونصف

من مقدمه المدينة. فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة يصوم ويصومون حتى بلغ الكديد ـ وهو ماء بين عسفان وقُديد ـ افطر وافطروا». قال الزهري: «وإنما يؤخذ من أمر النبي ﷺ الآخر فالآخر» فتح الباري 8/ 5.

4277 - ويقول الإمام البخاري رحمه الله كذلك: حدثني عياش بن الوليد، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال: «خرج النبي ﷺ في رمضان إلى حنين والناس مختلفون: فصائم ومفطر. فلما استوى على راحلته دعا بإناءٍ من لبن أو ماء فوضعه على راحته ـ أو على راحلته ـ ثم نظر إلى الناس فقال: المفطرون للصوّام: افطروا» فتح الباري 8/ 5.

باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح:

4280 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حدثني عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال: «لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح. فبلغ ذلك قريشاً. خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حِزام وبُديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ فاقبلوا حتى أتوا مرّ الظهران فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة. فقال أبو سفيان: ما هذه؟ كأنها نيران عرفة. فقال بُديل بن ورقاء: نيران بني عمرو. فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك. فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم. فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان. فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظرُ إلى المسلمين. فحبسه العباس. فجعلت القبائل تمرُّ مع النبي ﷺ تمر كتيبة كتيبة على أبو سفيان فمرّت كتيبة فقال: يا عباس من هذه؟ فقال: هذه غفار. قال: ما لي ولغفار. ثم مرّت جُهينة. قال مثل ذلك. فمرّت سعد بن هذيم. فقال مثل ذلك. ومّرت سُليم. فقال مثل ذلك. حتى أقبلت كتيبة لم يرَ مثلها. قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية. فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان. اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة. فقال أبو سفيان: يا عباس هذا يوم الذِّمار. ثم جاءت كتيبة ـ وهي اقل الكتائب ـ فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه. وراية النبي ﷺ مع الزبير ابن العوام فلما مرَّ رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: ما قال؟ قال: كذا وكذا. فقال: كذب سعد: ولكن هذا يوم

يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة. قال: وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالجحون». قال عروة: واخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال: «سمعت العباس يقول للزبير بن العوام: يا أبا عبد الله. هاهنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية. قال: وأمر رسول الله ﷺ يومئذٍ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة ـ من كَداءٍ. ودخل النبي ﷺ من كُدا فقُتل من خيل خالد بن الوليد رضي الله عنه يومئذٍ رجلان: حُبيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري» فتح الباري 8/ 9.

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله في شرحه لصحيح البخاري رحمه الله عن يوم فتح مكة: «وفي رواية من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: لم يغز رسول الله ﷺ قريشاً حتى بعث إليهم ضمرة يخيرهم بين إحدى ثلاث: أن يؤدوا قتيل خزاعة، وبين أن يبرأوا من حلف بكر، أو ينفذ إليهم على سواء. فأتاهم ضمرة فخيرهم فقال قرظة بن عمرو: لا نؤدي ولا نبرأ. ولكننا ننبذ إليه على سواء، فانصرف ضمرة بذلك فأرسلت قريش أبا سفيان يسأل رسول الله ﷺ في تجديد العهد» كذلك أخرجه مسدد من مرسل محمد بن عباد بن جعفر. فأنكره الواقدي وقال: «إنما توجه أبو سفيان مُبادراً» فتح الباري 8/ 9.

منزل رسول الله عند الفتح:

4285 - ويستمر الإمام البخاري رحمه الله في عرضه لأحداث الفتح فيقول: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد اخبرنا ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ حين أراد حُنيناً: فنزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر» فتح الباري 8/ 18.

أي لمّا تحالف قريش أن لا يبايعوا بني هاشم ولا يناكحوهم ولا يؤووهم وحصروهم في الشعب» فتح الباري 8/ 20.

4287 - ويقول كذلك: حدثنا صدقة بن الفضل، اخبرنا ابن عيينة عن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله رضي الله عنه قال: «دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصب. فجعل يطعنها بعود في يده فيقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ فتح الباري 8/ 20.

4288 - ويقول كذلك: حدثني إسحاق، حدثنا عبد الصمد، حدثني أبي، حدثني أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ لمّا قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة. فأمر بها فأخرجت. فاخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام. فقال النبي ﷺ: قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط. ثم دخل البيت فكبر في نواحي البيت وخرج ولم يصل فيه. تابعه معمر عن أيوب. وقال وهيب: حدثنا أيوب عن عكرمة عن النبي ﷺ» فتح الباري 8/ 20.

باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة:

4289 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: وقال الليث: حدثني يونس، اخبرني نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ اقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مُردفاً أسامة بن زيد ومعه بلال ومعه عثمان بن طلحة من الحجبة حتى أناخ في المسجد. فأمره أن يأتي بمفتاح البيت فدخل رسول الله ﷺ ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فمكث فيها نهاراً طويلاً ثم خرج فاستبق الناس. فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالاً وراء الباب فسأله: أين صلى رسول الله ﷺ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه. قال عبد الله: فنسيت أن أسأله: كم صلى من سجدة» فتح الباري 8/ 23.

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله في شرحه لصحيح البخاري: قوله: «فأمره أن يأتي بمفتاح البيت» روى عبد الرزاق والطبراني من جهته من مرسل الزهري «أن النبي ﷺ قال لعثمان يوم الفتح: ائتني بمفتاح الكعبة، فأبطأ عليه ورسول الله ﷺ ينتظره، حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ويقول: ما يحبسه؟ فسعى إليه رجل، وجعلت المرأة التي عندها المفتاح وهي أم عثمان واسمها سلافة بنت سعيد تقول: إن أخذه منكم لا يعطيكموه أبداً، فلم يزل بها حتى أعطت المفتاح؛ فجاء به ففتح، ثم دخل البيت، ثم خرج فجلس عند السقاية فقال علي: إنا أعطينا النبوة والسقاية والحجابة، ما قوم بأعظم نصيباً منا. فكره النبي ﷺ مقالته. ثم دعا عثمان بن طلحة فدفع المفتاح إليه». وروى ابن أبي شيبة من طريق محمد بن عروة عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب مرسلاً نحوه. وعند ابن إسحاق بإسناد حسن عن صفية بنت شيبة

قالت: «لما نزل رسول الله ﷺ واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتح له فدخلها، ثم وقف على باب الكعبة فخطب».

ويقول كذلك الإمام ابن حجر رحمه الله: قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم «انه ﷺ قام على باب الكعبة فذكر الحديث فيه. ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فانتم الطلقاء. ثم جلس فقام علي فقال: اجمع لنا الحجابة والسقايا، فذكره. وروى ابن عائذ من مرسل عبد الرحمن بن سابط أن النبي ﷺ دفع مفتاح الكعبة إلى عثمان فقال: خذها خالدة مخلدة، إني لم ادفعها إليكم ولكن الله دفعها إليكم، ولا ينزعها منكم إلا ظالم». ومن طريق ابن جريج «أن علياً قال للنبي ﷺ: اجمع لنا الحجابة والسقايا، فنزلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء / 58]، فدعا عثمان فقال: خذوها يا بني شيبة خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم». ومن طريق علي بن أبي طلحة أن النبي ﷺ قال: «يا بني شيبة، كلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف» فتح الباري 8/ 23-24.

فوائد من يوم الفتح:

4304 - يقول الإمام البخاري رحمه الله عن فوائد حصلت في يوم الفتح: حدثنا محمد بن مقاتل، اخبرنا عبد الله، اخبرنا يونس عن الزهري، اخبرني عروة بن الزبير «أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه. قال عروة: فلما كلمه أسامة تلون وجه رسول الله ﷺ. فقال: أتكلمني في حد من حدود الله؟ قال أسامة: استغفر لي يا رسول الله. فلما كان العشي. قام رسول الله ﷺ فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنما اهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. والذي نفس محمدٍ بيده. لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك امرأة فقطعت يدها. فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت. قالت عائشة: فكانت تأتيني بعد ذلك فارفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ» فتح الباري 8/ 32.

باب قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة/ 25-27].

يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووقع في رواية النسفي: باب غزوة حنين وقول الله عز وجل ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ .... غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وحنين بمهملة ونون مصغر وادٍ إلى جنب ذي المجاز قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة وعشر ميلاً من جهة عرفات». قال أبو عبيد البكري: «سمي باسم حنين بن قاثبة بن مهلاييل» فتح الباري 8/ 35.

ويضيف الإمام بقوله: «قال أهل المغازي: خرج النبي ﷺ إلى حنين لست خلت من شوال. وقيل لليلتين بقيتا من رمضان وجمع بعضهم بأنه بدا بالخروج في أواخر رمضان وسار سادس شوال. وكان وصوله إليها في عاشره وكان السبب في ذلك أن مالك بن عوف النضري جمع القبائل من هوازن ووافقه على ذلك الثقفيون. وقصدوا محاربة المسلمين. فبلغ ذلك النبي ﷺ فخرج إليهم». قال عمر بن شبه في (كتاب مكة): حدثنا الحزامي يعني إبراهيم بن المنذر، حدثنا ابن وهب عن ابن أبي الزناد عن أبيه عن عروة «انه كتب إلى الوليد: أما بعد. فانك كتبت تسألني عن قصة الفتح فذكر له وقتها. فأقام عامئذ بمكة نصف شهر لم يزد على ذلك حتى أتاه أن هوازن وثقيفاً قد نزلوا حنيناً يريدون قتال رسول الله ﷺ وكانوا قد جمعوا إليه رئيسهم عوف بن مالك». ولأبي داؤد بإسناد حسن من حديث سهل بن الحنظلية «أنهم ساروا مع النبي ﷺ إلى حنين فأطنبوا السير. فجاء رجل فقال: إني انطلقت من بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم قد اجتمعوا إلى حنين. فتبسم رسول الله ﷺ وقال تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله تعالى» فتح الباري 8/ 35.

باب غزوة حنين:

4315 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه عن غزوة حنين: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سفيان عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وجاءه رجل فقال: يا أبا عمارة أتوليت يوم حنين. فقال: أما أنا فأشهد علي النبي ﷺ انه لم يوُلِ، ولكن عجل سُرعان القوم، فرشقتهم هوزان ـ وأبو

سفيان بن الحارث آخذ برأس بغلته البيضاء يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» فتح الباري 8/ 36.

ويضيف الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيقول: «وأبو سفيان بن الحارث أي ابن عبد المطلب بن هاشم وهو ابن عم النبي ﷺ وكان إسلامه قبل فتح مكة لأنه خرج النبي ﷺ فلقيه في الطريق وهو سائر إلى فتح مكة فأسلم وحسن إسلامه وخرج إلى غزوة حنين فكان فيمن ثبت». وعند ابن أبي شيبة من مرسل الحكم ابن عتبة قال: لمّا فرَّ الناس يوم حنين جعل النبي ﷺ يقول: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب. فلم يبقَ معه إلا أربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم. علي والعباس بين يديه وأبو سفيان بن الحارث آخذٌ بالعنان وابن مسعود من الجانب الأيسر. قال: وليس يقبل نحوه أحد إلا قتل. وروى الترمذي من حديث ابن عمر بإسناد حسن قال: «لقد رأيتنا يوم حنين وان الفئتين لموليتان وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل» وهذا أكثر ما وقفت عليه من عدد من ثبت يوم حنين. وروى أحمد والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: «كنت مع النبي ﷺ يوم حنين فولى عنه الناس، وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار فكنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر وهم الذين انزل الله عليهم السكينة» فتح الباري 8/ 38.

باب غزوة أوطاس:

4323 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه الغزوة: عن أبي بردة عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «لما فرغ النبي ﷺ من حُنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقي دريد بن الصمة فقتل دريد وهزم الله أصحابه. قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر فرُمي أبو عامر في ركبته رماه جُشمي بسهم فأثبته في ركبته فانتهيت إليه فقلت يا عم من رماك؟ فأشار إلى أبو موسى فقال: ذاك قاتلي الذي رماني. فقصدت له فلحقته فلما رآني ولى. فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحي ألا ثبت. فكفَّ فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته. ثم قلت لأبي عامر. قتل الله صاحبك. قال فانزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماء قال: يا ابن أخي. أقرئ النبي ﷺ السلام وقل له استغفر لي. واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيراً ثم مات. فرجعت فدخلت على النبي ﷺ في بيته

على سرير مُرمَل وعليه فراش قد أثر رِمال السرير بظهره وجبينه فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر. وقال: قل له استغفر لي. فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال: اللهم اغفر لعُبيدٍ أبي عامر. ورأيت بياض إبطيه ثم قال: اللهمَّ اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس فقلت: ولي فاستغفر،فقال: اللهمَّ اغفر لعبد الله بن قيس ذَنبَه. وادخله يوم القيامة مدخلاً كريماً. قال أبو برُده: احدهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى» فتح الباري 8/ 53.

ونجد ونحن نطوف مع فتح الباري للإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ انه في غالب الأحيان يعطي توضيحاً لبعض المصطلحات أو العبارات التي يراها مبهمة أو جغرافية فنجده هنا يحاول أن يقدم شرحاً يفرق فيه ما بين وادي حنين ووادي أوطاس حتى لا يظن البعض أنهما واحد.

يقول: قال عياض: «هو وادٍ في دار هوازن، وهو موضع حرب حنين انتهى». وهذا الذي قاله وذهب إليه بعض أهل السير، والراجح «أن وادي أوطاس غير وادي حنين». ويوضح ذلك ما ذكره ابن إسحاق «أن الوقعة كانت في وادي حنين وان هوازن لما انهزموا صارت طائفة منهم إلى الطائف وطائفة إلى بجيلة وطائفة إلى أوطاس. فأرسل النبي ﷺ عسكراً مقدمهم أبو عامر الأشعري إلى من مضى إلى أوطاس كما يدل عليه حديث الباب. ثم توجه هو وعساكره إلى الطائف». وقال أبو عبيدة البكري: «أوطاس وادٍ في ديار هوازن وهناك عسكروا هم وثقيف ثم التقوا بحنين» فتح الباري 8/ 52.

باب غزوة الطائف

يعّرف لنا الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ على عادته بعض المواقع الإسلامية ذات العلاقة بأحداث السيرة النبوية فهو يقول عن مدينة الطائف: «هو بلد كبير مشهور، كثير الأعناب والنخيل على ثلاث مراحل أو اثنتين من مكة من جهة المشرق، قيل أصلها أن جبريل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اقتلع الجنة التي كانت لأصحاب الصريم فسار بها إلى مكة فطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث الطائف فسمي الموضع بها. وكانت أولاً بنواحي صنعاء واسم الأرض (وجّ) بتشديد الجيم سميت برجل وهو ابن عبد الجن من العمالقة وهو أول من نزل بها. وسار النبي ﷺ إليها بعد منصرفه من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة. وكان مالك بن

عوف النضري قائد هوازن لَمَ انهزم دخل الطائف وكان له حصن يليه. وهي بكسر اللام وتخفيف التحتانية على أميال من الطائف. فمر به النبي ﷺ وهو سائر إلى الطائف فأمر بهدمه» فتح الباري 8/ 55.

حصار الطائف:

4325 - يقول الإمام البخاري رحمه الله عن حصار الرسول ﷺ لمدينة الطائف: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان عن عمرو عن أبي العباس الشاعر الأعمى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «لمّا حاصر رسول الله ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئاً فقال: إنا قافلون إن شاء الله فثقل عليهم. وقالوا: نذهب ولا نفتحه؟ وقال مرة: نقفل. فقال: اغدوا على القتال فغدوا، فأصابهم جراح. فقال: إنا قافلون غداً إن شاء الله. فأعجبهم فضحك النبي ﷺ» وقال سفيان مرةً «فتبسم»، قال: «قال الحميدي: حدثنا سفيان الخبر كله» فتح الباري 8/ 56.

غنائم حنين:

4330 - وأما عن غنائم حنين يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب عن عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: «لمّا أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس المؤلفة قلوبهم ولم يُعطِ الأنصار شيئاً. فكأنهم وجدوا إذ لم تصيبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال: يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضُلالاً فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي. وعالة فأغناكم الله بي؟ كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله آمنُّ. قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ؟ قال: كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله آمنُّ. قال: لو شئتم قلتم كذا وكذا. ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنتُ امرأً من الأنصار. ولو سلك الناس واديًا وشعبًا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرةً فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» فتح الباري 8/ 59.

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله: «قوله (فخطبهم) زاد مسلم من طريق إسماعيل بن جعفر عن عمرو بن يحيى (فحمد الله، وأثنى عليه)». وسيأتي في

الباب في رواية الزهري «فحدث رسول الله ﷺ بمقالتهم. فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أُدم فلم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا قام فقال: ما حديث بلغني عنكم؟ فقال فقهاء الأنصار: أما رؤساؤنا فلم يقولوا شيئاً وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا». ومن رواية ابن زيد «فجمعهم في قبة من أُدم فقال: يا معشر الأنصار، ما حديث بلغني؟ فسكتوا» ويحمل عن أن بعضهم سكت وبعضهم أجاب. وفي رواية أبي نياح عن أنس عبد الاسماعلي «فجمعهم فقال: ما بلغني عنكم؟ قالوا: هو الذي بلغك. وكانوا لا يكذبون». ولأحمد من طريق ثابت عن أنس «وان النبي ﷺ أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو في آخرين يوم حنين فقالت الأنصار: سيوفنا تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالمغنم» فذكر الحديث وفيه: «ثم قال: أقلتم كذا وكذا؟ قالوا: نعم» وإسناده على شرط مسلم. فتح الباري 8/ 62-63.

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله وكذا ذكر ابن إسحاق عن أبي سعيد الخدري «أن الذي اخبر النبي ﷺ بمقالتهم سعد بن عبادة. ولفظه «لمّا أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب. ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم المقالة. فقالوا: يغفر الله لرسوله. يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم». وفي مغازي سليمان التيمي «أن سبب حزنهم أنهم خافوا أن يكون رسول الله ﷺ يريد الإقامة بمكة» والأرجح ما في الصحيح حيث قال: «إن لن يصبهم ما أصاب الناس. فدخل عليه سعد بن عبادة فذكر له ذلك. فقال له: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: ما أنا إلا من قومي. قال: فاجمع لي قومك فخرج فجمعهم» فتح الباري 8/ 63.

ويقول كذلك الإمام ابن حجر رحمه الله: «فقوله: قال: لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا». في رواية إسماعيل بن جعفر «لو شئتم أن تقولوا جئتنا كذا وكذا وكان من الأمر كذا وكذا لأشياء» زعم عمرو بن أبي يحيى المازني راوي الحديث انه لا يحفظها في هذا رد على من قال: إن الراوي كنى عن ذلك عمداً على طريق التأدب. وقد جوز بعضهم أن يكون المراد جئتنا ونحن على ضلالة فهدينا بك وما أشبه ذلك وفيه بعد. فقد فسر ذلك في حديث أبي سعيد ولفظه «فقال» أما

والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم - أتيتنا مكّذباً فصدقناك ومخذولاً فنصرناك وطريداً فآويناك وعائلاً فواسيناك «ونحوه في مغازي أبي الأسود وعروة مرسلاً وابن عائذ من حديث ابن عباس موصولاً» فتح الباري 8/ 63.

ويستمر الإمام ابن حجر رحمه الله في عرض كل الطرق التي تتحدث الأنصار وغنائم حنين. فيقول: «وروى أحمد من وجه آخر عن أبي سعيد قال: قال رجل من الأنصار لأصحابه: لقد كنت أحدثكم أن لو استقامت الأمور لقد آثر عليكم. قال: فردوا عليه رداً عنيفاً فبلغ ذلك النبي ﷺ الحديث. وإنما قال ذلك تواضعاً منه وإنصافاً. وإلا ففي الحقيقة الحجة البالغة والمنة الظاهرة في جميع ذلك له عليهم. فانه لولا هجرته إليهم وسكناه عندهم لما كان بينهم وبين غيرهم فرق. وقد نبه عليه الصلاة والسلام «ألا ترضون .....الخ» فنبههم على ما غفلوا عنه من عظيم ما اختصوا به منه بالنسبة إلى ما حصل عليه غيرهم من عرض الدنيا الفانية» فتح الباري 8/ 64.

ويؤكد الإمام ابن حجر رحمه الله: «وذكر الواقدي انه حينئذٍ دعاهم ليكتب لهم بالبحرين تكون لهم خاصة بعده دون الناس وهي يومئذٍ أفضل ما فتح عليه من الأرض فأبوا وقالوا: لا حاجة لنا بالدنيا» فتح الباري 8/ 64.

ويضيف الإمام ابن حجر رحمه الله مفسراً «قول رسول الله ﷺ: «لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار». قال الخطابي: أراد بهذا الكلام تآلف الأنصار واستطابة نفوسهم والثناء عليهم في دينهم حتى رضي أن يكون واحداً منهم لولا ما يمنعه من الهجرة التي لا يجوز تبديلها. ونسبة الإنسان تقع على وجوه: منها الولادة والبلادية والاعتقادية والصناعية. ولا شك انه لم يرد الانتقال عن نسب آبائه لأنه ممتنع قطعاً.....» فتح الباري 8/ 64.

4331 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن موضوع غنائم حنين وهو بذلك يقدم لنا المزيد عما قدمه سابقاً: حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا هشام، اخبرنا معمر عن الزهري قال: اخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ﷺ ما أفاء من أموال هوازن. فطفق النبي ﷺ يعطي رجالاً المائة من الإبل فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم. قال أنس: فحدث رسول

الله ﷺ بمقالتهم. فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم ولم يدع معهم غيرهم. فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال: ما حديث بلغني عنكم؟ فقال فقهاء من الأنصار: أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً. وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم. فقال النبي ﷺ: فاني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال. وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به. قالوا: يا رسول الله قد رضينا. فقال لهم النبي ﷺ: ستجدون أُثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسول الله ﷺ فإني على الحوض. قال أنس: فلم يصبروا» فتح الباري 8/ 66.

4334 - وفي حديث آخر يقول الإمام: حدثني محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، سمعت قتادة بن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جمع النبي ﷺ ناساً من الأنصار . . . . . . قالوا: بلى. قال: لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار» فتح الباري 8/ 97.

باب السرية التي قِبلَ نجد:

4338 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن هذه السرية: حدثنا أبو النعمان، حدثنا حماد، حدثنا أيوب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «بعث النبي ﷺ سرية قِبل نجد فكنت فيها. فبلغت سهامنا اثني عشر بعيراً ونفُلنا بعيراً بعيراً فرجعنا بثلاثة عشر بعيراً» فتح الباري 8/ 70.

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله: «قِبلَ بكسر القاف وفتح الموحدة أي في جهة نجدٍ. هكذا ذكرها بعد غزوة الطائف. وقيل كانت في رمضان قالوا: كان أبو قتادة أميرها. وكانوا خمسة وعشرين وغنموا من غطفان بأرض محارب مائتي بعير وألفي شاة» فتح الباري 8/ 70.

ويقول الإمام كذلك: «السرية بفتح المهملة وكسر الراء وتشديد التحتانية هي التي تخرج بالليل والسارية التي تخرج بالنهار. وقيل سميت بذلك لأنها تخفي ذهابها. وهذا يقتضي أنها أخذت في السر ولا يصح لاختلاف المادة».

«والسارية هي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود إليه وهي من مائة إلى

خمسمائة. فما زاد على خمسمائة يقال له منسر بالنون المهملة. فان زاد على ثمانمائة سمي جيشاً وما بينهما يسمى هبطة. فان زاد على أربعة آلاف يسمى جحفلاً فان زاد فجيش جرار. والخميس الجيش العظيم. وما افترق من السرية يسمى بعثاً. فالعشرة فما بعدها تسمى حفيرة (حظيرة) والأربعون عصبة والى ثلاثمائة مقنب بقاف ونون ثم موحدة. فإذا زاد سمي جمرة بالجيم. والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر وحديث» فتح الباري 8/ 70.

باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة

4339 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني محمود، حدثنا عبد الرزاق، اخبرنا معمر ح وحدثني نُعيم، اخبرنا معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: «بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون: صبأنا، صبأنا فجعل خالد يقتل منهم ويأسر. ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا اقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره. حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه. فرفع النبي ﷺ يديه فقال: اللهمَّ إني ابرأ إليك مما صنع خالد مرتين» فتح الباري 8/ 71.

يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في توضيحه لهذه الغزوة يقول: «بنو جذيمة بفتح الجيم وكسر المعجمة ثم تحتانية ساكنة. وهذا البعث كان عقب فتح مكة في شوال قبل الخروج إلى حنين عند جميع أهل المغازي وكانوا بأسفل مكة من ناحية يلملم قال ابن سعد: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد في ثلاثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً» فتح الباري 8/ 71.

وكذلك يقول: قوله: «فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا. فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا». هذا من ابن عمر راوي الحديث يدل على انه فهم أنهم أرادوا الإسلام حقيقة ويؤيده فهمه أن قريشاً كانوا يقولون لكل مسلم صبأ حتى اشتهرت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها في مقام الذم. ومن ثم لما اسلم ثمامة ابن آثال وقدم مكة معتمراً قالوا له: أصبأت؟ قال: لا بل أسلمت، فلما اشتهرت هذه اللفظة بينهم في موضع أسلمت استعملها هؤلاء. وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها لان قولهم صبأنا أي خرجنا من دين إلى دين.

ولم يكتب خالد بذلك حتى يصرحوا بالإسلام. وقال الخطابي يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام لأنه فهم عنهم أن ذلك وقع منهم على سبيل الأنفة ولم ينقادوا إلى الدين فقتلهم متأولاً قولهم.

ويضيف الإمام ابن حجر رحمه الله بقوله: وزاد الباقر في روايته «ثم دعا رسول الله ﷺ علياً فقال: :اخرج إلى هؤلاء القوم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك فخرج حتى جاءهم ومعه مال فلم يبق لهم احداً الا وداه» فتح الباري 8/ 72.

باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي وعلقمة المدلجي ويقال إنها سرية الأنصار:

4340 - يحدثنا الإمام البخاري رحمه الله عن هذه الغزوة في صحيحه بقوله: حدثنا مسدد، حدثنا عبد الواحد، حدثنا الأعمش قال: حدثني سعد بن عبيد عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال: «بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه. فغضب فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: فاجمعوا لي حطباً. فجمعوا فقال: أوقدوا ناراً فأوقدوها. فقال: ادخلوها فهمّوا. وجعل بعضهم يمسك بعضاً ويقولون: فررنا إلى النبي ﷺ من النار. فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه. فبلغ النبي ﷺ فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة والطاعة في المعروف» فتح الباري 8/ 73.

ويضيف الإمام ابن حجر رحمه الله بقوله: «قلت كذا ترجم وأشار بأصل الترجمة إلى ما رواه أحمد وابن ماجة وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من طريق عمر بن الحكم عن أبي سعيد الخدري قال: «بعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزز على بعث أنا فيهم حتى انتهينا إلى رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق أذن لطائفة من الجيش وأمّر عبد الله بن حذافة السهمي. وكان من أصحاب بدر وكانت فيه دعابة» فتح الباري 8/ 83. وذكر ابن سعد هذه القصة بنحو هذا السياق».

«وحديث ابن سعد عند أحمد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بعثه رسول الله ﷺ في سرية» فتح الباري 8/ 74.

باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع:

4341 - 4342 - يقول الإمام البخاري رحمه الله عن هذه الغزوة: حدثنا موسى، حدثنا أبو عوانة، حدثنا عبد الملك عن أبي بردة قال: «بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن. قال: بعث كل واحد منهما على مُخلاف قال: واليمن مخلافاً ثم قال: يسِّراً ولا تعسِّراً. وبشرا ولا تنفرا. فانطلق كل واحد منهما إلى عمله وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه كان قريباً من صاحبه احدث به عهداً فسلم عليه. فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه ناس وإذا رجل عنده قد جمعت يداه إلى عنقه فقال له معاذ: يا عبد الله بن قيس أيم هذا؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه. قال: إلا انزل حتى يقتل قال: إنما جيء به لذلك فانزل. قال: ما انزل حتى يقتل. فأمر به فقتل ثم نزل. فقال: يا عبد الله، كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفوقه تفوقاً قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جُزئي من النوم. فاقرأ ما كتب الله لي. فاحتسب نومي كما احتسب قومتي» فتح الباري 8/ 76.

ويعقب الإمام ابن حجر رحمه الله على هذا البعث فيقول: «قوله «باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع»: كأنه أشار بالتقييد بما قبل حجة الوداع إلى ما وقع في بعض الأحاديث الباب انه رجع من اليمن فلقي النبي ﷺ بمكة في حجة الوداع لكن القبلية نسيبة. وقد قدمت في الزكاة في الكلام على حديث معاذ حتى كان بعثه إلى اليمن خرج يوصيه ومعاذ راكب». ومن طريق يزيد بن قطيب عن معاذ: «لما بعثني النبي ﷺ إلى اليمن قال: وقد بعثتك إلى قوم رقيقة قلوبهم. فقاتل بمن أطاعك من عصاك. وعند أهل المغازي أنها كانت في ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة» فتح الباري 8/ 76.

يقول ابن حجر رحمه الله: «كان بعث أبي موسى إلى اليمن بعد الرجوع من غزوة تبوك لأنه شهد غزوة تبوك مع النبي ﷺ وان أبا موسى كان عالماً فطناً حاذقاً ولولا ذلك لم يوله النبي ﷺ الإمارة ولو كان فوض الحكم لغيره لم يحتج إلى توصيته بما وصاه به. ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم علي» فتح الباري 8/ 77.

سرية أبو موسى إلى اليمن:

4344 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه متحدثاً عن سرية أبو موسى: حدثنا مسلم، حدثنا شعبة، حدثنا سعيد بن أبي بردة عن أبيه قال: «بعث النبي ﷺ جده أبا موسى ومعاذاً إلى اليمن فقال: يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا. فقال أبو موسى: يا نبي الله إن أرضنا بها شراب من الشعير: المزِر وشراب من العسل: لبِتعُ. فقال: كل مسكر حرام. فانطلقا فقال معاذ لأبي موسى: كيف تقرأ القرآن؟ قال: قائماً وقاعداً وعلى راحلتي واتفوقه تفوقاً. قال: أما أنا فأنام وأقوم فاحتسب نومتي كما احتسب قومتي وضرب فسطاطاً فجعلا يتزاوران فزار معاذ أبا موسى. فإذا برجل موثق فقال: ما هذا؟ فقال أبو موسى: يهودي أسلم ثم ارتد. فقال معاذ: لأضربن عنقه» فتح الباري 8/ 78.

باب بعث علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع:

4349 - نستمر مع الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ وهو يستعرض لنا في صحيحه أهم أحداث السيرة النبوية لا سيما تلك التي تتعلق بالسرايا والغزوات فعن بعث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وخالد بن الوليد يقول: حدثني أحمد بن عفان، حدثنا شريح ابن مسلمة، حدثنا إبراهيم بن يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق، حدثني أبي عن أبي إسحاق، سمعت البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن. قال: ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه. فقال: مُر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب. ومن شاء فليقبل. فكنت فيمن عقب معه. قال: فغنمت أواقي ذوات عدد» فتح الباري 8/ 82.

ويقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: وقوله: «باب بعث علي . . . .» قد ذكر في آخر الباب حديث جابر «أن علياً قدم من اليمن فلاقى النبي ﷺ بمكة في حجة الوداع». وقد أخرج أحمد وأبو داؤد والترمذي من طريق أخرى «عن علي قال: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حديث السن لا أبصر القضاء. قال: فوضع يده على صدري وقال:

اللهمَّ ثبت لسانه وأهدِ قلبه. وقال علي: إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضي بينهما حتى تسمع من الآخر» فتح الباري، 8/ 82. وقد أورد البخاري هذا الحديث مختصراً، وقد أورده الاسماعيلي من طريق أبي عبيدة بن أبي سفر «سمعت إبراهيم بن يوسف» وهو الذي أخرجه البخاري من طريقه فزاد فيه: قال البراء: «فكنت ممن عقب معه، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، فصلى بنا علي وصفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان جميعاً، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ الكتاب خر ساجداً، ثم رفع رأسه وقال: السلام على همدان». وعند الترمذي من طريق الأحوص بن خوات عن أبي إسحاق في حديث البراء قصة الجارية، وسأذكر بيان ذلك في الحديث الذي بعده إن شاء الله تعالى.

باب غزوة ذي الخلصة:

4355 - يقول الإمام البخاري رحمه الله عن هذه الغزوة: حدثنا مسدد، حدثنا خالد، حدثنا بيان عن قيس عن جرير قال: «كان بيت في الجاهلية يقال له ذو الخلصة والكعبة اليمانية والكعبة الشامية. فقال لي النبي ﷺ: ألا تريحني من ذي الخلصة؟ فنفرت في مائة وخمسين راكباً فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده. فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فدعا لنا ولأحمس» فتح الباري 8/ 88.

4357 - ومن طريق آخر يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا يوسف بن موسى، اخبرنا أبو أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن جرير قال: «قال لي رسول ﷺ: إلا تريحني من ذي الخلصة؟ فقلت: بلى. فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحاب خيل وكنت لا اثبت على الخيل. فذكرت ذلك للنبي ﷺ فضرب يده على صدري حتى رأيت اثر يده في صدري وقال: اللهمَّ ثبته واجعله هادياً مهدياً. قال: فما وقعت عن فرس بعد. قال: وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن كخثعم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له الكعبة. قال: فأتاها فحرقها بالنار وكسرها. قال ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام فقيل له: إن رسول الله ﷺ هاهنا. فان قدر عليك ضرب عنقك. قال: فينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير.فقال: لتكسرها ولتشهدن أن لا اله إلا الله أو لأضربن عنقك. قال: فكسرها وشهد. ثم بعث

جرير رجلاً من أحمس يكنى أبا ارطاة إلى النبي ﷺ يبشره بذلك. فلما أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب. قال: فبرّك النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات» فتح الباري 8/ 89.

ويعقب العلامة ابن حجر رحمه الله على هذه الغزوة فيقول: «قوله: «غزوة ذي الخلصة» بفتح الخاء المعجمة واللام بعدها مهملة وحكى ابن دريد فتح أوله وإسكان ثانيه. وحكى ابن هشام ضمنها وقيل بفتح أوله وضم ثانيه والأول أشهر والخلصة نبات له حب احمر كخرز العقيق. وذو الخلصة اسم للبيت الذي كان فيه الصنم وقيل اسم البيت الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة وحكى المبرد أن موضع ذي الخلصة صار مسجداً جامعاً لبلده يقال لها العبلات من أرض خثعم ووهم من قال انه في بلاد فارس» فتح الباري 8/ 90.

باب غزوة ذات السلاسل وهي غزوة لخم وجذام:

قال الإمام ابن حجر رحمه الله: «قاله إسماعيل بن أبي خالد. وقال ابن إسحاق عن يزيد عن عروة: هي بلاد وعذرة وبني القين» فتح الباري 8/ 92.

4358 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في معرض حديثه عن هذه الغزوة فيقول: حدثنا إسحاق، اخبرنا خالد بن عبد الله عن خالد الحذّاء عن أبي عثمان «أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. قلت: من الرجال؟ قال: أبوها. قلت: ثم من؟ قال: عمر. فعدَّ رجالاً فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم» فتح الباري 8/ 93.

ويذكر الإمام ابن حجر رحمه الله في تفسير هذه الغزوة: «قوله «باب غزوة ذات السلاسل» تقدم ضبطها وبيان الاختلاف فيها في أواخر مناقب أبي بكر. قيل سميت ذات السلاسل لان المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا. وقيل لان بها ماء يقال له سلسل وذكر ابن سعد أنها وراء وادي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام. قال: وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة. وقيل كانت سنة سبع وبه جزم ابن أبي خالد في كتاب (صحيح

البخاري) ونقل ابن عساكر الاتفاق على أنها كانت بعد غزوة مؤتة. إلا أن ابن إسحاق قال: قبلها. قلت: وهو قضية ما ذكر عن ابن سعد وابن أبي خالد» فتح الباري 8/ 93.

ويضيف الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كذلك: «وقوله «هي غزوة لخم وجذام» قاله إسماعيل بن أبي خالد وعند ابن إسحاق انه ماء لبني جذام ولخم. أما لخم فبفتح اللام وسكون المعجمة: قبيلة كبيرة شهيرة ينسبون إلى لخم. واسمه مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد. وأما جذام فبضم الجيم بعدها معجمة خفيفة: قبيلة كبيرة شهيرة أيضاً ينسبون إلى عمرو بن عدى وهم إخوة على المشهور وقيل هم ولد أسد بن خزيمة» فتح الباري 8/ 93.

باب ذهاب جرير إلى اليمن:

4359 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه عن هذه القصة: حدثني عبد الله بن أبي شيبة العبسي، حدثنا ابن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن جرير قال: «كنت باليمن فلقيت رجلين من أهل اليمن. ذا كلاع وذا عمرو فجعلت أحدثهم عن رسول الله ﷺ فقال له ذو عمرو: لئن كان الذي تذكر من أمر صاحبك لقد مر على اجله منذ ثلاث. واقبلا معي. حتى إذا كنا في بعض الطريق رُفع لنا ركب من قبل المدينة. فسألناهم. فقالوا: قُبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر والناس صالحون فقالا: أخبر صاحبك أنّا جئنا ولعلنا سنعود إن شاء الله، ورجعا إلى اليمن. فأخبرت أبا بكر بحديثهم. فقال: أفلا جئت بهم. فلما كان بعدُ قال لي ذو عمرو: يا جرير إن بك عليَّ كرامة، واني مخبرك خبراً: إنكم معشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أمير تأمرتم في آخر فإذا كانت بالسيف كانوا ملوكاً يغضبون غضب الملوك ويرضون رضا الملوك» فتح الباري 8/ 95.

ويعقب الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لقصة ذهاب جرير إلى اليمن فيقول: «وقوله «باب ذهاب جرير» أي ابن عبد الله البجلي إلى اليمن» ذكر الطبراني من طريق إبراهيم بن جرير عن أبيه قال: «بعثني النبي ﷺ إلى اليمن وادعوهم أن يقولوا لا اله إلا الله». فالذي يظهر أن هذا البعث غير بعثه إلى هدم ذي الخلصة، ويحتمل أن بعثه إلى الجهتين على

الترتيب ويؤيده ما وقع عند ابن حبان في حديث جرير «أن النبي ﷺ قال له: يا جرير انه لم يبقَ من طواغيت الجاهلية إلا بيت ذي الخلصة» فانه يشعر بتأخير هذه القصة جداً. «وسيأتي في حجة الوداع أن جرير شهدها فكان رسالة كان بعدها فهدمها ثم توجه إلى اليمن ولهذا لما رجع بلغته وفاة النبي ﷺ» فتح الباري 8/ 95.

ويضيف الإمام ابن حجر رحمه الله: وفي رواية ابن إسحاق عن جرير عند ابن عساكر «إن النبي ﷺ بعثه إلى ذي عمرو وذي الكلاع يدعوهما إلى الإسلام فاسلما وقال لي ذو الكلاع: ادخل على أم شرحبيل يعني زوجته. . . . .» فتح الباري 8/ 96.

باب غزوة سيف البحر وهم يتلقّون عيراً لقريش وأميرهم أبو عبيدة:

4360 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن هذه الغزوة: حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك عن وهب بن كيسان عن جابر «وأمّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاثمائة. فخرجنا وكنا ببعض الطريق ففني الزاد. فأمر أبو عبيدة بازواد الجيش فجمع فكان مزودي تمر. فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني. فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة. فقلت: ما تغني عنكم تمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت. ثم انتهينا إلى البحر. فإذا حوت مثل الظرأب فأكل منه القوم ثمان عشرة ليلة. ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبنا ثم أمر براحله فرحلت. ثم مررت تحتها فلم تصبهما» فتح الباري 8/ 97.

غزوة سيف البحر:

4361 - ومن طريق آخر يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان قال: «الذي حفظناه من عمرو بن دينار قال: سمعت جابر ابن عبد الله يقول: بعثنا رسول الله ﷺ في ثلاثمائة راكب. أميرنا أبو عبيدة بن الجراح ترصد عير قريش فأقمنا بالساحل نصف شهر فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط. فسمي ذلك الجيش جيش الخبط. فألقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر فأكلنا منه نصف شهر. وادهنا من ودكه حتى ثابت ألينا أجسامنا فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه فنصبه فعمد إلى أطول رجل معه. قال سفيان مرة: ضلعاً من أضلاعه فنصبه. وأخذ رجلاً وبعيراً فمر تحته.

قال جابر: وكان رجل من قوم نحر ثلاث جزائر. ثم نحر ثلاث جزائر. ثم نحر ثلاث جزائر. ثم إن أبا عبيدة نهاه». وكان عمرو يقول: اخبرنا أبو صالح أن قيس بن سعد قال لأبيه: «كنت في الجيش فجاعوا. قال: انحر قال: نحرت قال: ثم جاعوا قال: انحر قال: نحرت ثم جاعوا قال: انحر. قال: نُهيتُ» فتح الباري 8/ 94.

يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعقيبه على أحداث غزوة سيف بحر «قوله: «وهم يلتقون عيراً لقريش» وهو صريح ما في الرواية في الباب حيث قال فيها: «ترصيد عير قريش». وقد ذكر ابن سعد وغيره «أن النبي ﷺ بعثهم إلى حي من جهينة بالقبلية بفتح القاف والموحدة مما يلي ساحل البحر. بينهم وبين المدينة خمسة ليال. وانهم انصرفوا ولم يلقوا كيداً. وان ذلك في رجب سنة ثمان». وهذا لا يغاير ظاهرة ما في الصحيح لأنه يمكن الجمع بين كونهم يتلقون عيراً لقريش ويقصدون حياً من جهينة. ويقوي هذا الجمع ما عند مسلم من طريق عبيد الله بن مقسم عن جابر قال: «بعث رسول الله ﷺ بعثاً إلى ارض جهينة» لكن تلقي عير قريش ما يتصور أن يكون في الوقت الذي ذكره ابن سعد في رجب سنة ثمان لأنهم كانوا حينئذٍ في الهدنة. بل مقتضى ما في الصحيح أن تكون هذه السرية في سنة ست أو قبلها قبل هدنة الحديبية. نعم يحتمل أن يكون تلقيهم للعير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة. ولهذا لم يقع شيء من طرق الخبر أنهم قاتلوا أحداً. بل فيه إنهم قاموا نصف شهر أو أكثر في مكان واحد والله اعلم» فتح الباري 8/ 98.

يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخبط بفتح المعجمة والموحدة بعدها مهملة وهو ورق السلم». في رواية أبي الزبير «وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله» وهذا يدل على انه كان يابساً بخلاف ما جزم به الداؤدي انه كان أخضر رطباً. ووقع في رواية الخولاني « واصابيتنا مخمصة» فتح الباري 8/ 99.

باب حج أبي بكر بالناس في سنة تسع:

4363 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه عن حجة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: حدثني سليمان بن داؤد أبو الربيع، حدثنا فليح عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة « أن أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعثه في الحجة التي أمره

النبي ﷺ عليها قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط يؤذن في الناس: لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان» فتح الباري 8/ 103.

ويعقب الإمام ابن حجر رحمه الله في شرحه لصحيح البخاري رحمه الله فيقول: قوله: «حج أبي بكر بالناس سنة تسع»، كذا جزم به ونقل المحب الطبري عن صحيح ابن حبان أن فيه عن أبي هريرة «لمّا قفل النبي ﷺ من حنين اعتمر من الجعرانة. وأمر أبا بكر في تلك الحجة». قال المحب: «إنما حج أبو بكر سنة تسع والجعرانة كانت سنة ثمان». قال: «وإنما حج فيها عتاب بن أسيد ثم إن عتاب بن أسيد ولي إمرة مكة فحج المسلمون والمشركون جميعاً وكان المسلمون مع عتاب لكونه أمير». «وذكر أن حجة أبي بكر وقعت في ذي القعدة ابن سعد وغيره بإسناد صحيح عن مجاهد» فتح الباري 8/ 103-104. «ووافقه عكرمة بن خالد فيما أخرجه الحاكم في الإكليل ومن عدا هذين أما مصرح بان حجة أبي بكر كانت في ذي الحجة ووافقه عكرمة بن خالد فيما أخرجه الحاكم في الإكليل ومن عدا هذين أما مصرح بان حجة أبي بكر كانت في ذي الحجة كالداؤدي وبه جزم من المفسرين الروماني والثعلبي والماوردي وتبعهم جماعة وأما ساكت والمعتمد ما قاله مجاهد وبه جزم الأزرقي ويؤيده أن ابن إسحاق صرح بأن «النبي ﷺ أقام بعد أن رجع من تبوك رمضان وشوالاً وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج». فهو ظاهر في بعث أبي بكر كان بعد انسلاخ ذي القعدة. فيكون حجة ذي الحجة على هذا والله اعلم. واستدل بهذا الحديث عن أن فرض الحج كان قبل حجة الوداع والأحاديث في ذلك كثيرة شهيرة» فتح الباري 8/ 103.

ويعقب ابن حجر رحمه الله في شرحه لصحيح البخاري عن تفاصيل هذه الحجة: وقال ابن القيم في الهدي: «ويستفاد أيضاً من قول أبي هريرة في حديث الباب «قبل حجة الوداع» أنها كانت سنة تسع لان حجة الوداع كانت سنة عشر اتفاقاً». وذكر ابن إسحاق «أن خروج أبي بكر كان في ذي القعدة». وذكر الواقدي «انه خرج في تلك الحجة مع أبي بكر ثلاثمائة من الصحابة. وبعث معه رسول الله ﷺ عشرين بدنة» فتح الباري 8/ 103.

ويستكمل ابن حجر حديثه بالقول: «وقد ذكر ابن إسحاق بإسناد مرسل قال: «نزلت براءة وقد بعث النبي ﷺ علياً على الحج. فقيل لو بعث بها إلى

أبي بكر (الآية) فقال: لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي. ثم دعا علياً فقال: اخرج بصدر براءة وأذن في الناس يوم النحر بمنى إذا اجتمعوا فذكر الحديث». وروى أحمد من طريق محرز بن أبي هريرة عن أبيه قال: «كنت مع علي بن أبي طالب فكنت أنادي حتى صحل صوتي الحديث». ومن طريق زيد ابن يشيع قال: «سألت علياً بأي شيء بعثت في الحجة؟ قال: بأربع لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يطوف في البيت عريان ولا يحج بعد العام مشرك ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد ومدة إلى مدته». وأخرجه الترمذي من هذا الوجه وصححه» فتح الباري 8/ 103.

حركة الوفود إلى المدينة:

باب وفد بني تميم:

4365 - أفرد الإمام البخاري رحمه الله في كتابه صحيح المغازي عدة أبواب لحركة الوفود إلى المدينة المنورة لا سيما بعد فتح مكة سنة 8 هجرية ودخول أهلها الإسلام. إن دخول مكة في الإسلام دفع بالقبائل العربية ذات الشأن في عموم الجزيرة العربية إلى التسابق في إعلان ولائها لقيادة دولة الإسلام في المدينة على اعتبار أن قيادة قريش السياسية قد زالت بدخول أهلها وقيادتها في الإسلام فإذن أصبح من الضروري لزعامات القبائل العربية أن تدخل فيما دخلت فيه قريش لذا نجد أن عام التاسع للهجرة لكثرة الوفود التي قدمت المدينة للإعلان عن تحالفها السياسي أو دخولها الإسلام حتى سمي ذاك العام بعام الوفود ولهذا السبب نجد أن الإمام البخاري قد أفرد في صحيحه مساحة كبيرة لهذا الموضوع حيث ذكر معظم الوفود التي قدمت المدينة وتحدث عنها بإسهاب حيث شغل هذا الموضوع حيزاً كبيراً عنده. وكذا فعل الإمام ابن حجر رحمه الله عندما عرض بالأحاديث لهذه الوفود نجده أفرد ما يزيد عن 40 صفحة في عمدة القارئ في الجزء الثامن لهذا الموضوع وهي مساحة كبيرة.

يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن وفد بني تميم: حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان عن أبي صخرة عن صفوان بن محرز المازني عن عمران ابن حصين رضي الله عنهما قال: «أتى نفر من بني تميم النبي ﷺ فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم. قالوا: يا رسول الله قد بشرتنا فأعطنا فرئي ذلك في وجهه. فجاء

نفر من اليمن فقال: اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا: قد قبلنا يا رسول الله» فتح الباري 8/ 104.

وفي معرض حديثه عن هذا الموضوع يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «وفد بني تميم» «أي ابن مُر بضم الميم وتشديد الراء ابن أُد بضم الهمزة وتشديد الدال المهملة ابن طابخة بموحدة مكسورة ثم معجمة ابن إلياس بن مضر بن نزار. وذكر ابن إسحاق أن أشراف بني تميم قدموا على النبي ﷺ مثلهم عطارد بن حاجب الدارمي والأقرع بن حابس الدارمي والزبرقان بن بدر السعدي وعمرو بن الأهتم المنقري والحباب بن يزيد المجاشعي ونعيم بن يزيد ابن قيس بن الحارث وقيس بن عاصم المنقري قال ابن إسحاق ومنهم عيينه بن حصن وكان الأقرع وعيينه شهدا الفتح ثم كانا مع بني تميم فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حجرته» فتح الباري 8/ 105.

باب قال ابن إسحاق غزوة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن العنبر من بني تميم بعثه النبي ﷺ إليهم فأغار وأصاب منهم ناساً وسبى سباءً:

4366 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه: حدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير عن عمارة عن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاث سمعته من رسول الله ﷺ يقولها فيهم هم اشد أمتي على الدجال وكانت فيهم سبية عند عائشة فقال: اعتقيها فإنها من ولد إسماعيل وجاءت صدقاتهم: هذه صدقات قومٍ أو قومي» فتح الباري 8/ 105.

ثم قال: «باب قال ابن إسحاق غزوة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر»:

يقول الإمام ابن حجر في شرحه لصحيح الإمام البخاري: «وذكر الواقدي أن سبب بعث عيينة أن بني تميم أغاروا على ناس من خزاعة فبعث النبي ﷺ إليهم عيينة بن حصن في خمسين ليس فيهم أنصاري ولا مهاجري. فأسر منهم أحد عشر رجلاً وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً. فقدم رؤساؤهم بسبب ذلك». قال ابن سعد: «كان ذلك في المحرم سنة تسع ثم ذكر المصنف حديث أبي هريرة لا أزال أحب بني تميم» فتح الباري 8/ 105.

باب وفد عبد القيس:

4368 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عن وفد عبد القيس: حدثني إسحاق، اخبرنا أبو عمار العقدي، حدثنا قرة عن أبي جمرة «قلت لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إن لي جرةً تنبذ لي نبيذاً حلواً في جر أن أكثرت منه فجالست القوم فأطلت الجلوس خشيت أن أُفتضح فقال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقال: مرحباً بالقوم غير خزايا ولا الندامى. فقالوا: يا رسول الله إن بيننا وبينك المشركين من مضر. وإنا لا نصل إليك إلا في أشهر الحرم. حدثنا بجمل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة وندعو به من وراءنا. قال: آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله ـ هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا اله إلا الله. وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان. وان تعطوا من المغانم الخمس. وأنهاكم عن أربع: ما انتبذ في الدباء والنقّير والحنتم، المزفت. . . .» فتح الباري 8/ 106.

يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في الحديث عن وفد عبد القيس: «قوله: «باب وفد عبد القيس» هي قبيلة كبيرة يسكنون البحرين ينسبون إلى عبد القيس ابن أقصى بسكون ألقاء بعدها مهملة بوزن أعمى بن دعمي بضم ثم سكون المهملة وكسر الميم بعدها تحتانية ثقيلة ابن جديلة بالجيم وزن كبيرة ابن أسد ابن ربيعة بن نزار. والذي تبين لنا انه كان لعبد القيس وفادتان: احدهما قبل الفتح. ولهذا قالوا للنبي ﷺ: «بيننا وبينك كفار مضر» وكان ذلك قديماً إما في سنة خمس أو قبلها وكانت قريتهم بالبحرين أول قرية أقيمت فيها الجمعة بعد المدينة. كما ثبت. وكان عدد الوفد الأول ثلاثة عشر رجلاً وفيها سألوا عن الإيمان والأشربة وكان فيهم الأشج. وقال له النبي ﷺ: إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة» فتح الباري 8/ 107.

«وثانيهما كانت في سنة الوفود. وكان عددهم حينئذٍ أربعين رجلاً كما في حديث أبي حيوة الصناحي الذي أخرجه ابن منده. وكان فيهم الجارود العبدي. وقد ذكر ابن إسحاق قصته وانه كان نصرانياً فاسلم وحسن إسلامه. ويؤيد التعدد ما أخرجه ابن حبان من وجه آخر «أن النبي ﷺ قال لهم: ما لي أرى ألوانكم تغيرت» ففيه إشعار بأنه كان رآهم قبل التغيير. ثم ذكر البخاري

في الباب أحاديث احدهما حديث ابن عباس» فتح الباري، 8/ 107. «وانتظر الأشج واسمه المنذر حتى لبس ثوبيه فأتى النبيﷺ فقال له: «إن فيك لخصلتين» الحديث. . . . .» فتح الباري 8/ 107.

باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أُثال:

4372- يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ عن وفد بني حذيفة: حدثنا عبد الله ابن يوسف، حدثنا الليث قال: حدثني سعيد بن أبي سعيد انه سمع أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «بعث النبي ﷺ خيلاً قِبلَ نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أُثال فربطوه بسارية من سواري المسجد. فخرج النبي ﷺ فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد أن تقتلني تقتل ذا دم وان تُنعِم تُنعِم على شاكر. وان كنت تريد المال فسل منه ما شئت. فترِك حتى كان الغد، ثم قال له: ما عند يا ثمامة؟ فقال: ما قلت لك: إن تُنعِم تُنعِم على شاكر. فتركه حتى كان الغد فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك فقال: أطلقوا ثمامة. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: اشهد أن لا اله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله. يا محمد والله ما كان على الأرض وجه ابغض إليّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي. والله ما كان من دين ابغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي. والله ما كان من بلدٍ ابغض إلي من بلدك. فأصبح بلدك أحب البلاد إلي. وان خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر. فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا والله. ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ» فتح الباري 8/ 109.

يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «أما قوله: «باب وفد بني حنيفة وثمامة بن آثال»: أما حنيفة فهو ابن لجيم بجيم ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل. وهي قبيلة كبيرة شهيرة ينزلون اليمامة بين مكة واليمن. وكان وفد بني حنيفة كما ذكره ابن إسحاق وغيره في سنة تسع. وذكر الواقدي أنهم كانوا سبعة عشر رجلاً فيهم مسيلمة وأما ثمامة بن أُثال فأبوه بضم الهمزة وبمثلثة خفيفة ابن النعمان بن مسلمة الحنفي وهو من فضلاء الصحابة. وكانت قصته قبل

وفد بني حنيفة بزمان. فإن قصته صريحة في أنها كانت قبل فتح مكة» فتح الباري 8/ 109.

4373 - ويستمر الإمام البخاري رحمه الله بالحديث عن وفد بني حنيفة فيقول: حدثنا أبو اليمان، اخبرنا شعيب عن عبيد الله بن أبي حسين، حدثنا نافع بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته. وقدمها في بشر كثير من قومه. فاقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس - وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد - حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: لو سألتني هذه القطعة ما اعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك. ولئن أدبرت ليعقرنّك الله. واني لأراك الذي أُريتُ فيه ما رأيت. وهذا ثابت يجيبك عني. ثم انصرف عنه» فتح الباري 8/ 111.

4373 - ويقول الإمام البخاري رحمه الله من طريق آخر وحول نفس الموضوع: قال ابن عباس: «فسألت عن قول رسول الله: انك أرى الذي أُريتُ فيه ما رأيت. فاخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب. فأهمني شأنهما فأوحي إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا. فأولتهما كذابين يخرجان بعدي: احدهما العنسي والآخر مسيلمة» فتح الباري 8/ 111.

4375 - ومن طريق آخر حول نفس الموضوع يحدثنا الإمام البخاري رحمه الله فيقول: حدثني إسحاق بن نصر، حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام انه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: «قال رسول الله ﷺ بينا أنا نائم أُتيتُ بخزائن الأرض فوقع في كفي سواران من ذهب فكبُرا عليّ. فأوحي إلي أن انفخهما فنفختهما فذهبا. فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعاء وصاحب اليمامة» فتح الباري 8/ 111.

ويقول الإمام ابن حجر رحمه الله في شرحه لصحيح البخاري: «وأمر مسيلمة كان عند قومه أكثر من ذلك. فقد كان يقال له رحمان اليمامة لعظم قدره فيهم. وكيف يلتئم هذا الخبر الضعيف مع قوله في هذا الحديث الصحيح أن النبي ﷺ اجتمع به وخاطبه وصرح له بحضرة قومه انه لو سأله القطعة الجريدة ما أعطاه. ويحتمل أن مسيلمة قدم مرتين الأولى كان تابعاً وكان رئيس بني

حنيفة غيره ولهذا أقام في حفظ رحالهم ومرة متبوعاً وفيها خاطبه النبي ﷺ أو القصة واحده. وكانت إقامته في رحالهم باختياره أنفة منه واستكباراً أن يحضر مجلس النبي ﷺ وعامله النبي ﷺ معاملة الكرم على عادته في الاستئلاف بالإحسان بالقول والفعل. فلما لم يفد في مسيلمة توجه بنفسه إليهم ليقيم عليهم الحجة ويعذر إليه بالإنذار والعلم عند الله تعالى، ويستفاد من هذه القصة أن الإمام يأتي بنفسه إلى من قدم يريد لقاءه من الكفار إذا تعين ذلك طريقاً لمصلحة المسلمين» فتح الباري 8/ 112.

باب قصة الأسود العنسي:

4378 - يحدثنا الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه عن قصة الأسود العنسي فيقول: حدثنا سعيد بن محمد الجرمي، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي صالح عن ابن عبيدة بن نشيط ـ كان في موضع آخر اسمه عبد الله ـ أن عبيد الله بن عتبة قال: «بلغنا أن مُسيلمة الكذاب قدم المدينة فنزل في جدار بنت الحارث وكانت تحته بنت الحارث بن كُزير. وهي أم عبد الله بن عامر. فأتاه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وهو الذي يقال له خطيب رسول الله ﷺ وفي يد رسول الله قضيب فوقف فكلمه فقال له مُسيلمة: إن شئت خلينا بينك وبين الأمر جعلته لنا بعدك. فقال النبي ﷺ: لو سألتني هذا القضيب ما اعطيتكه. واني لأراك الذي أريتُ فيه ما رأيتُ. وهذا ثابت بن قيس سيجيبك عني فانصرف النبي ﷺ» فتح الباري 8/ 115.

4379 - ويستمر معنا الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سرده لوقائع قصة الأسود العنسي فيقول: قال عبيد الله بن عبد الله: سألت عبد الله بن عباس عن رؤيا رسول الله ﷺ التي ذكر فقال ابن عباس: «ذُكر لي أن رسول الله ﷺ قال: بينا أنا نائم رأيتُ انه وضع في يدي سواران من ذهب ففظعتهما. فأذن لي فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرُجان. فقال عبيد الله: احدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والآخر مُسيلمة الكذاب» فتح الباري 8/ 115.

ويعقب الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لصحيح البخاري: «وقوله قصة الأسود العنسي بسكون النون وحكى ابن التين جواز فتحها ولم أرّ له في ذلك سلفاً» فتح الباري 8/ 115.

ويقول كذلك في نفس الموضوع: «وقع عند ابن إسحاق أنهم نزلوا بدار بنت الحارث وذكر غيره أن اسمها رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد وهي من الأنصار ثم من بني النجار ولها صحبة وتكنى أم ثابت. وكانت زوج معاذ بن عفراء الصحابي المشهور. فكلام ابن سعد على أن دارها كانت معدة لنزول الوفود. فانه ذكر في بني محارب وبني كلاب وبني تغلب وغيرهم أنهم نزلوا في دار بنت الحارث وكذا ذكر ابن إسحاق أن بني قريظة حبسوا في دار بنت الحارث وتعقب السهيلي ما وقع عند ابن إسحاق في قصة مسيلمة بان الصواب بنت الحارث. وهو تعقب صحيح إلا انه يمكن الجمع بان يكون وفد بني حنيفة نزلوا بدار بنت الحارث كسائر الوفود ومُسيلمة وحده نزل بدار زوجته بنت الحارث. ثم ظهر لي أن الصواب ما وقع عند ابن إسحاق. وان مُسيلمة والوفود نزلوا في دار بنت الحارث وكانت دارها معدة للوفود. وكان يقال لها ابنة الحارث كذا صرح به محمد بن سعد في طبقات النساء فقال: رملة بنت الحارث يقال لها بنت الحارث فلم تكن إذ ذاك بالمدينة وإنما كانت عند مُسيلمة باليمامة فلما قتل تزوجها ابن عمها عبد الله بن عامر بعد ذلك والله أعلم.........» فتح الباري 8/ 116.

ويقول الإمام ابن حجر رحمه الله: «وقوله: «فقال عبيد الله احدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والآخر مسيلمة الكذاب».

«أما مسيلمة فقد ذكرت خبره. وأما العنسي وفيروز فكان من قصته أن العنسي وهو الأسود واسمه عبهلة بن كعب وكان يقال له أيضاً ذو الخمار بالخاء المعجمة لأنه كان يخمر وجهه وقيل هو اسم شيطانه وكان الأسود قد خرج بصنعاء وادعى النبوة وغلب على عامل صنعاء المهاجر بن أبي أمية. ويقال انه مر به فلما حاذاه عثر الحمار فادعى انه سجد له. ولم يقم الحمار حتى قال له شيئاً فقام. وروى يعقوب بن سفيان والبيهقي في «الدلائل» من طريقه من حديث النعمان بن بُزرج بضم الموحدة وسكون الزاي ثم راء مضمومة ثم جيم قال: خرج الأسود الكذاب وهو من بني عنس يعني بسكون النون وكان معه شيطانان يقال لأحدهما سحيق بمهملتين وقاف مصغر والآخر شقيق بمعجمة وقافين مصغر وكانا يخبرانه بكل شيء يحدث من أمور الناس.

وكان بآذان عامل النبي ﷺ بصنعاء فمات فجاء شيطان الأسود فاخبره فخرج في قومه حتى ملك صنعاء وتزوج المزربانة زوجة بآذان. فذكر القصة في مواعدتها دادوية وفيروز وغيرهما حتى دخلوا على الأسود ليلاً وقد سقته المزربانة الخمر صرفاً حتى سكر وكان على بابه ألف حارس فنقب فيروز ومن معه الجدار حتى دخلوا فقتله فيروز واحتز رأسه واخرجوا المرأة وما أحبوا من متاع البيت. وأرسلوا الخبر إلى المدينة فوافى بذلك عند وفاة النبي ﷺ قال أبو الأسود عن عروة: أصيب الأسود قبل وفاة النبي ﷺ بيوم وليلة. فأتاه الوحي فاخبر به. ثم جاء الخبر إلى أبي بكر رضي الله عنه وقبل وصول الخبر بذلك صبيحة دفن النبي ﷺ» فتح الباري 8/ 117.

باب قصة أهل نجران:

4380 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه وهو يحدثنا عن قصة أهل نجران: حدثنا عباس بن الحسين، حدثنا يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن صلة بن زُفر عن حذيفة قال: «جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه قال: فقال احدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبينا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا: قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً فقال: لأبعثنَّ معكم رجلاً حقَّ أمين. فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح. فلما قام قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة» فتح الباري 8/ 117.

4382 - ومن طريق آخر يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة عن خالد عن أبي قلابة عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لكل أمة أمين. وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» فتح الباري 8/ 117.

وفي حديثه عن قصة أهل نجران يقول الإمام ابن حجر رحمه الله: قوله: «قصة أهل نجران» بفتح النون وسكون الجيم بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن يشتمل على ثلاثة وسبعين قرية مسيرة يوم للراكب السريع. وكذا في زيادات يونس بن بكير بإسناد له في المغازي وذكر ابن إسحاق أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ بمكة وهم حينئذٍ عشرون رجلاً لكن أعاد ذكرهم في الوفود بالمدينة فكأنهم قدموا مرتين. قال ابن سعد: «كان النبي ﷺ كتب إليهم

فخرج إليه وفدهم في أربعة عشر رجلاً من أشرافهم». وعند ابن إسحاق أيضاً من حديث كرز بن علقمة «أنهم كانوا أربعة وعشرين رجلاً وسرد أسماءهم» فتح الباري 8/ 118.

وقوله كذلك: «جاء السيد والعاقب صاحبا نجران». «أما السيد فكان اسمه الأيهم بتحتانية ساكنة ويقال شرحبيل وكان صاحب رحالهم ومجتمعهم ورئيسهم في ذلك. وأما العاقب فاسمه عبد المسيح وكان صاحب مشورتهم. وكان معهم أبو الحارث بن علقمة وكان أسقفهم وحبرهم وصاحب مدراسهم». قال ابن سعد: «دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا فقال: إن أنكرتم ما أقول فهلم اباهلكم. فانصرفوا على ذلك» فتح الباري 8/ 118.

وقوله: «يريدان أن يلاعناه» أي يباهلاه. وذكر ابن إسحاق بإسناد مرسل «أن ثمانين آية من أول سورة آل عمران نزلت في ذلك يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾ [آل عمران/ 61]» فتح الباري 8/ 118.

ويستمر ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ متناولاً قصة نصارى نجران مفسراً وشارحاً ومبيناً المسائل الفقهية فيها فيقول: وقوله ـ أي البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «إنا نعطيك ما سألتنا». وفي رواية يونس بن بكير «انه صالحهم على ألفي حلة: ألف في رجب وألف في صفر ومع كل حلة أوقية. وساق الكتاب الذي كتب بينهم مطولاً». وذكر ابن سعد «أن السيد والعاقب رجعا بعد ذلك فأسلما». زاد في رواية ابن مسعود» فأتياه فقالا: لا نلاعنك ولكن نعطيك ما سألت».

وفي قصة أهل نجران من الفوائد:

وقد ذكر ابن إسحاق «أن النبي ﷺ بعث علياً إلى أهل نجران ليأتيه بصدقاتهم وجزيتهم وهذه القصة غير قصة أبي عبيدة لان أبا عبيدة توجه معهم فقبض مال الصلح ورجع. وعلي أرسله النبي ﷺ بعد ذلك يقبض منهم ما استحق عليهم من الجزية ويأخذ ممن أسلم منهم ما وجب عليه من الصدقة. والله أعلم .....» فتح الباري 8/ 119.

باب قصة عُمان والبحرين:

4383 - قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه وهو يحدثنا عن قصة عُمان والبحرين: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا سفيان، سمع بن المنكدر جابر ابن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «قال لي رسول الله ﷺ: لو قد جاء مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا (ثلاثاً) فلم يقدم مال البحرين حتى قُبض رسول الله ﷺ فلم قدم على أبي بكر أمر منادياً فنادى: من كان له عند النبي ﷺ دين أو عدة فليأتني. قال جابر: فجئت أبا بكر فأخبرته أن النبي ﷺ قال: لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا (ثلاثاً) قال: فأعطاني قال جابر: فلقيت أبا بكر بعد ذلك فسألته فلم يُعطني ثم أتيته فلم يُعطني ثم أتيته الثالثة فلم يُعطني. فقلت له: قد أتيتك فلم تعطني ثم أتيتك فلم تعطني. ثم أتيتك فلم تعطني فإما أن تعطيني وإما أن تبخل عني. قال: أقلت تبخل عني؟ وأي داءٍ ادوأ من البخل قالها ثلاثاً. ما منعتك مرة إلا وان أريد أن أعطيك» فتح الباري 8/ 119.

وعن عمرو عن محمد بن علي «سمعت جابر بن عبد الله يقول: «جئته فقال لي أبو بكر: عُدَّها فعددتها فوجدتها خمسمائة فقال: خذ مثلها مرتين» فتح الباري 8/ 120.

ويقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ معقباً على قول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: «قصة عُمان والبحرين». «أما البحرين فبلد عبد القيس وقد تقدم بيانها في كتاب الجمعة. وأما عُمان فبضم المهملة وتخفيف الميم». قال عياض: «هي فرضة بلاد اليمن لم يزد في تعريفها على ذلك». وقال الرشاطي: «عُمان في اليمن سميت بعُمان بن سبأ. ينسب إليها الجلندي رئيس أهل عُمان». ذكر وثيمة «أن عمرو بن العاص قدم عليه من عند النبي ﷺ فصدقه». وذكره غيره أن الذي آمن على يد عمرو بن العاص ولدا الجلندي عياذ وجيفر وكان ذلك بعد خيبر». ذكره أبو عمرو انتهى». وروى الطبراني من حديث المسور بن مخرمة قال: «بعث رسول الله ﷺ إلى الملوك» فذكر الحديث وفيه: «وبعث عمرو بن العاص إلى جيفر وعياذ ابني الجلندي ملك عُمان وفيه: «فرجعوا جميعاً قبل وفاة رسول الله ﷺ إلا عمراً فانه توفي وعمرو بالبحرين» وفي هذا

إشعار بقرب عُمان من البحرين وبقرب البعث إلى الملوك من وفاته عليه الصلاة والسلام فلعلها كانت بعد حنين فتصحفت ولعل المنصف أشار بالترجمة إلى هذا الحديث لقوله في حديث الباب «فلم يقم مال البحرين حتى قبض رسول الله ﷺ». وروى أحمد من طريق أبي لبيد قال: «خرج رجل منا يقال له بيرح بن أسد فرآه عمر فقال: من أنت؟ قال: من أهل عُمان. فأدخله على أبي بكر فقال: هذا من أهل الأرض التي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني لأعلم أرضاً يقال لها عُمان ينضح بناصيتها البحر. لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم ولا حجر». وعند مسلم من حديث أبي برزة قال: «بعث رسول الله ﷺ رجلاً إلى القوم فسبوه وضربوه. فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: لو أهل عُمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك» فتح الباري 8/ 120.

باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن:

يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال أبو موسى عن النبي ﷺ: «هم مني وأنا منهم».

4384 - وفي حديثه عن الأشعريين يقول الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني عبد الله ابن محمد وإسحاق بن نصر قالا: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا بن أبي زائدة عن أبيه عن أبي إسحاق عن الأسود بن زيد عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حيناً ما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل البيت من كثرة دخولهم ولزومهم له» فتح الباري 8/ 121.

ويقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يحدثنا عن الأشعريين: وقوله: «وقال أبو موسى عن النبي ﷺ هم مني وأنا منهم» هو طرف من حديث أوله: «أن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو جمعوا ثم استقسموا بينهم فهم مني وأنا منهم» الحديث.

ويضيف الإمام كذلك «وكان قدوم أبي موسى على النبي ﷺ عند فتح خيبر لما قدم جعفر بن أبي طالب. وقيل انه قدم عليه بمكة قبل الهجرة. ثم كان ممن هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى ثم قدم الثانية صحبة جعفر والصحيح انه خرج طالباً المدينة في سفينة فالقتهم الريح إلى الحبشة فاجتمعوا هناك بجعفر ثم قدموا صحبته» فتح الباري 8/ 122.

وفي كتاب الصحابة لابن شاهين من طريق إياس بن عمير الحميري «انه

قدم وافداً على رسول الله ﷺ في نفر من حمير فقالوا: «أتيناك لنتفقه في الدين» الحديث. وقد ذكرت فوائد في أول بدء الخلق وحاصلة الترجمة مشتملة على طائفتين. وليس المراد اجتماعهما في الوفادة. فان قدوم الأشعريين كان مع أبي موسى سنة سبع عند فتح خيبر وقدوم وفد حمير سنة تسع وهي سنة الوفود. ولأجل هذا اجتمعوا مع بني تميم. وقد عقد محمد بن سعد في الترجمة النبوية من الطبقات للوفود باباً. وذكر فيه القبائل من مضر ثم من ربيعة ثم من اليمن وكاد يستوعب ذلك بتلخيص حسن. وكلامه اجمع ما يوجد في ذلك ومع انه ذكر وفد حمير ولم يقع له قصة نافع بن زيد التي ذكرها» فتح الباري 8/ 122.

وفد الأشعريين:

4385 - ومن طريق آخر يحدثنا الإمام البخاري عن وفد الأشعريين فيقول: حدثنا أبو نُعيم، حدثنا عبد السلام عن أيوب عن أبي قلابة عن زهدم قال: «لما قدم أبو موسى أكرم هذا الحي من جرَم: وإنا لجلوس عنده وهو يتغدى دجاجاً وفي القوم رجل جالس فدعاه إلى الغداء فقال: إني رأيته يأكل شيئاً فقذرته. فقال له: هلم فاني رأيت النبي ﷺ يأكله. فقال: إني حلفت لا آكله. فقال: هلم أخبرك عن يمينك، إنا أتينا النبي ﷺ في نفر من الأشعريين فاستحملناه فأبى أن يحملنا فاستحملناه فحلف أن لا يحملنا. ثم لم يلبث النبي ﷺ أن أتي بنهب إبل. فأمر لنا بخمس ذود فلما قبضناها قلنا: تغفّلنا النبي ﷺ يمينه لا نفلح بعدها أبدا فأتيته فقلت: يا رسول الله. انك حلفت أن لا تحملنا. وقد حملتنا. قال: اجل ولكن لا احلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير منها» فتح الباري 8/ 121.

عام الوفود:

4386 - كما سبق أن أشرنا إلى أن الإمام البخاري رحمه الله قد أفرد في صحيحه في باب المغازي العديد من الأبواب ضمن عام الوفد وتحدث عنها بشكل طيب وقدم لنا معلومات مهمة في مجال السيرة أو الفوائد الفقهية وهنا يقول: حدثني عمرو بن علي، حدثنا أبو عاصم، حدثنا سفيان، حدثنا أبو صخرة جامع بن شداد، حدثنا صفوان بن محرز المازني، حدثنا عمران بن

حصين قال: «جاءت بنو تميم إلى رسول الله ﷺ فقال: ابشروا يا بني تميم، قالوا: أما إذ بشرتنا فأعطنا فتغير وجه رسول الله ﷺ فجاء ناس من أهل اليمن. فقال: النبي ﷺ اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم. قالوا: قبلنا يا رسول الله» فتح الباري 8/ 123.

4387 - ويقول الإمام أيضا في نفس الموضوع: حدثنا عبد الله بن محمد الجعفي، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد ابن قيس بن أبي حازم عن أبي مسعود «أن النبي ﷺ قال: الإيمان هاهنا - وأشار بيده إلى اليمنى - والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين وعند أصول أذناب الإبل من حيث يطلع قرنا الشيطان ربيعة ومضر» فتح الباري 8/ 128.

4388- يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ «أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً الإيمان يمان والحكمة يمانية والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل والسكينة والوقار في أهل الغنم» فتح الباري 8/ 123.

4390 - ويقول كذلك: حدثنا أبو اليمان، اخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن اضعف قلوباً وأرق أفئدة. الفقه يمان والحكمة يمانية» فتح الباري 8/ 124.

ويقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: «الإيمان يمان» في رواية الأعرج التي بعدها «الفقه يمان» وفيها وفي رواية ذكوان «والحكمة يمانية» وفي أولها وأول رواية ذكوان «أتاكم أهل اليمن» وهو خطاب للصحابة الذين بالمدينة وفي حديث أبي مسعود «والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين .....الخ» وفي رواية ذكوان عن أبي هريرة «الفخر والخيلاء في أصحاب الإبل» وزاد فيها «والسكينة والوقار في أهل الغنم» وزاد في رواية أبي الغيث «والفتنة هاهنا حيث يطلع قرن الشيطان» فتح الباري 8/ 125.

ويبين لنا الامام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الأقوال فيقول: «وقد ذكر ابن صلاح قول أبي عبيدة وغيره أن معنى قوله «الإيمان يمان» أن مبدأ الإيمان من مكة لان مكة من تهامة وتهامة من اليمن وقيل المراد مكة والمدينة. لان هذا

الكلام صدر وهو بتبوك فتكون المدينة حينئذ بالنسبة إلى المحل الذي هو فيه يمانية والثالث اختياره أبو عبيدة أن المراد بذلك الأنصار لأنهم يمانيون في الأصل فنسب الإيمان إليهم لكونهم أنصاره» فتح الباري 8/ 125.

باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدّوسي:

4392 - يقول الإمام البخاري ﵀: حدثنا أبو نُعيم، حدثنا سفيان عن ابن ذكوان عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة ﵁ قال: «جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي ﷺ فقال: إن دوساً قد هلكت عصت وأبت. فادع الله عليهم. فقال: اللهمَّ أهدِ دوساً وائت بهم» فتح الباري 8/ 127.

ويعقب الإمام ابن حجر ﵀ على ما ذكره الإمام البخاري ﵀ فيقول: «وقوله: «قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي» بفتح المهملة وسكون الواو بعدها مهملة تقدم نسبهم في غزوة ذي الخلصة. والطفيل بن عمرو أي ابن ظريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس كان يقال له ذو النور آخره راء لأنه لما أتى النبي ﷺ واسلم بعثه إلى قومه فقال: اجعل لي آية. فقال: اللهمَّ نور له. فسطع نور بين عينيه فقال: يا رب أخاف أن يقولوا انه مثله فتحول إلى طرف سوطه. وكان يضيء في الليلة المظلمة» فتح الباري 8/ 127.

يقول الإمام ابن حجر ﵀: «ذكره هشام ابن الكلبي في قصة طويلة وفيها انه دعا قومه إلى الإسلام فاسلم أبوه ولم تسلم أمه وأجابه أبو هريرة ﵁ وحده. قلت: هذا يدل على تقدم إسلامه وقد جزم ابن أبي حاتم بأنه قدم في أبي هريرة بخيبر. وكأنها قدمته الثانية» فتح الباري 8/ 127.

باب قصة وفد طيِّئ وحديث عدي بن حاتم:

4394 - يقول الإمام البخاري ﵀ في صحيحه عن قصة وفد طيِّئ: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، حدثنا عبد الملك عن عمرو بن حريث عن عدي بن حاتم قال: «أتينا عمر في وفدٍ فجعل يدعو رجلاً رجلاً ويسميهم فقلت: أما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى، أسلمت إذ كفروا وأقبلت إذ أدبروا ووفيت إذ غدروا وعرفت إذ نكروا فقال عدي: فلا أبالي إذا» فتح الباري 8/ 128.

ويعقب الإمام ابن حجر ﵀ على هذا الموضوع «وفد طيِّئ وحديث عدي

ابن حاتم» فيقول: وقوله «وفد طيِّئ وحديث عدي بن حاتم» أي ابن عبد الله ابن سعد بن الحشرج بمهملة ثم معجمة ثم راء ثم جيم بوزن جعفر ابن امرئ القيس بن عدي الطائي منسوب إلى طيِّئ بفتح المهملة وتشديد التحتانية المكسورة بعدها همزة ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ابن سباء يقال كان اسمه جلهمة فسمي طيئاً لأنه أول من طوى بئراً. ويقال أول من طوى المناهل. واخرج مسلم من وجه آخر عن عدي بن حاتم قال: «أتيت عمر فقال: إن أول صدقة بيضت وجه رسول الله ﷺ ووجوه أصحابه صدقة طيِّئ. جئت بها إلى النبي ﷺ» وزاد أحمد في أوله: «أتيت عمر في أناس من قومي فجعل يعرض عني فاستقبلته فقلت: أتعرفني؟» فذكر نحو ما أورده البخاري ونحو ما أورده مسلم جميعاً» فتح الباري 8/ 128.

إسلام عدي بن حاتم:

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله في تفسير موضوع إسلام عدي بن حاتم: وقوله: «فقال عدي: فلا أبالي إذا» أي إذا كنت تعرف قدري فلا أبالي إذا قدمت عليّ غيري وفي (الأدب المفرد) للبخاري «أن عمر قال لعدي: حياك الله من معرفة» وروى أحمد في سبب إسلام عدي انه قال: «لما بعث النبي ﷺ كرهته فانطلقت إلى أقصى الأرض مما يلي الروم. ثم كرهت مكاني فقلت: لو أتيته. فان كان كاذباً لم يخفِ عليّ. فأتيته فقال: اسلم تسلم. فقلت: إن لي ديناً» وكان نصرانياً فذكر إسلامه. وذكر ذلك ابن إسحاق مطولاً. وفيه «إن خيل النبي ﷺ أصابت أخت عدي وان النبي ﷺ منَّ عليها فأطلقها بعد أن استعطفته بإشارة علي عليها فقالت له: «هلك الوالد وغاب الوافد. فامنن علي منَّ الله عليك. فقال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم. قال: الفار من الله ورسوله؟ فلما قدمت بنت حاتم على عدي بن حاتم أشارت عليه بالقدوم على رسول الله ﷺ فقدم واسلم». وروى الترمذي من وجه آخر عن عدي بن حاتم قال: «أتيت النبي ﷺ في المسجد فقال: هذا عدي بن حاتم. وكان النبي ﷺ قبل ذلك يقول: إني لأرجو الله أن يجعل يده في يدي» 8/ 129.

باب حجة الوداع:

4395 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في حديثه عن حجة الوداع

للرسول ﷺ: حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع فأهللنا بعمرة ثم قال رسول الله ﷺ: من كان معه هدي فليهلل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعاً. فقدمت معه وأنا حائض. ولم اطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة. فشكوت إلى رسول الله ﷺ فقال: انقضي رأسك وامتشطي وأهلّي بالحج ودعي العمرة ففعلت فلما مضينا الحج أرسلني رسول الله ﷺ مع عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق إلى التنعيم فاعتمرت. فقال: هذه مكان عمرتك قالت: فطاف الذين أهلوا بالعمرة بالبيت وبين الصفا والمروة ثم رحلوا ثم طافوا طوافاً آخر بعد أن رجعوا من منى. وأما الذين جمعوا الحج والعمرة فإنما طافوا طوافاً واحداً» فتح الباري 8/ 130.

ويقول الإمام ابن حجر رحمه الله معقباً على حديث الإمام البخاري رحمه الله حول حجة الوداع: «وقوله: «باب حجة الوداع» بكسر الحاء المهملة وبفتحها وبكسر الواو وبفتحها ذكر جابر في حديثه الطويل في صفتها كما أخرجه مسلم وغيره «أن النبي ﷺ مكث تسع سنين ـ أي منذ قدم المدينة ـ لم يحج ثم أذن في الناس في العاشرة أن النبي ﷺ حاج. فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ الحديث. ووقع في حديث أبي سعيد الخدري ما يوهم انه عليه الصلاة والسلام حج قبل أن يهاجر غير حجة الوداع ولفظه عند الترمذي من حديث جابر «وحج قبل أن يهاجر ثلاث حجج» وعن ابن عباس مثله أخرجه ابن ماجة والحاكم، قلت وهو مبني على عدد وفود الأنصار إلى العقبة بمنى بعد الحج فإنهم قدموا أولاً فتواعدوا. ثم قدموا ثانياً فبايعوا البيعة الأولى. ثم قدموا ثالثاً فبايعوا البيعة الثانية كما تقدم بيانه أول الهجرة. وهذا لا يقتضي نفي الحج قبل ذلك. وقد اخرج الحاكم مسند صحيح إلى النوري «أن النبي ﷺ حج قبل أن يهاجر حججاً» وقال ابن الجوزي: حج حججاً لا يعرف عددها. وقال ابن الأثير في النهاية: كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر. وفي حديث ابن عباس أن خروجه من المدينة كان لخمس بقين من ذي القعدة أخرجه المصنف في الحج وأخرجه هو ومسلم من حديث عائشة مثله وجزم ابن حزم بأن خروجه كان يوم الخميس» فتح الباري 8/ 130.

4398 - ويحدثنا الإمام البخاري رحمه الله من طريق آخر عن حجة الوداع

فيقول: حدثني إبراهيم بن المنذر، اخبرنا أنس بن عياض، حدثنا موسى بن عقبة عن نافع أن ابن عمر اخبره أن حفصة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أخبرته «أن النبي ﷺ أمر أزواجه أن يحللن عام حجة الوداع فقالت حفصة: فما يمنعك؟ فقال: لبدّت رأسي، وقلّدت هديي فلست أحِلُّ حتى أنحر هديي» فتح الباري 8/ 131.

4402 - ومن طريق آخر يحدثنا الإمام عن حجة الوداع فيقول: حدثنا يحيى بن سليمان قال: اخبرني ابن وهب قال: حدثني عمر بن محمد أن أباه حدثه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نتحدث بحجة الوداع والنبي ﷺ بين أظهرنا ولا ندري ما حجة الوداع فحمد الله وأثنى عليه. ثم ذكر المسيح الدجال. فأطنب في ذكره وقال: ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته......» فتح الباري 8/ 133. «انذره نوح والنبيون من بعده، وانه يخرج فيكم. فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم أن ربكم ليس على ما يخفى عليكم ثلاثاً. إن ربكم ليس بأعور وإنه أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية» فتح الباري 8/ 133.

4403 - ويستكمل الإمام البخاري رحمه الله حديثه المطول عن حجة الوداع فيقول شارحاً لقوله عليه الصلاة والسلام «إلا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم قال: اللهمّ اشهد (ثلاثاً). ويلكم ـ أو ويحكم ـ انظروا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» فتح الباري 8/ 133.

ويقول الإمام ابن حجر رحمه الله معقباً على ذلك: «وقوله: «ولا ندري ما حجة الوداع» كأنه شيء ذكره النبي ﷺ فتحدثوا به وما فهموا أن المراد «بالوداع» وداع حتى وقعت وفاته ﷺ بعدها بقليل فعرفوا المراد. وعرفوا انه ودع الناس بالوصية التي أوصاهم بها أن لا يرجعوا بعده كفاراً وأكد التوديع بإشهاد الله عليهم. بأنهم شهدوا انه قد بلغ ما أرسل إليهم به فعرفوا حينئذ المراد بقولهم حجة الوداع ـ وقد وقع في الحج في (باب الخطبة بمنى) من رواية عاصم بن محمد بن زيد عن أبيه عن ابن عمر في هذا الحديث «فودع الناس» وقدمت هناك ما وقع عند البيهقي أن سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر / 1] نزلت وسط أيام التشريق فعرف النبي ﷺ انه الوداع فركب واجتمع الناس فذكر الخطبة........» فتح الباري 8/ 134.

4406 - وهنا حاول الإمام البخاري رحمه الله أن يقدم لنا تفصيلاً مهماً عن خطبة الرسول ﷺ يوم حجة الوداع وهو يستعرضها لما فيها من أمور فقهية عديدة فيقول: حدثني محمد بن المثنى، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا أيوب عن محمد عن ابن أبي بكرة عن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: «الزمان قد استدار كهيئة يوم خلقَ السماوات والأرض: السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعةٌ حُرُم: ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ـ ورجب مُضَرَ الذين بين جمادى وشعبان. أيُّ شهرٍ هذا؟ قلنا: الله ورسوله اعلم. فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذو الحجة؟ قلنا: بلى. قال: فأيُّ بلدٍ هذا؟ قلنا: الله ورسوله اعلم. فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس البلدة؟ قلنا: بلى. قال: فأيُّ يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله اعلم. فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى. قال: فإن دماءكم وأموالكم ـ قال محمد: واحسبه قال: وأعراضكم ـ عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا. وستلتقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم. ألا فلا ترجعون من بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض. ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سَمِعَه. فكان محمد إذا ذكره يقول: صدق محمد ﷺ ثم قال: ألا هل بلغت (مرتين)» فتح الباري 8/ 134.

عدد غزوات النبي ﷺ:

يفرد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في باب المغازي مساحة كبيرة للحديث عن غزوات النبي ﷺ من حيث عددها وتسلسلها التاريخي وفي أي الغزوات قاتل الرسول ﷺ وان كان مختصراً إلا أن يقدم فيه معلومات افتقرت إليها كتب المغازي والسير.

4404 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا عمرو بن محمد، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق قال: حدثني زيد بن أرقم «أن النبي ﷺ غزا تسع عشرة غزوة وانه حج بعدما هاجر حجة واحدة ولم يحج بعدها: «حجة الوداع» فتح الباري 8/ 134. قال أبو إسحاق: وبمكة أخرى».

ويعقب الإمام ابن حجر رحمه الله على «قوله: «قال أبو إسحاق: وبمكة أخرى»

هو موصول بالإسناد المذكور. وعرض أبي إسحاق أن لقوله: «بعدما هاجر» مفهوماً وانه قبل أن يهاجر كان قد حج لكن اقتصاره على قوله «أخرى» قد يوهم انه لم يحج قبل الهجرة إلا واحدة. وليس كذلك بل حج قبل أن يهاجر مراراً. بل الذي لا أرتاب فيه انه لم يترك الحج وهو بمكة قط. لان قريشاً في الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج وإنما يتأخر منهم عنه من لم يكن بمكة أو أعاقه ضعف. وإذا كانوا وهم على غير دين يحرصون على إقامته ويردونه من مفاخرهم التي امتازوا بها على غيرهم من العرب. فكيف يظن بالنبي ﷺ انه يتركه؟ وقد ثبت من حديث جبير بن مطعم انه رآه في الجاهلية واقفاً بعرفة. وان ذلك من توفيق الله له وثبت دعاؤه قبائل العرب إلى الإسلام بمنى ثلاث سنين متوالية كما بينته في الهجرة إلى المدينة» فتح الباري 8/ 135.

باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة:

4415 - قلنا آنفاً إن الإمام البخاري رحمه الله تحدث بشكل موسع عن غزوات الرسول ﷺ وقدمنا لبعض منها سابقاً وحسب تسلسلها الزمني والآن يقدم لنا الإمام غزوة تبوك فيقول: حدثني محمد بن العلاء أبو أسامة عن يزيد ابن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «أرسلني أصحابي إلى الرسول ﷺ اسأله الحُملان لهم إذ هم معه في جيش العسرة وهي غزوة تبوك فقلت: يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم. فقال: والله لا أحملكم على شيء. ووافقته وهو غضبان ولا اشعر، ورجعت حزيناً من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه عليّ. فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ فلم ألبث إلا سويعة. إذ سمعت بلالاً ينادي: أبي عبد الله بن قيس فأجبته. فقال: اجب رسول الله ﷺ يدعوك فلما أتيته قال: خذ هذين العرينين لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد فانطلق بهن إلى أصحابك. فقل: إن الله أو قال: إن الرسول ﷺ يحملكم على هؤلاء فاركبوهن. فانطلقت إليهم بهن فقلت: إن النبي ﷺ يحملكم على هؤلاء ولكني والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله لا تظنوا إني حدثتكم شيئاً لم يقله رسول الله فقالوا لي: انك عندنا لمصدّق. ولنفعلنّ ما أحببت. فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول

رسول الله ﷺ منعه إياهم ثم إعطاءهم بعد. فحدثوهم بمثل ما حدّثهم به أبو موسى» فتح الباري 8/ 138.

وهنا وعلى عادته يعقب الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ على ما ذهب إليه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ عندما قام بشرح الصحيح فيقول: وقوله: «باب غزوة تبوك» هكذا أورد المصنف هذه الترجمة بعد حجة الوداع وهو خطأ وما أظن ذلك إلا من النساخ فان غزوة تبوك كانت في شهر رجب سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف. وعند ابن عائذ من حديث ابن عباس أنها كانت بعد الطائف بستة أشهر وليس مخالفاً لقول من قال في رجب إذا حذفنا الكسور. لأنه قد دخل المدينة من رجوعه من الطائف في ذي الحجة، وتبوك مكان معروف هو نصف طريق المدينة إلى دمشق ويقال بين المدينة وبينه أربع عشرة مرحلة. وذكرها في المحكم الثلاثي الصحيح. وكلام ابن قتيبة يقتضي أنها من المعتل فإنه قال: «جاءها النبي ﷺ وهم يبكون مكان مائها بقدح فقال: ما زلتم تبكونها فسميت حينئذ تبوك» فتح الباري 8/ 138.

ويقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ معقباً على الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: وقوله: «وهي غزوة العسرة» وفي أول أحاديث الباب قول أبي موسى «في جيش العسرة» بمهملتين الأولى مضمومة وبعدها سكون مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة / 117]. وهي غزوة تبوك. وفي حديث ابن عباس «قيل لعمر حدثنا عن شأن ساعة العسرة قال: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فأصابنا عطش» الحديث أخرجه ابن خزيمة. وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن ابن عقيل قال: «خرجوا قلة من الظهر وفي حرٍ شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء. فكان ذلك عسرة من الماء وفي الظهر وفي النفقة فسميت غزوة العسرة» فتح الباري 8/ 139.

ويضيف الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وتبوك المشهور فيها عدم الصرف للتأنيث والعلية. ومن صرفها أراد الموضع». ووقعت تسميتها بذلك في الأحاديث الصحيحة: منها حديث مسلم «إنكم ستأتون غداً عين تبوك» وكذا أخرجه أحمد والبزاز من حديث حذيفة. وقيل: «سميت لقوله ﷺ للرجلين اللذين سبقاه إلى العين: «ما زلتما تبوكونها منذ اليوم» فتح الباري 8/ 139.

يقول الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن قتيبة: «فبذلك سميت عين تبوك» والبوك كالحفر انتهى. والحديث المذكور عند مالك ومسلم بغير هذا اللفظ أخرجاه من حديث معاذ بن جبل «أنهم خرجوا في عام تبوك مع النبي ﷺ فقال: إنكم ستأتون غداً إن شاء الله تعالى عين تبوك. فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشرك تبض بشيء من الماء» فذكر الحديث في غسل رسول الله ﷺ وجهه ويديه بشيء من مائها ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فانتظم الناس. وبينها وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة. وكان السبب فيها ما ذكره ابن سعد وشيخه وغيره».

ويضيف الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ فيقول: «قالوا: بلغ المسلمين من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم جمعت جموعاً. واجلبت معهم لخم وجذام وغيرهم من منتصرة العرب. وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء فندب النبي ﷺ الناس إلى الخروج وأعلمهم بجبهة غزوهم.

ويضيف الإمام بالقول: «روى الطبراني من حديث عمران بن حصين قال: «كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: أن هذا الرجل الذي خرج يدعي النبوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم. فبعث رجلاً من عظمائهم يقال له قباذ وجهز معه أربعين ألفاً. فبلغ النبي ﷺ ذلك ولم يكن للناس قوة. وكان عثمان قد جهز عيراً إلى الشام. فقال: يا رسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أوقية. قال فسمعته يقول: لا يضر عثمان ما عمل بعدها ......» فتح الباري 8/ 139. الحديث.

وأخرجه الترمذي والحاكم من حديث عبد الرحمن بن حبان نحوه. وذكر أبو سعيد في (شرف المصطفى) والبيهقي في (الدلائل) من طريق شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم «أن اليهود قالوا: يا أبا القاسم. إن كنت صادقاً فالحق بالشام فإنها أرض المحشر وأرض الأنبياء. فغزا تبوك لا يريد إلا الشام فلما بلغ تبوك انزل الله تعالى الآيات من سورة بني إسرائيل ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء / 76] انتهى وإسناده حسن مع كونه مرسلا» فتح الباري 8/ 139.

ويعقب الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ على هذا الموضوع فيقول: وقوله: «لا أجد ما أحملكم عليه» في رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب «جاء نفر كلهم معسر يستحملونه لا يحبون التخلف عنه فقال: لا أجد. قال: ومن هؤلاء نفر من الأنصار ومن بني مزينة» وفي مغازي ابن إسحاق «إن البكائين سبعة نفر: سالم بن عمير، وأبو ليلى بن كعب، وعمرو بن الحمام، وعبد الله بن مغفل وقيل ابن غنمة، وعلية بن زيد، وهرمي بن عبد الله، وعرباض بن سارية، وسلمة بن صخر. قال: فبلغني أن أبا ياسر اليهودي - قيل ابن يامين - جهز أبا ليلى وابن مغفل. وقيل كان في البكائين بنو مقرن السبعة معقل وإخوته» فتح الباري 8/ 140.

4416 - ويستمر معنا الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ وهو يستعرض أحداث غزوة تبوك فيقول: حدثنا مُسدد، حدثنا يحيى عن شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن أبيه «أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً. «فقال: تخلفني مع الصبيان والنساء، قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ألا انه ليس من نبي بعدي» وقال أبو داؤد حدثنا شعبة علم الحكم سمعت مصعباً» فتح الباري 8/ 140.

4417 - ويضيف الامام البخاري رَحِمَهُ اللهُ عن هذا الموضوع بقوله: حدثنا عبيد الله بن سعيد، حدثنا محمد بن بكر، اخبرنا ابن جريج قال: «سمعت عطاء يخبر قال: أخبرني صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه قال: غزوت مع النبي ﷺ العُسرة. قال: كان يعلى يقول: تلك الغزوة أوثق اعمالي عندي» فتح الباري 8/ 140.

عدة أهل تبوك:

يعقب الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ على مسالة العدد الذي خرج مع رسول الله ﷺ إلى تبوك فيقول: قوله: «ولا يجمعهم كتاب حافظ» بالتنوين فيهما وفي رواية مسلم بالإضافة في رواية معقل «يزيدون على عشرة آلاف ولا يجمع ديوان حافظ» وللحاكم في «الإكليل» من حديث معاذ: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً» وبهذه العدة جزم ابن إسحاق وأورده الواقدي بسند آخر موصول وزاد «انه كان معه عشرة آلاف فرس» فتحمل رواية معقل على إرادة عدد الفرسان. ولابن مردويه «ولا يجمعهم

ديوان حافظ» يعني كعب بن مالك الديوان يقول «لا يجمعهم ديوان مكتوب» وهو يقوي رواية التنوين. وقد نقل عن أبي زرعة «أنهم كانوا في غزوة تبوك أربعين ألفاً». ولا تخالف الرواية تلك التي في «الإكليل» أكثر من ثلاثين ألفاً لاحتمال أن يكون من قال أربعين ألفاً جبر الكسر. وقوله «يريد الديوان هو كلام الزهري». وأراد بذلك الاحتراز عما وقع من حديث حذيفة «أن النبي ﷺ قال: اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام» وقد ثبت أن أول من دون الديوان عمر رضي الله عنه» فتح الباري 8/ 146.

يعقب الإمام ابن حجر رحمه الله في شرحه لصحيح البخاري رحمه الله عن غزوة تبوك: «وقوله: عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك بن كعب كذا عند الأكثر. ووقع عن الزهري في بعض هذا الحديث رواية عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك وهو عم عبد الرحمن بن عبد الله الذي حدث به عنه هنا. وفي رواية عن عبد الله بن كعب نفسه. قال أحمد بن صالح فيما أخرجه ابن مردويه. كان الزهري سمع هذا القدر من عبد الله بن كعب نفسه. وسمع هذا الحديث بطوله من ولده عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب. وعنه أيضاً رواية عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن عمه عبيد الله بالتصغير، ووقع عند ابن جرير من طريق يونس عن الزهري في أول الحديث بغير إسناد قال الزهري: «غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك وهو يريد نصارى العرب والروم بالشام، حتى إذا بلغ تبوك أقام بضع عشرة ليلة، ولقيه بها وفد اذرع ووفد أيلة فصالحهم رسول الله ﷺ على الجزية. ثم قفل من تبوك ولم يجاوزها. وانزل الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة / 117] والثلاثة الذين خلفوا رهط من الانصار في بضعة وثمانين رجلاً، ينظر فتح الباري 8/ 146.

ويستتبع الإمام ابن حجر رحمه الله حديثه فيقول: «ومنها تحريم لحوم الحمر الأهلية. وان ما لا يؤكل لحمه لا يظهر بالزكاة وتحريم متعة النساء وجواز المساقاة والمزارعة. ويثبت عقد الصلح والتواثق من أرباب التهم. وان من خالف من أهل الذمة ما شط عليه انتقض عهده وهدر دمه. وان من أخذ شيئاً من الغنيمة قبل القسمة لم يملكه ولو كان دون حقه. وان الإمام مخير في أرض العنوة بين قسمتها وتركها. وجواز إجلاء أهل الذمة إذا استغني عنهم.

وجواز البناء بالأهل بالسفر والأكل من طعام أهل الكتاب وقبول هديتهم» فتح الباري 7/ 623.

باب حديث كعب بن مالك:

وقوله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة/ 118].

4418 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مفسراً لحديث كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث بن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك. «أن عبد الله بن كعب بن مالك ـ وكان قائد كعب من بنيه حين عُمي قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في تبوك. غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر. ولم يعاقب أحداً تخلف عنها. وإنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد. ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام. وما أحب أن لي بها مشهد بدر وان كانت بدر اذكر في الناس منها» فتح الباري 8/ 118. ويضيف الصحابي مكملاً حديثه: «كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين خلفت عنه في تلك الغزاة. والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها. حتى كانت تلك الغزوة أمرها رسول الله ﷺ في حر شديد. واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً وعدواً كثيراً. فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم. فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ ـ يريد الديوان ـ قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن انه سيخفى له. ما لم ينزل فيه وحي الله. وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه. فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقضِ شيئاً. فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى حتى اشتد بالناس الجد. فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أَقضِ من جهازي شيئاً فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين. ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز. فرجعت ولم اقضِ شيئاً ثم غدوت ثم رجعت ولم اقضِ شيئاً، فلم يزل بي

حتى أسرعوا وتَفَارط الغزو. وهممت أن ارتحل فأدركهم وليتني فعلت فلم يقدّر لي ذلك. فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى رجلاً مغموصاً عليه النفاق. أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء. ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك. فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه بُرداه ونظره في عِطْفَيْه» فتح الباري 8/ 142.

يعقب الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ على ذلك بقوله «فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت. والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً. فسكت رسول الله ﷺ. قال كعب بن مالك: فلما بلغني انه توجه قافلاً حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً زاح عني الباطل وعرفت أني لن اخرج منه أبداً بشيء فيه كذب. فأجمعت صدقه. وأصبح رسول الله ﷺ قادماً. وكان إذا قدم من سفر بدا بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس. فلما فعل ذلك جاءه المخلفون. فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم. ووكل سرائرهم إلى الله فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال: تعال. فجئت امشي حتى جلست بين يديه فقال لي: ما خلّفك؟ ألم تكن قد اتبعت ظهرك؟ فقلت: بلى. إني والله جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أُعطيت جدلاً. ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله يسخطك علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله. لا والله ما كان لي من عذر. والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. فقال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدق. فقم حتى يقضي الله فيك. فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا. ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلفون. قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك. فوالله مازالوا يؤنبونني حتى أردت أن ارجع فأكذب نفسي. ثم قلت لهم: هل لقيّ هذا معي احد؟ قالوا: نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهم مثل ما قيل لك. فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن

الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي. فذكروا لي رجلين قد شهدوا بدراً فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لي» فتح الباري 8/ 143.

ويعقب الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ بالقول: «والثلاثة الذين خلفوا رهط من الأنصار في بضعة وثمانين رجلاً. فلما رجع صدقه أولئك واعترفوا بذنوبهم وكذب سائرهم فحلفوا ما حبسهم إلا العذر فقبل ذلك منهم ونهى عن كلام الذين خلفوا. قال الزهري: واخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب» فتح الباري 8/ 146.

ويستكمل الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ حديثه عن الثلاثة نقلاً عن كعب فيقول: «ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحبي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان. أما أنا فكنت أشت القوم واجلدهم، فكنت اخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين. وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه. فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي اقبل إلي. وإذا التفت نحوه اعرض عني حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي. فسلمت عليه فوالله ما رد عليّ السلام. فقلت: أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت. فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله اعلم. ففاضت عيناي. وتوليت حتى تسورت الجدار قال: فبينا أنا امشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه في المدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك. ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسِكَ. فقلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين: إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك. فقلت أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك. فقلت لامرأتي: الحقي

بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أميه شيخ ضائع. ليس له خادم فهل تكره أن اخدمه؟ قال: لا ولكن لا يقربك. قالت: انه والله ما به حركة إلى شيء. والله مازال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. فقلت: والله لا استأذن فيها رسول الله. وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها. وأنا رجل شاب. فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا. فلما صليت صلاة الفجر صُبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا. فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله. قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت. سمعت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك ابشر. قال: فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرج» فتح الباري 8/ 144.

وهنا نرى انه من أكثر الروايات التي وقف عندها الإمام البخاري رحمه الله مسترسلاً كل تفاصيلها هي قضية الثلاثة الذين خلفوا عن تبوك فلقد ذكرها بتفاصيل دقيقة جداً مما يدل على استيعابه للمسألة. ويضيف لنا هنا بعد الفرج الذي جاء لهؤلاء الصحابة وهو يحدثنا نقلاً عن كعب بن مالك رضي الله عنه فيقول: «وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قِبَل صاحبي مبشرون. وركض إليّ رجلُ فرساً. وسعى ساع من اسلم فأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياها ببشراه. والله ما املك غيرها يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة ويقولون: لتهنك توبة الله عليك. قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس. فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره. ولا أنساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: ابشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك قال: قلت: من عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: لا بل من عند الله. وكان رسول

الله ﷺ إذا سرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر. وكنا نعرف ذلك منه» فتح الباري 8/ 145.

وفي نهاية حديث كعب رضي الله عنه يقول الإمام البخاري رحمه الله قال كعب: «وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم. وإرجاء رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال الله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة/ 118] وليس الذي ذكر الله مما خُلفنا عن الغزو. وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه، فقبل منه» فتح الباري 8/ 145.

باب نزول النبي ﷺ الحِجر:

4419 - يحدثنا الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن هذا الموضوع فيقول: حدثنا عبد الله بن محمد الجعفي، حدثنا عبد الرزاق، اخبرنا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لما مرّ النبي ﷺ بالحِجر قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم. إلا أن تكونوا باكين. ثم قنّع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي» فتح الباري 8/ 157.

4420 - ومن طريق آخر يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ لأصحاب الحِجر: لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين. إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثلُ ما أصابهم» فتح الباري 8/ 157.

ويعقب الإمام ابن حجر رحمه الله على ذلك بقوله: وقوله: «باب نزول النبي ﷺ الحِجر» بكسر المهملة وسكون الجيم وهي منازل ثمود زعم بعضهم انه مرّ به ولم ينزل ويرده التصريح في حديث ابن عمر بأنه «لما نزل الحِجر أمرهم أن لا يشربوا» وقد تقدم حديث ابن عمر في بئر ثمود. وقد تقدمت مباحثه في أحاديث الأنبياء وقوله: «أن يصيبكم» بفتح الهمزة مفعول به أي كراهة الإصابة وقوله: «أجاز الوادي» أي قطعه وقوله في الرواية الثانية: «قال النبي ﷺ لأصحاب الحِجر: لا تدخلوا» قال الكرماني: «أي قال لأصحابه الذين معه في ذلك الموضع وأضيف إلى الحِجر لعبورهم عليه. وقد تكلم في

ذلك وتعسف وليس كما قال: بل اللام في قوله: «لأصحاب الحِجر» بمعنى عن وحذف المقول لهم ليعم كل سامع والتقدير: قال لامته عن أصحاب الحِجر وهم ثمود: لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين أي ثمود وهذا واضح لا خفاء فيه» فتح الباري 8/ 157.

4423 - ولا يزال الإمام البخاري رحمه الله يحدثنا بما حدث به عن غزوة تبوك تلك الغزوة التي أفرد لها الإمام مساحة كبيرة في باب المغازي مما يدل على مكانتها ولهذا نجده يحاول جمع كل الروايات ذات العلاقة بها وهنا يقول: حدثنا أحمد بن محمد، اخبرنا عبد الله، اخبرنا حميد الطويل عن أنس ابن مالك «أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال: إن بالمدينة أقواماً ما سرتم سيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم. قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة حبسهم العذر» فتح الباري 8/ 158.

باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر:

مما يدل على اهتمام الإمام البخاري رحمه الله في تغطية جميع أحداث السيرة النبوية وجدناه يحدثنا عن أيام العرب في الجاهلية قبل الإسلام ثم عن مبعث النبي ﷺ ثم أحواله مع قريش ثم هجرته إلى الطائف ولقائه بعد ذلك بوفد من الأوس والخزرج ثم الهجرة إلى المدينة ثم إقامة الدولة ثم صراعه مع كفار مكة وهكذا إلا أننا وجدناه يحاول تقديم الأمثل والأصح ويتجنب ما هو بعيد عن الصحة. وهنا نجده يستكمل موضوعه عندما يحدثنا عن مرحلة مهمة من مراحل السيرة وهي سفارات أو بعوث الرسول ﷺ إلى ملوك وحكام الأقاليم المتاخمة للمدينة بحيث قدمها بشكل طيب بعيد عن المبالغة والتهويل. وقد يختلف هو أحياناً مع أهل المغازي والسير من أمثال ابن إسحاق والواقدي وابن هشام وابن سعد. إلا انه يحاول أن يتميز عليهم بصدق الرواية والحدث الذي يقدمه وهذا الذي ما ميز ما قدمه البخاري رحمه الله عن مغازي رسول الله ﷺ عن غيره من العلماء والمؤرخين.

4424 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في ذلك: حدثنا إسحاق، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب قال: اخبرني عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس اخبره «أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى

مع عبد الله بن حذافة السهمي. فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين كسرى فلما قرأه مزّقه. فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق» فتح الباري 8/ 159.

ويعقب الإمام ابن حجر رحمه الله على هذا الموضوع فيقول: «قوله: «باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى قيصر» أما كسرى فهو ابن برويز هرمز بن أنوشروان. وهو كسرى الكبير المشهور. وقيل إن الذي بعث إليه النبي ﷺ هو أنوشروان وفيه نظر لما سيأتي أن النبي ﷺ اخبر أن زربان ابنه يقتله والذي قتله ابنه هو كسرى بن برويز بن هرمز وكسرى بفتح الكاف وبكسرها لقب كل من تملك الفرس ومعناها بالعربية المظفري. وقد تقدم الكلام في ضبط كافة علامات النبوة». وأما قيصر فهو هرقل».

ويضيف الإمام ابن حجر رحمه الله: وقوله: «مع عبد الله بن حذافة» هذا هو المعتمد ووقع في رواية عمر بن شبه انه خنيس بن حذافة وهو غلط. فانه مات بأُحد فتأيمت منه حفصة وبعث الرسل كان بعد الهدنة سنة سبع ووقع في ترجمة عبد الله بن عيسى أخي كامل بن عدي من طريقه عن داؤد بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قصة اتخاذ الخاتم. وفيه «بعث كتاباً إلى كسرى ابن هرمز مع عمر بن الخطاب؟ كذا قال: وعبد الله ضعيف فإن ثبت فلعله كتب إلى ملك فارس مرتين وذلك في أوائل سنة سبع» فتح الباري 8/ 159.

ويعقب الإمام ابن حجر رحمه الله: قوله: «أن يمزقوا كل ممزق» بفتح الزاي أن يتفرقوا ويتقطعوا وفي حديث عبد الله بن حذافة «فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: اللهمّ مزق ملكه» وكتب إلى بآذان عامله على اليمن «ابعث من عندك رجلين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز. فكتب بآذان إلى النبي ﷺ فقال: ابلغا صاحبكما أن ربي قتل ربه في هذه الليلة قال: وكان ذلك ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأول سنة سبع وان الله سلط عليه ابنه شيرويه فقتله». وعن الزهري قال: «بلغني أن كسرى كتب إلى بآذان بلغني أن رجلاً من قريش يزعم انه نبي. فسر إليه فان تاب وإلا ابعث برأسه. فذكر القصة قال: فلما بلغ بآذان اسلم هو ومن معه من الفرس» فتح الباري 8/ 160.

باب سفراء الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء:

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله هنا: «تنبيه جزم ابن سعد بان بعث عبد الله ابن حذافة إلى كسرى كان في سنة سبع في زمن الهدنة. وهو عند الواقدي من حديث الشفاء بنت عبد الله بلفظ «منصرفه من الحديبية» وصنيع البخاري يقتضي انه كان في سنة تسع. فانه ذكره بعد غزوة تبوك. وذكر في آخر الباب حديث السائب انه تلقى النبي ﷺ حين رجع من تبوك إشارة إلى ما ذكرت وقد ذكر أهل المغازي انه ﷺ لما كان بتبوك كتب إلى قيصر وغيره. وهي غير المرة التي كتب إليه دحية فإنها كانت في زمن الهدنة كما صرح به في الخبر وذلك سنة سبع. ووقع عند مسلم عن أنس «أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر» الحديث وفيه «وإلى كل جبار عنيد» وروى الطبراني من حديث المسور بن مخرمة قال: «خرج رسول الله ﷺ إلى أصحابه فقال: إن الله بعثني للناس كافة. فأدوا عني ولا تختلفوا عليّ» فبعث عبد الله بن حذافة إلى كسرى وسليط ابن عمرو بن العاص إلى جيفر وعياذ ابني الجلندي بعمان. ودحيه إلى قيصر وشجاع ابن وهب إلى ابن أبي شمر الغساني وعمرو بن أميه إلى النجاشي. فرجعوا جميعاً قبل وفاة النبي ﷺ غير عمرو بن العاص» وزاد أصحاب السير انه بعث المهاجر بن أبي أميه بن الحارث بن عبد كلال وجريراً إلى ذع الكلاع والسائب إلى مسيلمة وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس. وفي حديث أنس الذي أشرت إليه عند مسلم أن النجاشي الذي بعث إليه مع هؤلاء غير النجاشي الذي اسلم» فتح الباري 8/ 161.

ويقول الإمام ابن حجر رحمه الله: «ومناسبة هذا الحديث للترجمة من جهة انه تتمة قصة كسرى الذي مزق كتاب النبي ﷺ فسلط الله عليه ابنه فقتله ثم قتل إخوته حتى أفضى الأمر بهم إلى تأمير امرأة واسمها بوران ـ بضم الموحدة ـ فجر ذلك إلى ذهاب ملكهم ومزقوا كما دعا به النبي ﷺ» فتح الباري 8/ 161.

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله: «تنبيه: في إيراد هذا الحديث آخر هذا الباب إشارة إلى أن إرسال الكتب إلى الملوك كان سنة غزوة تبوك. ولكن لا يدفع ذلك إلى قول من قال انه كاتب الملوك في سنة الهدنة كقيصر والجمع بين القولين انه كاتب قيصر مرتين وهذه الثانية قد وقع التصريح بها في مسند

«أحمد» وكاتب النجاشي الذي اسلم وصلى عليه لما مات. ثم كاتب النجاشي ولي بعده وكان كافراً وقد روى مسلم من حديث أنس قال: «كتب النبي ﷺ إلى كل جبار يدعوهم إلى الله» وسمى منهم كسرى وقيصر والنجاشي. قال: وليس بالنجاشي الذي اسلم» فتح الباري 8/ 162.

باب مرض النبي ﷺ ووفاته:

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر/ 30-31].

وها نحن نصل مع الإمام البخاري رحمه الله نهاية المطاف وهو يسرد لنا وقائع السيرة النبوية في صحيحه تحت باب المغازي فهو هنا يحدثنا بشكل مسهب وطويل عن أحداث وفاة النبي محمد ﷺ بتفاصيلها الدقيقة المؤثرة وعندما تتابع هذه الأحداث تحس وتدرك أنك تشهد تلك الوقائع وأنها لم تنقل لك عن طريق التواتر. فجزاه الله ألف خير وأثابه أجراً عظيماً.

3904 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في بداية عرضه لوقائع وفاة الرسول ﷺ: حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال: حدثني مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عبيد يعني ابن حنين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده. فبكى أبو بكر وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا فعجبنا له. وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبره رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا. فكان رسول الله ﷺ هو المخير. وكان أبو بكر هو أعلمنا به وقال رسول الله ﷺ: إن مَنْ أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر إلا خُلَة الإسلام. لا يبقينَّ في المسجد خوخة إلّا خوخة أبي بكر» فتح الباري 7/ 283.

4439 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثني حبان، اخبرنا عبد الله، اخبرنا يونس عن ابن شهاب قال: اخبرني عروة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته: «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده.

فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت انفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث وامسح بيد النبي ﷺ عنه» فتح الباري 8/ 165.

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله: قوله: «بالمعوذات» أي يقرؤها ماسحاً بجسده عند قراءتها ووقع في رواية مالك عن ابن شهاب في فضائل القرآن «فقرأ على نفسه المعوذات» فتح الباري 8/ 165.

4433 - 4434 - ومن طرق أخرى يحدثنا الإمام البخاري رحمه الله عن وفاة النبي ﷺ يقول: حدثنا بسرة بن صفوان بن جميل اللخمي، حدثنا إبراهيم ابن سعد عن أبيه عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دعا النبي ﷺ فاطمة عليها السلام في شكواه الذي قُبض فيه. فسارّها بشيء فبكت ثم دعاها فسارّها بشيء فضحكت فسألنا عن ذلك فقالت: سارّني النبي ﷺ انه يُقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارّني فاخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت» فتح الباري 8/ 170.

ويعقب الإمام ابن حجر رحمه الله على ذلك فيقول: قوله: «دعا النبي ﷺ فاطمة في شكواه الذي قُبض فيه فسارّها بشيء» وفي أول الحديث من رواية مسروق عن عائشة كما مضت في علامات النبوة «أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: مرحباً ببنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارّها. ولأبي داؤد والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت أحداً أشبه بسمتاً وهدياً ودلاً برسول الله ﷺ بقيامها وقعودها من فاطمة وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها وقبّلها وأجلسها في مجلسه وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك. فلما مرض دخلت عليه فأكبت عليه تقبّله» واتفقت الروايات على أن الذي سارّها به أولاً فبكت هو إعلامه إياها بأنه ميت من مرضه ذلك واختلفا فيما سارها به ثانياً فضحكت ففي رواية عروة «انه إخباره إياها بأنها أول أهله لحوقاً به» وفي رواية مسروق «انه إخبار إياها بأنها سيدة نساء أهل الجنة» فتح الباري 8/ 170.

وفي رواية عائشة بنت طلحة عنها «إن سبب البكاء موته وسبب الضحك لحاقها به». وعند الطبري من وجه آخر عن عائشة انه قال لفاطمة «إن جبريل أخبرني انه ليس امرأة من نساء المسلمين أعظم ذرية منك فلا تكوني أدنى

منهن صبراً» وفي الحديث إخباره عليها السلام بما سبق فوقع كما قال. فإنهم اتفقوا أن فاطمة عليها السلام كانت أول من مات من أهل بيت النبي ﷺ بعده حتى من أزواجه» فتح الباري 8/ 171.

4435 - ويقول الإمام البخاري رحمه الله من طريق آخر: حدثني محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة عن سعد عن عروة عن عائشة قالت: كنتُ اسمع انه لا يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحة يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء/ 69]. فظننت انه خير» فتح الباري 8/ 171.

4436 - ومن طريق آخر يحدثنا الإمام البخاري رحمه الله فيقول: حدثنا مسلم، حدثنا شعبة عن سعد عن عروة عن عائشة قالت: «لما مرض النبي ﷺ المرض الذي مات فيه جعل يقول: في الرفيق الأعلى» فتح الباري 8/ 171.

4438 - ومن طريق آخر يحدثنا الإمام البخاري رحمه الله عن وفاة الرسول ﷺ فيقول: حدثنا محمد، حدثنا عفان عن صخر بن جويرية عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة: «دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ وأنا مسندته إلى صدري ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به فأبده رسول الله ﷺ بصره. فأخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستن به. فما رأيت رسول الله ﷺ استن استناناً قط أحسن منه. فما عدا أن فرغ رسول الله رفع يده أو إصبعه ثم قال: في الرفيق الأعلى ثلاثاً ثم قضى. وكانت تقول: مات بين حاقنتي وذاقنتي» فتح الباري 8/ 173.

4440 - ويضيف لنا الإمام البخاري روايات أخرى ذات علاقة بوفاة الرسول ﷺ فيقول: حدثنا معلى بن أسد، حدثنا عبد العزيز بن مختار، حدثنا هشام عن عروة عن عباد بن عبد الله بن الزبير «أن عائشة أخبرته أنها سمعت النبي ﷺ وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مسند إلي ظهره يقول: اللهمّ اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق» فتح الباري 8/ 173.

ويعقب الإمام ابن حجر رحمه الله على قول السيدة عائشة رضي الله عنها: وقوله: «وكانت تقول: مات بين حاقنتي وذاقنتي» وفي رواية ذكوان عن عائشة «توفي

في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري. وان الله جمع ريقي وريقه عند موته في آخر يوم من الدنيا» والحاقنة بالمهملة والقاف: ما سفل من الذقن والذاقنة ما علا منه أو الحاقنة نقرة الترقوة هما حاقنتان. ويقال: إن الحاقنة المطئن من الترقوة والحلق. وقيل ما دون الترقوة من الصدر وقيل تحت السرة. وقال ثابت: الذاقنة طرف الحلقوم. والسحر بفتح المهملة وسكون الحاء المهملة هو الصدر وهو في الأصل الرئة. والنحر بفتح النون وسكون المهملة والمراد به موضع النحر. وأعرب الداؤدي فقال: هو ما بين الثديين والحاصل أن ما بين الحاقنة والذاقنة هو ما بين السحر والنحر. والمراد انه مات ورأسه بين حنكها وصدرها عليه الصلاة والسلام. وهذا لا يغاير حديثها الذي قبل هذا أن رأسه كان على فخذها لأنه محمول على أنها رفعته عن فخذها إلى صدرها» فتح الباري 8/ 174.

4441 - يقول الإمام البخاري رحمه الله وهو يحدثنا عن وفاة الرسول ﷺ والأحداث التي رافقت الوفاة يقول: حدثنا الصلت بن محمد، حدثنا أبو عوانة عن هلال الوزان عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال النبي ﷺ في وضعه الذي لم يقم منه: لُعن اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، قالت عائشة: لولا ذلك لأبرز قبره خشي أن يُتخذ مسجداً» فتح الباري8/ 157.

4443 - 4444 - وفي نفس السياق يحدثنا الإمام البخاري رحمه الله: واخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم قالا: «لمّا نُزِل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو كذلك يقول لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا» فتح الباري 8/ 176.

ومن المفيد أن الإمام البخاري رحمه الله قدم لنا كل هذه الروايات ذات الفائدة الكبيرة فيما يتعلق بوفاة الرسول ﷺ وهي بحق روايات على كثرتها إلا أنها تقدم للدارس والباحث المسلم فائدة كبيرة يتعرف من خلالها على الأحوال والأمور التي مرت بحياة الرسول ﷺ في آخر أيامه وهو بذلك أي الإمام البخاري رحمه الله يتفوق على اقرأنه من أصحاب السنن ويتميز على

أصحاب المغازي والسير الذين افتقروا إلى تقديم مثل هذه المعلومات ذات الفائدة الفقهية الجليلة.

4442 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا سعيد بن غُفير قال: حدثني الليث قال: حدثني عُقيل عن ابن شهاب قال: اخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: «لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأُذن له. فخرج وهو بين الرجلين تخط رجلاه في الأرض. بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر. قال عبيد الله: فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة فقال لي عبد الله بن عباس: هل تدري من الرجل الأخر الذي لم تسمِّ عائشة؟ قال: لا، قال ابن عباس: هو علي وكانت عائشة زوج النبي ﷺ تحدث أن رسول الله ﷺ لمّا دخل بيتي واشتد به وجعه قال: هريقوا عليّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن. لعلي أعهد إلى الناس، فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي ﷺ. ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن قالت: ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم» فتح الباري 8/ 177.

ثم يعقب الإمام ابن حجر رحمه الله على هذه الفقرة فيقول: قوله: «استأذن أزواجه أن يُمرض» بضم أوله وفتح الميم وتشديد الراء. وذكر ابن سعد بإسناد صحيح عن الزهري «أن فاطمة هي التي خاطبت أمهات المؤمنين بذلك فقالت لهن: انه يشق عليه الاختلاف». وفي رواية ابن أبي ملكية عن عائشة «أن دخوله بيتها كان يوم الاثنين ومات يوم الاثنين الذي يليه» فتح الباري 8/ 177.

ويضيف الإمام ابن حجر رحمه الله بالحديث فيقول: وقوله: «من سبع قرب» قيل الحكمة في هذا العدد أن له خاصية في دفع ضرر السم والسحر وقد ذكر أوائل الباب «هذا أوان انقطاع ابهري من ذلك السم» وتمسك به بعض من أنكر نجاسة سؤر الكلب وزعم أن الأمر الغسل منه سبعاً إنما هو لدفع السمية التي في ريقه وقد ثبت حديث «من تصبح بسبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر» فتح الباري 8/ 178- 180.

4452 - 4453 - يحدثنا الإمام البخاري رحمه الله عن اللحظة التي توفي فيها رسول الله ﷺ وموقف الصحابة فيها وتأثيرها على البعض منهم يقول:

حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عُقيل عن ابن شهاب قال: اخبرني أبو سلمة أن عائشة أخبرته «أن أبا بكر رضي الله عنه اقبل على فرس من مسكنه بالسَّنح. حتى نزل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة. فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشّى بثوب حِبرَةٍ عن وجهه. ثم اكب عليه فقبله وبكى ثم قال: بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها» فتح الباري 8/ 182.

4454 - ويقول الإمام البخاري رحمه الله ناقلاً عن الزهري يقول: قال الزهري: وحدثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس «أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس. فقال: اجلس يا عمر. فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر. فقال أبو بكر: أما بعد. من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان فيكم يعبد الله فإن الله حيٌ لا يموت. قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ إلى قوله ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران/ 144]. وقال: والله لكان الناس لم يعلموا أن الله انزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم، فما اسمع بشراً من الناس إلا يتلوها، فاخبرني سعيد ابن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعَقرتُ حتى ما تُقلّني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أن النبي ﷺ قد مات» فتح الباري 8/ 182.

ويعقب الإمام ابن حجر رحمه الله على قول أبو بكر رضي الله عنه «لا يجمع الله عليك موتتين» يقول: تقدم الكلام عليه في أول الجنائز. واغرب من قال: المراد بالموتة الأخرى موتة الشريعة أي لا يجمع الله عليك موتك وموت شريعتك. قال هذا القائل: ويؤيده قول أبي بكر بعد ذلك في خطبته «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان فيكم يعبد الله فإن الله حيٌ لا يموت قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾» فتح الباري 8/ 182.

4455 - 4456 - 4457 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثني عبد الله عن أبي شيبة، حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن موسى بن أبي عائشة عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة وابن عباس «أن أبا بكر رضي الله عنه قبّل النبي ﷺ بعد موته» فتح الباري 8/ 184.

4461 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا قتيبة، حدثنا الأحوص عن أبي إسحاق عن عمرو بن الحارث قال: «ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة» فتح الباري 8/ 186.

4462 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد عن ثابت عن أنس قال: «لمّا ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاهُ فقالت فاطمة (عليها السلام): وا كربَ أباه. فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم. فلما مات قالت: يا أبتاهُ أجاب رباً دعاه. يا أبتاهُ في جنة الفردوس مأواه يا أبتاهُ إلى جبريل ننعاه. فلما دفن قالت فاطمة (عليها السلام): يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟» فتح الباري 8/ 187.

يعقب الإمام ابن حجر رحمه الله على قول السيدة فاطمة (عليها السلام) «وا كرب أباه» فيقول: «في رواية مبارك بن فضالة عن ثابت عن النسائي «واكرباه» والأول أصوب لقوله في نفس الخبر «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» وهذا يدل على أنها لم ترفع صوتها بذلك وإلا لكان ينهاها. . . .» فتح الباري 8/ 187.

ويعقب أيضاً الإمام ابن حجر رحمه الله على قول السيدة فاطمة (عليها السلام) بقولها «إلى جبريل ننعاه» قيل: «الصواب إلى جبريل نعاه» جزم بذلك سبط ابن الجوزي في المرآة والأول موجه فلا معنى لتغليط الرواة بالظن. وزاد الطبراني من طريق عارم والاسماعيلي من طريق سعيد بن سليمان كلاهما عن حماد هذا الحديث «يا أبتاه» «من ربه ما أدناه». ومثله للطبراني من طريق معمر. ولأبي داؤد من طريق حماد بن سلمة كلاهما عن ثابت. به قال الخطابي: «زعم بعض من لا يعد من أهل العلم أن المراد بقوله ﷺ: «لا كرب على أبيك بعد اليوم» أن كربه كان شفقة على أمته لما علم من وقوع الفتن والاختلاف وهذا ليس بشيء لأنه كان يلزم أن تنقطع شفقته على أمته بموته. والواقع أنها باقية إلى يوم القيامة لأنه مبعوث إلى من جاء بعده وأعمالهم تعرض عليه. وإنما الكلام على ظاهره. وان المراد بالكرب ما كان يجده من شدة الموت وكان فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر يتضاعف له الأجر كما تقدم» فتح الباري 8/ 187.

باب آخر ما تكلم به النبي ﷺ:

4463 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ: حدثنا بشر بن محمد، حدثنا عبد الله قال يونس: قال الزهري: اخبرني سعيد بن المسيب في رجال من أهل العلم أن عائشة قالت: «كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح: إنه لم يقبض نبي حتى يُرى مقعده من الجنة ثم يخيّر. فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال: اللهمَّ الرفيق الأعلى. فقلت: إذاً لا يختارنا وعرفت انه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح: فكان آخر كلمة تكلم بها: اللهمّ الرفيق الأعلى» فتح الباري 8/ 188.

باب وفاة النبي ﷺ:

4464 - 4465 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا أبو نُعيم، حدثنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ لبث بمكة عشر سنين يُنزّل عليه القرآن بالمدينة عشراً» فتح الباري 8/ 189.

4466 - ويضيف الإمام البخاري رحمه الله كذلك فيقول: حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث عن عُقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين» فتح الباري 8/ 189.

يعقب الإمام ابن حجر رحمه الله على قول الإمام البخاري رحمه الله قوله: «لبث بمكة عشر سنين يُنزّل عليه القرآن بالمدينة عشراً» هذا يخالف المروّي عن عائشة عقبه انه عاش ثلاثاً وستين إلا انه يحمل على إلغاء الكسر كما قيل مثله في حديث أنس المتقدم في باب صفة النبي ﷺ من كتاب «المناقب» وأكثر ما قيل في عمره انه خمس وستون سنة. أخرجه مسلم من طريق عمار بن أبي عمار عن ابن عباس ومثله لأحمد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وهو مغاير لحديث الباب لان مقتضاه أن يكون عاش ستين إلا انه يحمل على إلغاء الكسر. أو على قول من قال: انه بعث ابن ثلاث وأربعون وهو مقتضى رواية عمرو بن دينار عن ابن عباس انه مكث بمكة ثلاث عشرة ومات ابن ثلاث وستين. وفي رواية هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس «لبث بمكة

ثلاث عشرة وبعث لأربعين ومات وهو ابن ثلاث وستين» وهذا موافق لقول الجمهور» فتح الباري 8/ 189.

باب:

4467 - هذا الباب لم يسمه الإمام البخاري رحمه الله إلا انه من المؤكد ضمن باب الوفاة للنبي ﷺ يقول: حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين. يعني صاعاً من شعير» فتح الباري 8/ 190.

يعقب الإمام ابن حجر رحمه الله على هذا القول فيقول: «قوله: «ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين» كذا للأكثر بحذف المميز وللمستملي وحده «ثلاثين صاعاً» ووجه إيراده هنا للإشارة إلى أن ذلك من آخر أحواله. وهو يناسب حديث عمرو بن الحارث في الباب الأول انه لم يترك ديناراً ولا درهماً.....» فتح الباري 8/ 190.

باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما في مرضه الذي توفي فيه:

4469 - يقول الإمام البخاري رحمه الله عن آخر عمل قام به رسول الله ﷺ: حدثنا إسماعيل، حدثنا مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً وأمّر عليهم أسامة بن زيد. فطعن الناس في إمارته. فقام رسول الله ﷺ فقال: إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة وان كان لمن أحب الناس إليّ. وان هذا لمن أحب الناس إليّ بعده» فتح الباري 8/ 190- 191.

يعقب الإمام ابن حجر رحمه الله على ذلك بقوله: «قوله: «بعث النبي ﷺ أسامة ابن زيد في مرضه الذي توفي فيه» إنما أخر المصنف هذه الترجمة لما جاء انه كان تجهز أسامة يوم السبت قبل موت النبي ﷺ بيومين وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي ﷺ فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر ودعا أسامة فقال: سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل. فقد وليتك هذا الجيش وأغر صباحاً علي أُبنى وحرق عليهم وأسرع المسير تسبق الخير. فان ظفرك الله بهم فأقل اللبث فيهم. فبدا برسول الله ﷺ وجعه في اليوم الثالث فعقد لأسامة لواء بيده

فأخذه فدفعه إلى بريده وعسكر بالجرف وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم فتكلم في ذلك قوم منهم عياش بن أبي ربيعة المخزومي فرد عليه عمر واخبر النبي ﷺ فخطب بما ذكر في هذا الحديث. ثم اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: أنفذوا بعث أسامة فجهزه أبو بكر بعد أن استخلف فسار عشرين ليلة إلى الجهة التي أُمر بها. وقتل قاتل أبيه. ورجع بالجيش سالماً وقد غنموا وقد قص أصحاب المغازي قصة مطولة فلخصتها وكانت آخر سرية جهزها النبي ﷺ وأول شيء جهزه أبو بكر رضي الله عنه» فتح الباري 8/ 191.

باب كم غزا النبي ﷺ:

4471 - يقول الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق قال: «سألت زيد بن أرقم رضي الله عنه كم غزوت مع رسول الله ﷺ؟ قال: سبع عشرة. قلت: كم غزا النبي ﷺ؟ قال: تسع عشرة» فتح الباري 8/ 192.

يعقب الإمام ابن حجر رحمه الله على موضوع غزوات النبي ﷺ وعددها: «قوله: «باب كم غزا النبي ﷺ» ختم البخاري كتاب المغازي بنحو ما ابتدأ به. وقد تقدم الكلام في أول المغازي عن حديث زيد بن أرقم. وزاد هنا عن أبي إسحاق حديث البراء قال: «غزوت مع النبي ﷺ خمس عشرة غزوة» وكأن أبا إسحاق كان حريصاً على معرفة عدد غزوات النبي ﷺ فسأل زيد بن أرقم والبراء وغيرهما» فتح الباري 8/ 192.

4473 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في نهاية باب المغازي: حدثني أحمد بن الحسن، حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، حدثنا معتمد بن سليمان عن كهمس عن ابن بريدة عن أبيه قال: «غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة» فتح الباري 8/ 192.

ويعقب الإمام ابن حجر رحمه الله على ذلك فيقول: «قوله: «غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة» كذا وقع في مسند أحمد. وكذا أخرجه مسلم عن أحمد نفسه وهو أحد أحاديث الأربعة التي أخرجها مسلم عن شيوخ. اخرج

البخاري تلك الأحاديث بعينها عن أولئك الشيوخ بواسطة. ووقع مع هذا النمط للبخاري أكثر من مائتي حديث وقد جردتها في جزء مفرد. اخرج مسلم أيضاً من وجه آخر عن عبد الله بن بريدة عن أبيه «انه غزا مع رسول الله ﷺ تسع عشرة قاتل منها في ثمان». وقد تقدم في أول المغازي توجيه ذلك وتحرير عدد الغزوات. وأما السرايا فتقرب من سبعين وقد استوعبها محمد بن سعد في الطبقات وقرأت بخط مغلطاي «أن مجموع الغزوات والسرايا مائة» وهو كما قال والله اعلم» فتح الباري 8/ 192.

«اشتمل كتاب المغازي من الأحاديث المرفوعة وما في حكمها على خمسمائة وثلاثة وستين حديثاً المعلق منها ستة وسبعون حديثاً والباقي موصول. المكرر منها فيه وفيما مضى أربعمائة حديث وعشرة أحاديث والخالص مائة وثلاثة وخمسون حديثاً. ووافقه مسلم على تخريجها سوى ثلاثة وستين حديثاً» ينظر فتح الباري 8/ 193.

باب المعجزات ودلائل النبوة:

لم يفرد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه باباً للمعجزات غير أننا حاولنا مراجعة كتاب الصحيح بكامله من اجل استخراج الأحاديث ذات العلاقة بالمعجزات النبوية. كما حاولنا مع أحاديث المغازي والسير. فوجدنا أن الإمام رحمه الله قد سعى إلى جمع كل ما يتعلق بالأحاديث المختصة من الصحيحة بدلائل النبوة أو التي تختص بالمعجزات النبوية مثل تكثير الطعام أو الماء أو السمن أو لتحقيق أموراً ذات علاقة بالدعوة وإثبات النبوة مثل معجزة انشقاق القمر أو انتقال الشجر أو محادثة الضبع أو التي تتحدث عن أصحاب الفيل وكذلك التي تتحدث عن شق الصدر أو تسبيح الشجر والحجر أمامه أو عند مروره والتسليم عليه وهكذا.

وقد وردت أحاديث عديدة بهذه المعاني وغيرها عنده وعند أصحاب السنن. إلا أُننا آثرنا أن نختص بما أورده الإمام البخاري رحمه الله على اعتبار ما كتبه في صحيحه اعتبرته الأمة صحيح.

وسنحاول هنا تقديم الأحاديث حسب ما أوردها الإمام في صحيحه وحسب تسلسلها عنده حيث إن كل حديثٍ أخذ عنده رقم.

143 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا هاشم بن القاسم قال: حدثنا ورقاء عن عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس. قال: «أتى رسول الله ﷺ الخلاء فوضعت له وضوءاً فلما خرج قال: من صنع هذا؟ قالوا: ابن عباس، قال: اللهمّ فقهه في الدين» صحيح/الحديث 53.

169 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه قال: حدثنا عبد الله بن يوسف قال: اخبرنا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: «رأيت رسول الله ﷺ وكانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضؤوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 57.

1016 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن شريك بن عبد الله عن أنس قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: هلكت المواشي وتقطعت السبل فادع الله. فدعا فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة ثم جاء قال: تهدمت البيوت وتقطعت السيول (الطرق) وهلكت المواشي فادع الله أن يمسكها. فقال: اللهمّ على الآكام والظراب والأودية ومنابت الشجر. فانجابت عن المدينة انجياب الثوب». ولقد أورد الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث بنفس المعنى من طريق آخر. ينظر البخاري، صحيح/ 202. وفي رواية أخرى ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 933.

1006- يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: حدثنا قتيبة، حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزنّاد عن الأعرج عن أبي هريرة: «أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة يقول: اللهم انج عياش بن أبي ربيعة، اللهم انجِ سلمة بن هشام، اللهم انجِ الوليد بن الوليد، اللهم انجِ المستضعفين من المؤمنين. اللهمّ اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف».

وان النبي ﷺ قال: «غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 1006.

1015 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: حدثنا مسدد، حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال: «بينما رسول الله ﷺ يخطب يوم جمعة إذ جاء رجل فقال: يا رسول الله قحط المطر. فادع الله أن يسقينا. فدعا فمطرنا فما كدنا نصل إلى منازلنا فما زلنا نمطر إلى الجمعة المقبلة. قال: فقام ذلك الرجل أو غيره فقال: يا رسول الله ادع الله أن يصرفه عنا. فقال رسول الله ﷺ: اللهم حوالينا ولا علينا. قال: فلقد رأيت السحاب يتقطع يميناً وشمالاً يمطرون ولا يمطر أهل المدينة» حول هذا الموضوع ينظر البخاري، صحيح/ الأحاديث 1013، 1014، 1015، 1016، 1017، 1018، 1019، 1021، 1029، 1033.

2969 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: حدثنا الفضل بن سهل، حدثنا حسين بن محمد، حدثنا جرير بن حازم عن محمد عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «فزع الناس فركب رسول الله ﷺ فرساً لأبي طلحة بطيئاً ثم خرج يركض وحده. فركب الناس يركضون خلفه فقال: لمن تراعوا انه لبحر. قال: فوالله ما سُبق بعد ذلك اليوم» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 2969.

2924 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: حدثنا إسحاق بن يزيد الدمشقي، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثني ثور ابن يزيد عن خالد عن معدان «أن عمير بن الأسود العنسي حدثه انه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل إلى ساحل حمص وهو في بناء له ومعه أم حرام. قال عمير: فحدثتنا أم حرام أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا. قالت أم حرام: فقلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنتِ فيهم. ثم قال النبي ﷺ: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم. فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 2924.

3097 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: حدثنا عبد الله بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت له: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي فأكلت منه حتى طال عليّ فكلته ففني» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 3097.

3572 - يقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: حدثني محمد بن

بشار، حدثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: «أتي النبي صلى الله عليه وسلم بإناء وهو في الزوراء فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم. قال قتادة: فقلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلثمائة أو زهاء ثلثمائة بلفظ البخاري» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 3572.

3576 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، حدثنا حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله قال: «عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ فجهش الناس نحوه. قال: ما لكم؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك. فوضع يديه في الركوة فجعل الماء يثور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا. قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا. كنا خمس عشرة مائة» ينظر البخاري، صحيح/ الحديثان 3571- 4152.

3583 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا يحيى بن كثير أبو غسان، حدثنا أبو حفص واسمه عمر بن العلاء اخو أبي عمرو بن العلاء قال: سمعت نافعاً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 3583.

3585 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حدثنا إسماعيل، حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد، حدثني حفص بن عبيد الله بن أنس ابن مالك انه سمع جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: «كان المسجد موقوفاً على جذوع من نخل. فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها. فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 3585.

3571 - قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حدثنا أبو الوليد، حدثنا مسلم بن يزيد، سمعت أبا رجاء قال: حدثنا عمران بن حصين «أنهم كانوا مع رسول الله في ميسر فأدلجوا ليلتهم حتى إذا وجه الصبح عرسوا. فغلبتهم أعينهم حتى ارتفعت الشمس. فكان أول من استيقظ من منامه أبو بكر. وكان لا يوقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من منامه حتى يستيقظ. فاستيقظ عمر فقعد أبو بكر

عند رأسه فجعل يكبر ويرفع صوته حتى استيقظ النبي ﷺ فنزل وصلى بنا الغداة. فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا فلما انصرف قال: يا فلان. ما يمنعك أن تصلي معنا؟ قال: أصابتني جنابة فأمره أن يتيمم بالصعيد ثم صلى وجعلني رسول الله ﷺ في ركوب بين يديه وقد عطشنا عطشاً شديداً فبينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فقلنا لها: أين الماء؟ قالت: انه لا ماء. فقلنا: كم بين أهلك وبين الماء؟ قالت يوم وليلة. فقلنا انطلقي إلى رسول الله ﷺ قالت: وما رسول الله؟ فلم نملكها من أمرها حتى استقبلنا بها النبي ﷺ فحدثته بمثل الذي حدثتنا غير أنها حدثته أنها مؤتمة فأمر بمزاديتها فمسح بين العزلاوين فشربنا عطاشاً أربعين رجلاً حتى روينا وملأنا كل قربة معنا وإداوة غير انه لم نسق بعيراً وهي تكاد تنض من الملء. ثم قال: هاتوا ما عندكم. فجمع لها من الكسر والتمر حتى أتت أهلها قالت: لقيت أسحر الناس أو هو نبي كما زعموا فهدى الله ذلك الصرم بتلك المرأة فأسلمت واسلموا».

وفي رواية لهما فقال لها: «أي رسول الله ﷺ»: «اذهبي بهذا معك لعيالك واعلمي إنا لم نرزأك من مائك شيئاً غير أن الله سقانا». وفيه «انه لم يفتح العزلاوين سمى الله عز وجل» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 3571.

3577 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في أحوال معجزات النبي ﷺ: حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء ابن عازب قال: «كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة فجلس رسول الله ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا وروت أن صدرت ركابنا» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 3577.

3578 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حدثنا عبد الله بن يوسف، واخبرنا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة انه سمع أنس بن مالك يقول: «قال أبو طلحة لام سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ضعيفاً أعرف فيه الجوع. فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم. فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خماراً لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني

ببعضه. ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ. قال: فذهبت به فوجدت رسول الله في المسجد ومعه الناس. فقمت عليهم فقال لي رسول الله ﷺ: أرسلك أبو طلحة؟ فقلت: نعم، قال: بطعام؟ قلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا. فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته. فقال أبو طلحة: يا أم سُليم قد جاء رسول الله ﷺ والناس معه وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله اعلم. فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه فقال رسول الله: هلم يا أم سليم ما عندكِ؟ فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته. ثم قال رسول الله فيه ما شاء الله أن يقول ثم قال: ائذن لعشرة. فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال: ائذن لعشرة. فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: ائذن لعشرة. فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: ائذن لعشرة. فأكل القوم كلهم سبعون أو ثمانون رجلاً» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 3578.

3579 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: «كنا نعد الآيات بركة وانتم تعدونها تخويفاً. كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال: اطلبوا فضلة من ماء. فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يد في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك والبركة من الله. فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 3579.

3617 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه وهو ينقل الأحاديث ذات العلاقة بالمعجزات الحسية للرسول ﷺ قال: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا عبد العزيز عن أنس بن مالك قال: «كان رجل نصراني فاسلم وقرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب للرسول ﷺ فعاد نصرانياً. وكان يقول: لا يدري محمد إلا ما كتبت له. فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض. فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه. فحفروا له فأعمقوا له من الأرض ما استطاعوا فأصبحوا وقد لفظته الأرض. فعلموا انه ليس من الناس فألقوه» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 3617.

3618 - 3619 - يقول الإمام البخاري ﵀ في صحيحه: حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة رفعه: قال رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده». وقال: «لتنفقنَّ كنوزهما في سبيل الله» ينظر البخاري، صحيح/ الحديثان 3618 - 3619.

3629 - يقول الإمام البخاري ﵀ في صحيحه: «حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا حسين الجعفي عن أبي موسى عن الحسن عن أبي بكره قال: «أخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن بن علي فصعد به على المنبر فقال: إن ابني هذا سيد: ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 3629.

3650 - 3651 - يقول الإمام البخاري ﵀ في صحيحه: حدثني إسحاق، حدثنا النضر، اخبرنا شعبة عن أبي حجرة: سمعت زهدم بن مضرب: سمعت عمران بن حصين ﵄ يقول: «قال رسول الله ﷺ قال: خير القرون قرني. ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يجيء قوم يسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته» قال إبراهيم: «وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار» ينظر البخاري، صحيح/ الحديثان 3650 - 3651.

4866 - يقول الإمام البخاري ﵀ في صحيحه: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: «انشق القمر في زمان النبي ﷺ» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 4866.

وفي رواية أخرى حول نفس الموضوع يقول الإمام البخاري ﵀: حدثني عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا بشر بن الفضل، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما» وأخرجاه في الصحيحين من حديث شيبان عن قتادة ومسلم من حديث شعبة عن قتادة. ينظر البخاري، صحيح/ الحديث السابق.

4981 - 7274 - يقول الإمام البخاري ﵀ في صحيحه: حدثنا عبد الله

ابن يوسف، حدثنا الليث، حدثنا سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر. وان كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 4981، 7274.

5382 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: قال عبد الرحمن بن أبي بكر قال: «كنا مع رسول الله ﷺ ثلاثين ومائة فقال النبي ﷺ: هل مع أحد منكم طعام؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعجن ثم جاء رجل مشرك مشعان طويل بغنم يسوقها. فقال النبي ﷺ: أبيعٌ أم عطية؟ أو قال: هبة؟ قال: لا بل بيع. فاشترى منه شاة فصنعت بأمر نبي الله ﷺ بسواد البطن يُشوى قال: وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا قد حز له من سواد بطنها إن كان شاهداً أعطاها إياه. وان كان غائباً خبأها له. ثم جعل فيها قصعتين، فأكلنا أجمعون وشبعنا وفضل في القصعتين فحملته على البعير. أو كما قال......» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 5382.

5652 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى عن عمران أبي بكر قال: حدثني عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: «ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني اصرع، واني أتكشف، فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله لك أن يعافيك. فقالت: اصبر. فقالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 5652.

7061 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه وهو يستعرض لنا الأحاديث الدالة على الإعجاز النبوي: حدثنا عياش بن الوليد، اخبرنا عبد الأعلى، حدثنا معمر عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج. قالوا: يا رسول الله أيما هو؟ قال: القتل القتل» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 7061.

7062 - 7063 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حدثنا عبيد

الله بن موسى عن الأعمش عن شفيق قال: كنت مع عبد الله وأبي موسى فقالا: «قال النبي ﷺ: إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج. والهرج القتل» ينظر البخاري، صحيح/ الحديثان 7062 - 7063.

7060 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حدثنا أبو نُعيم، حدثنا ابن عيينة عن الزهري وحدثني محمد، اخبرنا عبد الرزاق، اخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «أشرف النبي ﷺ على أطم من آطام المدينة. فقال: هل ترون ما أرى؟ قالوا: لا. قال: فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 7060.

7118 - يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب عن الزهري قال: قال سعيد بن المسيب، اخبرني أبو هريرة «أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى» ينظر البخاري، صحيح/ الحديث 7118.

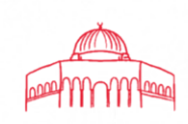
مما سبق عرضه في باب المعجزات ودلائل النبوة كان عبارة عن مسح علمي منهجي لهذه الأحاديث التي وردت في الصحيح حيث انه لم يفرد باباً بهذا الخصوص. وعليه رأينا من الضروري اطلاع القارئ الكريم أو الباحث العلمي أو الدارس لسيرة الرسول ﷺ على ما نقله الإمام في هذا الخصوص لا سيما انه قد توثق منه عند نقله وعرضه في صحيحه بشكل سليم وعد عند ذاك ما قدمه من هذه الأحاديث من الصحاح حالها حال غيرها من الأحاديث التي قدمها في صحيحه وسليمة ومقبولة بإذن الله تعالى.

وعليه وجدنا أن جمعه وعرضه في باب المعجزات ودلائل النبوة ضروري جداً حتى تستكمل الصورة عن حياة الرسول ﷺ طالما ما ذكره الإمام يعد جزءًا ضروريًا من سيرة الرسول محمد ﷺ بل هي في صلب حياته وسيرته.

والله أعلم

والحمد لله رب العالمين





مسك الختام

بعد هذا الاستعراض المبارك لسيرة الرسول محمد ﷺ من خلال ما قدمه إمام المسلمين وحجتهم البخاري رحمه الله في مصنفه (صحيح البخاري) وكذلك ما شرحه الإمام الحجة ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) نقول:

1 ـ إن الإمام البخاري رحمه الله قدم لنا سيرة نبوية عطرة متماسكة سليمة حيث حاول أن يقدم لنا سيرة متكاملة غير منقوصة على الأقل للروايات التي يجدها صحيحة، فهو بذلك يقدم لنا عملاً جيداً نادراً لا تشوبه أية شائبة.

2 ـ على الرغم من التقديم والتأخير الذي سلكه الإمام في عرض مادته وهو لم يستخدم وحدة الموضوع في عرضه لمادته إلا انه استطاع أن يتجاوز كل المشاكل ويقدمها ضمن أبوابها الفقهية.

3 ـ إن ما قدمه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه يعد مفخرة لعلماء المسلمين منهم عامة وللمشتغلين بالسيرة النبوية خاصة فهو تجاوز أهل السير والمغازي في عرضه لمادته على الرغم من أنهم سبقوه بما يزيد عن قرن من الزمان إلا انه تفوق عليهم كثيراً.

4 ـ إن الاختصار في عرض المادة وتقديمها في أبواب عدة ليدل على سعة وعلمية الإمام بما يكتب فهو لم يكن دخيلاً على السيرة بل هو أهلاً لها وعالماً بها.

5 ـ على الرغم من الاختلاف الحاصل في بعض الروايات التي قدمها الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه عن أصحاب السير والمغازي والتي قد يكونون هم أقرب إلى الصواب منه إلا أن هذا لا يعني أبداً أنهم كانوا أوثق من البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قد يحصل أحياناً تقديم وتأخير في عرض رواية من الروايات أو قد تتشابه الأسماء وهذا حصل فعلاً عند البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلقد اختلف عن أصحاب السير والمغازي في عرضه لمثل هذه الروايات إلا انه يبقى على الرغم من ذلك هو الأصدق والأشمل.

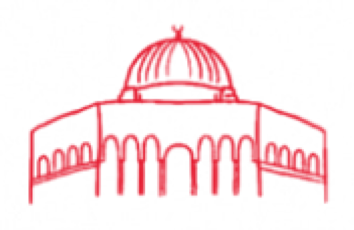
وهناك ملاحظة يجب على الجميع إدراكها وهي أن السيرة النبوية المعطرة لم تكتب في حينها بل كتبت بعد مضي أكثر من قرن ونصف على وقوع الحدث في عصر لم يكن هناك تدوين للأحداث ولا سجلات لتاريخ الأحداث حتى في حياته عليه الصلاة والسلام فكيف إذن يمكن أن يستقيم الحدث وينقل بصورته الصحيحة بعد مضي هذه الفترة الزمنية الكبيرة، ولهذا نجد أن بعض التقديم والتأخير حصل في عرض روايات السيرة النبوية. إلا أننا نجد أن أصحاب السير والمغازي من أمثال ابن إسحاق والواقدي وغيره لم يعرضوا رواياتهم على علم الجرح والتعديل الذي استخدمه وطبقه الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فعليه جاءت رواياته سليمة دقيقة وكانت رواياتهم أحياناً يشوبها الغموض أو النقصان. ومن هنا نقول إن السيرة المستخرجة من عند الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي أقرب إلى الدقة والصحة والسلامة.

6 ـ وجاء شرح الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما قدمه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه إسناداً قوياً وكبيرا بل يعد هو الساتر القوي الذي حصن روايات السيرة التي قدمها الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فابن حجر العلامة المحدث سابق من قبله ومن بعده في عرض المادة المتعلقة بسيرة

الرسول ﷺ ونجده وكأنه يعايش الحدث ويعاصره فجاء ما قدمه الإمام ابن حجر مكملاً لما قدمه الإمام البخاري فجزى الله كل من كتب وعمل وساهم في إبراز سيرة الرسول ﷺ.

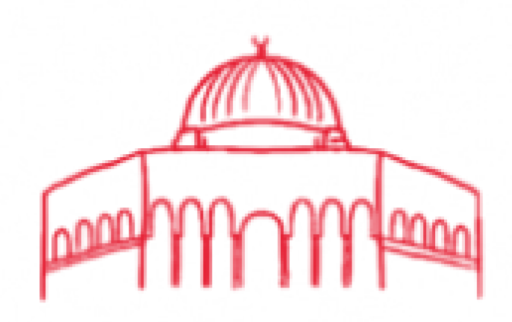
7 ـ لم يكن للباحث في هذا العمل سوى استعمال المنهج العلمي الأكاديمي في عرض الروايات التأريخية وكما أوردها أصحاب المغازي والسير وهو بذلك قد يكون متجاوزاً على إمام الأمة فيما عرضه من مادة كما أنه حاول التعقيب على بعض الروايات وإدلاء بدلوه فيها مع تقديم بعض الشروحات لبعض المعاني.

والله من وراء القصد



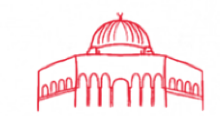
اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان، اللهم الطف بِ أمة نبيِك
محمد ﷺ وارحمها وفرّج كربتها





اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان ، اللهم الطف بِـ أمة نبيِّك
محمد ﷺ وارحمها وفرّج كربتها

المصادر والمراجع



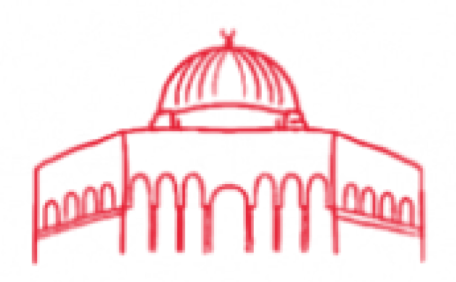
اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان ، اللهم الطف بِ أمة نبيِّك
محمد ﷺ وارحمها وفرّج كربتها

لا غالب إلا الله

لا غالب إلا الله







اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان ، اللهم الطف بِ أمة نبيِّك
محمد ﷺ وارحمها وفرّج كربتها

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1 ـ ابن أبي حاتم الرازي.

آداب الشافعي، د/ط، د/ت.

2 ـ ابن خلكان.

وفيات الأعيان وأبناء الزمان، طبعة بولاق.

3 ـ ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله.

زاد المعاد في هدي خير العباد، شرحه: حسن محمد المسعودي، ط1 (القاهرة: 1347هـ/ 1928م).

4 ـ ابن هشام، أبو محمد عبد الله.

سيرة النبي ﷺ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د/ط (دار الفكر: د/ت).

5 ـ ابن ماجة، أبو محمد عبد الله بن يزيد.

سنن ابن ماجة، ط1 (الرياض: د/ط).

6 ـ أحمد بن حنبل.

مسند الإمام أحمد، اعتنى به أبو صهيب الكرمي (الرياض: 1422هـ/ 2002م).

7 ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

1- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، دار المعرفة (بيروت: د/ت).

2- الإصابة في تمييز الصحابة، ط1 (بيروت: 1328هـ).

8 ـ أنس بن مالك.

الموطأ، تقديم فاروق سعد، د/ط (بيروت: 1979م).

9 ـ أبو داؤد سليمان بن الأشعث الأزدي.

سنن أبي داؤد، ضبط وتصحيح.

10 ـ البخاري، أبو عبد الله إسماعيل.

البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط3 (دمشق: 1421هـ/ 2000م).

11 ـ الخطيب البغدادي.

تاريخ بغداد، د/ط، د/ت.

12 ـ الذهبي، محمد بن احمد.

التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، تعليق: محمد خلف يوسف، ط1 (بيروت: 1997).

13 ـ فاروق حمادة.

مصادر السيرة النبوية، ط1 (دمشق: 2004م).

14 ـ عبد الغني عبد الخالق.

صحيح البخاري، ط1 (جدة: 1985م).

15 ـ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير.

تفسير القرآن العظيم. علق عليه: محمد ناصر الألباني، ط1 (دمشق: 1425هـ/ 2004م).

16 ـ محمد بن إسحاق أبو عبد الله.

السيرة النبوية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط1 (بيروت: 1424هـ/ 2004م).

17 ـ محمد بن عمر بن واقد الواقدي.

المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط1 (بيروت: د/ت).

18 ـ محمد محمد أبو زهرة.

الحديث والمحدثون، ط1 (القاهرة: 1958م).

19 ـ محمد محمد أبو شهبة.

أعلام المحدثين، ط1 (القاهرة: 1963م).

20 ـ محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي.

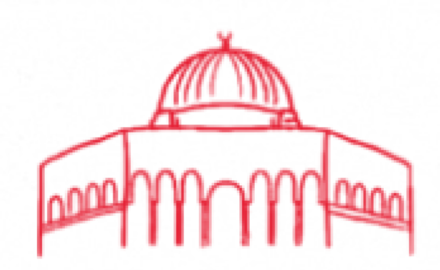
صحيح مسلم. شرح الإمام النووي، ط (القاهرة: 2003م).

21 ـ محيي الدين مستو.

مناهج التأليف في السيرة النبوية، ط1 (دمشق/ 2000م).

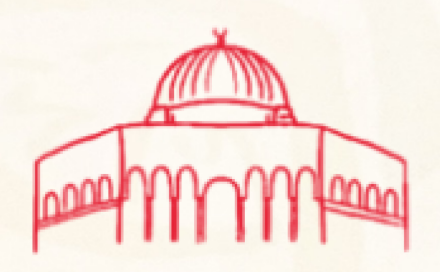






اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان ، اللهم الطف بِـ أمة نبيِّك
محمـــد ﷺ وارحمها وفـــرّج كربتها

فهرس المحتويات

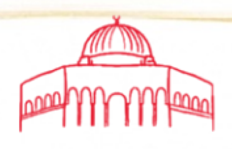


اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في

كل مكان ، اللهم الطف بِ أمة نبيِّك

محمد ﷺ وارحمها وفرِّج كربتها





السِّيرة النَّبويّة

برواية الإمام البخاري

إن من أفضل من كتب في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من علماء السنّة الإمام البخاري رحمه الله حيث أفرد أبوابًا في ذلك واعتمد في عرض رواياته على الخبر السليم وأخضع هذه الروايات إلى علم الجرح والتعديل حالها حال الروايات الأخرى التي جمعها في صحيحه، إلا أنها كانت متداخلة مع مواضيع أخرى يصعب على القارئ العام الاطلاع عليها والبحث فيها، فكان لا بد من العمل على جمع هذه الروايات وإفراد كتاب خاص بها يطلق عليه السيرة النبوية برواية الإمام البخاري رحمه الله، إلى أن انبرى مؤلف كتابنا هذا للتصدي لهذا العمل فقام بجمع المادة العلمية في صحيح البخاري وشرحه لإمام المسلمين وحجتهم العلامة ابن حجر العسقلاني رحمه الله، وعرضها في خطة علمية منهجية أكاديمية تتوافق مع العصر الزمني لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

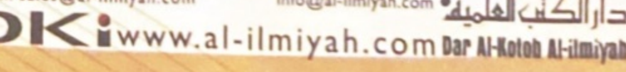
ISBN-13: 978-2-7-451-8054-4
ISBN-10: 2-7-451-8054-1



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

ص.ب 9424 - 11 بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت 2290 1107
هاتف 12 / 11 / 804810 5 961+
فاكس 804813 5 961+

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah